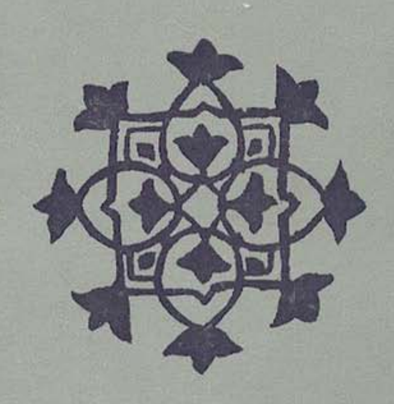
المناهل



23

المناهل

المناهل

تصدرها
وزارة الشؤون الثقافية
الرباط - المغرب

العدد الثالث والعشرون
السنة التاسعة

جمادى الأولى 1402
مارس 1982

تهنئة "المناهل" بعيد العرش المجيد

يتشرف أسرة "المناهل" ويسعدها أن ترفع بمناسبة عيد العرش المجيد، أسمى آيات التهاني والتبريك، إلى ملك البلاد، وقائد مسيرة الوطن، وراعي العلم والفكر والثقافة، حضرة صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني المؤيد المنصور بالله.

و"المناهل" إذ ترفع عواطفها الجياشة الزاخرة بالمحبة، إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مقرونة بوفائها وإخلاصها، تضرع إلى الله العلي القدير، أن يسعد العاهل الكريم بهذا العيد الميمون ويعيده مرات ومرات على أسرته وشعبه بما يحبه ويبتغيه، كما تضرع إلى الله أن يقر عينيه الكريمة بولي عهده سيدي محمد وصنوه مولاي رشيد الأميرين العزيزين المحبوبين، وبأخواتهما الأميرات الجليلات، وتسأل الله سبحانه أن يمتعه بدوام العافية والسعادة ويحقق ما يطمح إليه شعبه من تقدم ورفاهية.

"المناهل"

فهرس

صفحة

سُوس عند الجغرافيين والمؤرخين قديماً وحديثاً (*)

محمد الفاسي

إن فكرة إقامة مثل هذا المهرجان الثقافي من المشاريع الموفقة التي كان من أنجحها مهرجان دكالة الثقافي الذي عقد في الربيع الماضي بمدينة الجديدة وذلك أن الكتابة الشاملة عن كل قطر من أقطار مغربنا لا تتأتى لشخص واحد وما ألف في هذا الموضوع بمختلف المدن والنواحي على عظيم فائدته يبقى ناقصا باستثناء ما وضعه الأستاذ المؤرخ الجليل السيد محمد داود حفظه الله عن تطوان وفقيد العلم والأدب الوطني المصلح العلامة السيد المختار السوسي عن هذا القطر بالذات. وهكذا إذا جمعت كل هذه الدراسات والأبحاث تكونت موسوعة فريدة نظم تاريخا للمغرب سياسيا واقتصاديا وأدبيا ودينيا لأنه من المعلوم أن تاريخ المغرب لم يكتب بعد كما ذكر فقيد الأدب والوطنية والمروؤة

(*) ألقى الأستاذ محمد الفاسي هذا البحث بمدينة تزنيت بمناسبة مهرجان سوس الثقافي.

الأستاذ عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي رحمه الله في مقال له منذ أكثر من أربعين سنة. لكل هذا تراني أشجع هذه المحاولات وأشارك فيها بأبحاث متواضعة ولكنها في نظري تشق الطريق للباحثين المتخصصين.

وإن الكلام عن هذا القطر العظيم الجليل باتساعه وبطبيعته الجامعة بين مناظر البحر والجبل والصحراء وبماضيه المشرق وبمن أنتج من العلماء والأدباء والمفكرين ليتطلب مجهودا كبيرا يجب أن تتضافر عليه أقلام كثيرة وكفاءات علمية ممتازة وليس ذلك على همة أبناء سوس وكل المواطنين المغاربة بعزيز.

ولقد رأيت أن أساهم في هذا المهرجان ببحث عن القطر السوسي عند الجغرافيين العرب ومن أهم من كتب منهم عن سوس البكري والإدريسي وياقوت وأبو الفداء وابن خلدون. وأما المؤرخون فأكثرهم من المغاربة وإن كان غيرهم قد تعرض للكلام عن سوس ولو بإيجاز.

أما المستشرقون من فرنسيين وألمان وغيرهم الذين كتبوا عن هذا القطر من سائر النواحي الجغرافية والتاريخية واللغوية والاجتماعية فعددهم لا يحصى ومؤلفاتهم لم يتصد لها بعد من يترجمها الى العربية حتى يستفيد منها الجميع. وعلى سبيل المثال نذكرها نري-دي كاستر في المجموعة الفريدة «أصول

تاريخ المغرب» وشارل دى فوكو وبروبستر في كتاب «سوس الأقصى» بالألمانية وورونى باسى ولاوست وجوستناز وغيرهم كثير. وفي مجموعة مجلة هيسبيريس التي مر الآن على صدورها ستون سنة من المقالات عن سوس ما يخرج في مجلدات.

وانني في هذه العجالة أريد أن أوجز ما قاله المؤلفون عن سوس بدون الإتيان بنصوصهم حرفيا خصوصا أنهم ينقلون عن بعضهم بعضا.

وأول ما يجب الإشارة إليه أن هذا المصطلح الجغرافي سوس يطلق عند الجغرافيين العرب على كل القطر المغربي من طنجة الى الصحراء وهو مقابل ما كان يسمى به الرومان بلادنا أي لفظ موريطانيا والذي أطلقه الوالي العام الفرنسي بالسنغال كوبودولاني على إقليم شنقيط سنة 1905. وكانوا يقسمون سوس قسمين سوس الأدنى ويمتد من طنجة إلى سفح الأطلس المتوسط. وسوس الأقصى وهو يضم كل نواحي وسط المغرب وجنوبه. وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان أنه يلزم لقطع المسافة بين القسمين شهران كاملان. ولكن مع الزمن خصص هذا المصطلح فقط للقسم الجنوبي في حين أطلق على سوس الأدنى لفظة الغرب بل صار هذا اللفظ أعني سوس يطلق فقط على النواحي الواقعة جنوب مراكش وغربها. وعلى هذا سقط الإصطلاح سوس الأقصى إذ لم يبق له موجب واكتفي بلفظة سوس للقطر الذي

يعرف بهذا الإسم اليوم والذي يضم قبائل كثيرة ومدنا مهمة مثل أكدير وتارودانت وتيزنيت هذه التي تضيف هذا المهرجان الثقافي وكذلك مراكز أخرى مثل ماسة وآكلو وتافراوت ولقد أطنب الجغرافيون العرب خصوصا الإدريسي في الكلام على مزايا هذا القطر وما يتمتع به من ثروة فلاحية وعلى جودة فواكهه من تفاح ورمان وخوخ وتين وعنب وليمون وسفرجل ولوز. أما عن قصب السكر فقالوا أنه أجود نوع وأن السكر المستخرج منه يصدر تقريبا إلى العالم بأسره وذكروا أن سوس كان ينتج كذلك زيادة على القمح والشعير نوعا جيدا من الأرز.

وقال الإدريسي أن أكثر سكان سوس من المصامدة وأنهم كانوا ينسجون ثيابا متقنة الصنع مما أكسبها شهرة ذائعة.

ولقد كان لهذا القطر السوسي دور كبير في كل مراحل تاريخ المغرب فمنذ فتحه حبيب بن أبي عبيدة حفيد عقبة بن نافع الفهري وهو ملتحم مع أحداث بقية نواحي بلادنا. وقد فتحه بعد ذلك المولى ادريس وبعد وفاته سنة 213 (828) وقد كان وزع على أبنائه الولايات المغربية كان من نصيب ولده عبد الله القطر السوسي بما في ذلك الأطلس الكبير ومدينتا أغمات ونفيس. وهو الذي أسس مدينة تامدولت بالغرب من آقا حيث

توجد أطلالها ماثلة إلى الآن وكان بها معدن نحاس كان يستغل طيلة قرون.

ولما قام المرابطون في الصحراء المغربية وزحفوا قاصدين الشمال كان سوس أول غاياتهم. وهكذا دخل القائد أبوبكر بن عمر مدينتي ماسة وتارودانت سنة 451 (1059) وفي سنة 478 (1085م) كانت كل نواحي سوس في قبضة يوسف بن تاشفين - ولئن كان المرابطون جاؤوا من أقصى الجنوب فإن مهديهم كما يعبر عنه بعض المؤرخين وأعني عبد الله بن ياسين تلميذ واجاج بن زلو من صميم أبناء سوس فهو من وايحكاك فرع من اسملالن وجهه شيخه مع أمير عينه بإشارة من العلامة الشهير أبي عمران الفاسي نزيل القيروان وقد كان واجاج بن زلو درس عليه بالقرويين بفاس قبل انتقاله الى القيروان.

وكذلك كان للقطر السوسي في مطلع الدولة الموحدية دور هام لأن المقاومة المرابطية تركزت في بسيط مراكش وكان مهد الحركة التي تزعمها المهدي بن تومرت في جبال سوس ومنها نزلت جيوش الموحدين قاصدين مراكش حيث نظم الأمير باكو ولد علي بن يوسف بن تاشفين مقاومة تلك الحملة مما كبد الموحدين خسائر جمة ولكنها في الأخير أسفرت عن استيلاء عبد

المومن بن علي على كل جبال سوس وسهوله وذلك سنة 535 (1141 هـ).

ونبغ أيام الموحدين من أهل سوس القواد الكبار ورجال الدولة المحنكون الذين وحدوا كل بلاد المغـــرب العربـــي إلى حدود مصر وأرجعوا للإسلام قوته بالجزيرة الأندلسية ومن مشاهيرهم القائد المغوار أبو حفص عمراينتي أي الهنتاتي والي الايالة التونسية وجد الدولة الحفصية التي خلفت الموحدين بعد انقضاء مدتهم وبقيت في الحكم الى القرن التاسع (الخامس عشر).

وفي أواخر الدولة الموحدية أيام المرتضى (646) - 1248/665. 1266). ثار بسوس أحد رجالات الدولة اسمه علي بن يدر وحاول تأسيس دولة تخلف الموحدين على غرام ما قام به المرينيون في شرق المغرب وبنو عبد الواد بتلمسان والحفصيون بتونس وبنو الأحمر بالأندلس ولكنه لم ينجح إلا لمدة قصيرة حيث استرجع أبو دبوس الموحدي كل ما كان استولى عليه علي بن بدر. ولكن لم يقض نهائيا على هذه الثورة إلا في أيام السلطان المريني أبي الحسن.

وفي أواخر الدولة المرينية بدأ البرتغاليون ينزلون في شواطىء سوس خصوصا في فرضة أكدير وأسسوا هناك حصنا

أسموه سانطا كروس أي الصليب المقدس أشعارا بأن هدفهم في نفس الوقت استعماري وصليبي. ومن هذا التاريخ أي مطلع القرن السادس عشر وأهل سوس يشنون الغارات لانقاذ البلاد من الاحتلال الأجنبي. ونتج عن ذلك حركة صوفية لحث المسلمين على الجهاد ونصرة الدين. فتأسست الزوايا والرباطات وكان بين تارودانت والبحر موضع كما يقال بتاشلحيت للقرية واسمه تيدسي بقبيلة اسندالن تقطنه أسرة من الشرفاء الحسنيين نزح جدهم في القرن السادس الهجري من الحجاز ونزل بدرعة بتاكمادارت وانتقل أحفاده الى سوس حيث استوطنوا تيدسي هذه التي تعتبر مهد الدولة السعدية. وتزعموا مقاومة البرتغاليين والتف حولهم أهل سوس وكان رئيسهم في أوائل القرن العاشر محمد ابن عبد الرحمن فقام بنشاط كبير وغايته تطهير البلاد من الأجانب المعتدين والتشهير بالوطاسيين وبيان ضعفهم وعجزهم عن تحرير الشواطىء المغربية شمالا وغربا من احتلال النصارى لها وقد تم له بعض ما كان يسعى إليه فبايعته قبائل سوس سلطانا على المغرب وذلك سنة 1510 م. ولما توفي خلفه ولده الأكبر أحمد الأعرج وكان لقب أيام والده بسلطان سوس وكان يسانده أخوه محمد الشيخ وقد اتخذ مدينة تارودانت عاصمة له. وتابع محاربة البرتغاليين وشن الغارات لتحرير أكدير بمعونة أخيه محمد الشيخ حتى تم له ذلك وأجلى الأجانب عن شواطىء سوس نهائيا ودخل

أكدير سنة 1541. وكان هذا النصر إيذانا بالقضاء على ملوك فاس الوطاسيين والاستيلاء على المغرب كله.

وكما أنه كان لسوس الفضل في إرساء قواعد الدولة السعدية فإن أضعافها نتج كذلك عن ثورة أبي الحسن علي السملالي المعروف بأبي دميعة وبأبي حسون. الذي استولى على القطر السوسي كما فعل ثوار كثيرون في عدة نواح من المغرب لإنشاء دول تحل محل السعديين حتى قبض الله للمغرب أبناء مولاي علي الشريف مولاي محمد ومولاي الرشيد ومولاي اسماعيل الذين كان لهم الفضل وللملوك من ذرية المولى اسماعيل من بعدهم في تحرير المغرب من الاستيلاء الأجنبي.

وكان مولاي الرشيد هو الذي أنهى ثورة السملاليين أصحاب ايليغ. وكان القطر السوسي أيام كل ملوك هذه الدولة العلوية منبعا لكثير من رجالاتها من وزراء وعمال وقواد. كما أن لأهل سوس دورا مهما في تنشيط الحركة الاقتصادية في البلاد. وهكذا لا تخلو مدينة في المغرب من تجار في مختلف أنواع التجارة. يأتون من سوس الى الآن.

أما عن الحركة العلمية في هذا القطر فذلك ما لا يمكن الالمام به في هذه العجالة وقد تكفل بذلك عالم سوس الفذ صديقنا المرحوم السيد المختار السوسي بما وضعه من مؤلفات

وعلى رأسها تلك الموسوعة الفريدة المسماة « المعسول » في عشرين جزءا وقد سألته مرة عن سبب هذه التسمية فقال لي أن الناس يحبون جميعا ما هو حلو وليس هناك أحلى من العسل. ولقد استفدت منه مدة اجتماعنا بمنفى آغبالون كردوس فوائد جمة عن سوس منها مالا يوجد في كتبه المطبوعة كخلال جزولة والالغيات والمعسول المذكور.

وكانت عاصمة سوس في القديم أحيانا تارودانت وأحيانا ايكلي أما مدينة تيزنيت هذه فهي حديثة العهد وقد أسسها المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمان عندما حرك لهذه النواحي سنة 1882م. أي منذ قرن من الزمن واننا بهذا المهرجان نحيي هذه الذكرى التاريخية المجيدة وقد « حرك » لهذا القطر مرتين آخريين سنة 1886 وسنة 1896.

وإذا كان الإلمام بما أنتجه سوس من العلماء والأدباء والأولياء الصالحين لا يتأتى في هذا الزمن القصير كما قلت سابقا فلابد لنا من الإشارة الى بعض مشاهيرهم. وقد تقدمت الإشارة الى واجاج بن زلو وتلميذه عبد الله بن ياسين الايحكاكي. ومن أعظمهم شأنا أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يالبخت الجزولي من قبيلة جزولة التي نبغ فيها عدد كبير من رجال العلم والأدب والدين وهو من أكبر علماء النحو وكان يعيش أيام

الموحدين وقد بدأ دراسته بالمغرب ثم انتقل الى المشرق قبل سنة 461 هـ وهي السنة التي توفي فيها الشيخ أبو شعيب الدكالي دفين أزمور لأن صاحب كتاب مفاخر البربر يقول : » وحكي أنه (أي الجزولي) لقي الشيخ قبل رحلته الى المشرق فدعا له فظهرت بركة الشيخ أبي شعيب عليه. « وتتلمذ في مصر بالخصوص على ابن بري. كما أخذ بالأسكندرية عن أبي الطاهر السلفي.

ولما رجع للمغرب دخل الأندلس ونزل المرية وأقرأ بها النحو وتخرج عليه علماء كبار كابن غالب المريي وأقرأ كذلك بجزائر بني مزغنة وهي عاصمة الجزائر الحالية وممن أخذ عنه ابن معط الزواوي. ثم انتقل الى مراكش وعين خطيبا بمسجدها وهناك أقبل على التدريس والتأليف وأشهر مؤلفاته المقدمة في النحو وسماها القانون وقد كتب لهذا التأليف ذيوع من كافة الأقطار الإسلامية وكان معول المدرسين للنحو عليه قال ابن خلكان في وفياته : « كان (أي الجزولي) إماما في علم النحو كثير الإطلاع على دقائقه وغريبه وشاذه وصنف فيه المقدمة التي سماها بالقانون ولقد أتى فيها بالعجائب وهي في غاية الإيجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو ولم يسبق الى مثلها واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها ومنهم من وضع لها أمثلة » (1)

1) الوفيات ج 1 ص. 498

وكذلك قال ابن الآبار عنه في التكملة : « وكان إماما مقدما في معرفة العربية لا يجارى مع جودة التفهيم وحسن العبارة وإليه انتهت الرياسة في هذا الشأن » (2).

ومن مؤلفات أبي موسى الجزولي مختصر شرح ابن جني لديوان المتنبي وقد وقف عليه ابن خلكان وذكره في وفياته ولكن الآن يعتبر ضائعا كأكثر مؤلفات المغاربة وجل ما أفلت منها يوجد بخزانات الشرق والغرب وقد أضاعه أهله.

وفي آخر حياته دخل مدينة أزمور فتوفي بها « ودفن لزيق الشيخ أبي شعيب كما قال صاحب مفاخر البربر. ولقد بقيت مقدمة الجزولي معول المدرسين الى أن خلفها مؤلف لمغربي آخر هو ابن اجروم خصوصا بالنسبة للطور الأول من التعليم.

وقد أوردت هذا الموجز عن ترجمة أبي موسى الجزولي كمثال لهؤلاء المشاهير وهو يعتبر مفخرة من مفاخر المغرب وإن كان ذكره مطموسا عندنا وينبغي في عصر نهضتنا الحالية التي يحمل مشعلها مولانا أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله أحياء هذه الأمجاد العلمية بإقامة الندوات ونشر الدراسات وطبع ما تخلف من المؤلفات لهؤلاء الفطاحل.

---

2) التكملة ص. 690.

ومن مشاهير علماء سوس أحمد بن سليمان الرسموكي من الأسرة الرسموكية التي امتد فيها العلم من القرن العاشر الى الآن. وأحمد هذا من كبار العلماء في علوم الحساب وقد وضع فيها مؤلفات كانت تدرس بالقرويين وكان عليها المعون في هذا العلم مع مؤلفات ابن الياسمين الفاسي وابن البناء المراكشي وقد توفي الرسموكي هذا بمراكش سنة 1132 ودفن بباب أغمات رحمه الله. ومن مشاهير علماء سوس العلامة الفلكي الكبير سليمان الرداني من رجال القرن الثاني عشر وقد اشتهر ببراعته في استخدام آلات الرصد الفلكية بل وباختراعه لآلات عجيبة يرد وصفها في بعض المؤلفات ولكنه بالطبع لم يحافظ عليها بما عرف به المغاربة من اهمال كما نبه على ذلك أبو حامد العربي الفاسي في كتابه مرآة المحاسن حيث قال : « أهل المغرب يدفنون مشاهيرهم تحت ركام من تراب ونسيان ».

ومن علماء سوس المتأخرين الحاج الحسين الأفراني دفين تيزنيت والمتوفى بها سنة 1328. وكان من العلماء النابهين الذين كرعوا العلم من جامعة القرويين وكان له اتصال بالملوك مولاي الحسن بن محمد ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ وكان خير مرشد للقبائل للانحباش تحت لوائهم والانقياد لأوامرهم وكانت له خزانة تذكر. ولما توفي صلى عليه الشيخ ماء العينين وتوفي بعده فقال فيهما العلامة الشاعر آخر فطاحل علماء سوس

سيدي الطاهر الأفراني من شيوخ السي المختار السوسي رحمهم الله جميعا.

مات الإمام الشيخ ماء العينين بعد وفاة الافراني الحسين
وكان ذلك عام حط الشرف فأصبحت عين العلوم تذرف

والشيخ ماء العينين هذا هو أيضا من مفاخر علماء هذه الاصقاع وهو غني عن التعريف ومقامه في الجهاد معروف حيث أخذ السلاح في وجه المستعمر منذ سنة 1900 وكان كذلك لابنائه مواقف مشرفة من أجل الحفاظ على الاستقلال والوحدة ومن جملتهم الشيخ محمد الإمام المدفون معه هنا بتيزنيت وهو مؤلف كتاب الجيش الربيض في النضال عن مغربية شنقيط الذي وضعه رحمه الله سنة 1947 وقد طبع مرارا.

ويمتاز القطر السوسي بكثرة المدارس العلمية المنتشرة في جباله وسهوله مما جعل الثقافة العربية الإسلامية تنتشر في أنحائه وتسبب عن ذلك اقبال عدة أسر على العلم بحيث تأصل فيها عدة قرون ونبغ فيها علماء أجلاء ومن هذه الأسر آيت سيدي عبد الله ويعقوب السملالي وهو جدهم وكان من رجال القرن العاشر لعلماء هذه الأسرة مؤلفات قيمة في مختلف الفنون وقد خص لذكرهم صاحب المعسول فصولا مفيدة جدا.

ومن هذه الأسر أيضا الرسموكيون والجستيميون والعباسيون وهي نسبة لتلات ن أيت عباس تنية في الطريق التي يمر بها القاصد من تيزنيت الى تافراوت وهي في قبيلة ادا وسملال.

ومن الأولياء الكبار بسوس الذين تقصد أضرحتهم من كافة أنحاء المغرب سيدي أحمد وموسى وهو غني عن التعريف وإن كان العامة لا يعرفونه إلا بأولائك البهلوانيين البارعين والذين اشتهروا بكل البلاد حتى بأوربا وأمريكا والذين يطلق عليهم اسم أولاد سيدي أحمد وموسى وهذا الولي الشهير تقام له بسوس ثلاثة أسواق كان لها دور هام في ميدان التجارة.

فالأول يقع في الصيف في الخميس الثالث من غشت الفلاحي أي هذه السنة إن كان الأمر لا يزال على ماكان في القديم فسيكون يوم ثالث شتنبر المقبل لأن اليوم فاتح غشت الفلاحي. وهذا الموسم هو الأصيل وكان هو الموسم العام الوحيد الذي لا يكاد يتخلف عنه أحد واليوم يقصده حتى أهل سوس القاطنون في أوربا ويقال له الموكرن صيف - أي موسم الصيف.

والموسم الثاني الموكر مارص وهو دون الأول.

والموسم الثالث الموكر أمجاض وأصله حفلة خاصة تقيمها قبيلة مجاط وهذه القبيلة من الخدام الخاصين لزاوية الشيخ سيدي أحمد وموسى. وفي هذا الموسم يحملون الحبوب لهري مدرستها.

وفيه يلعبون ألعابهم الخاصة ومن جملتها ترامي شبانهم بالحجر بكيفية خاصة.

ومن هؤلاء الأولياء الصالحين مولاي ابراهيم طير الجبل دفين كيك المتوفي سنة 1075. وضريحه الى الآن يقصد من كل نواحي المغرب وخصوصا من الحوز والجنوب كله. ولقد بلغ من شهرته أنه اجتمع عنده في ليلة ثلاثون ألفا من الزوار على ما حكى لي السي المختار السوسي رحمه الله ويقصده الشعراء الذين يطمحون الى التفوق في النظم ويبرعون في تانظامت ومعناها عندهم قرض الشعر.

ومن مشاهير أولياء سوس سيدي سليمان الجزولي دفين مراكش واحد رجالها السبعة. وهو مؤلف كتاب دلائل الخيرات في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو منتشر في كل العالم الإسلامي حتى قال لي مفتي الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفياتي بطاشكنت الشيخ باباخانوت : أنه لا تحلو دار عندنا من كتابين «الشفا للقاضي عياض ودلائل الخيرات لسيدي سليمان الجزولي ».

وبالقطر السوسي كذلك أضرحة لسيدات من الصالحات ومن جملتهن لالة تعزا تاسهلالت وكانت معاصرة لسيدي عبد اللـــه

بن يعقوب المذكور سابقا وهي من آل اكوسالن وقد توفيت سنة 1057 هـ رحمها الله وعلى ضريحها مدرسة علمية تمر عليها الطريق بين تيزنيت وتافراوت قبل تافات.

ومنهن لالة فاضما تاواعلاطت وكانت امرأة فاضلة عالمة مشهورة بالصلاح وكانت توصف بالفقيهة وكان بكاتبها من أبي الجعد سيدي المعطي بن صالح وقد توفيت سنة 1207 وذكرها الحضيكي في طبقاته استرادا واثنى عليها وترجم لها اليبوركي في فهرسته.

ومنهن لالة ما ماس أولت أو مانوز أي المانوزية كانت تعيش في أوائل القرن الثاني عشر ذكرها الحضيكي في طبقاته وعلى قبرها مدرسة علمية في أمانوز والمحل نفسه يسمى لالة ماماس.

ومنهن المرأة الصالحة لالة تعزا تابعقيلت من أسرة أغرابو في اداوبعقيل وقد توفيت سنة 1288 وعلى قبرها مشهد في ايت او بيجو.

ومنهن عائشة بنت أحمد الجستيمي من دار علم وارشاد وكانت فاضلة كبيرة المقام وقد رفعت راية الارشاد في عصرها

وكانت النساء يترددن عليها وينتفعن بمواعظها وقد توفيت حوالي 1361 ورثاها الشاعر محمد بن عبد الله العثماني.

هذا ومما استفدته من الاخ المرحوم السي المختار السوسي عن أحوال أهل سوس الاجتماعية والسياسية أن قبائل سوس كانت تنضوي تحت لفين أي حلفين أحدهما يسمى تاحكات والآخر تاكزولت وكان أصل اللف الأول آيت حربيل حتى أنه يطلق على هذا الحلف أيضا اسم تاحربيلت وتاحكات كأنها نسبة الى حكا (أي حوا) لذلك يلمزهم خصومهم من لف تاكوزولت بأنهم أبناء امرأة وليسوا رجالا.

ولكل من هذين الحلفين قوانين واتفاقات ويعقدون مؤتمرات يتداولون أثناءها في شؤونهم الخاصة وعلاقاتهم مع خصومهم وكان لف تاكوزولت يجتمع باليغ عاصمة اسملالن. وأخبار هذين الحلفين ترويها أشعار كثيرة كما كان الشأن عند شعراء الجاهلية حول أيام العرب. ومثل هذا يوجد عند القبائل بالأطلس المتوسط وشمال الأطلس الكبير حيث ينقسمون أيضا الى لفين ايفلمان وآيت عطا.

وأختم هذه النظر الوجيزة بالإشارة الى ماكان يربط بين علماء سوس وجامعة القرويين من روابط العلم وللسي المختـــار

السوسي في مقدمة معسوله صفحة رائعة حول هذا الاتصال حيث ذكر أن كبار علماء سوس كانوا لا يتم تحصيلهم الا بقضاء بضع سنوات فهذه الجامعة يأخذون عن أساتذتها منذ أيام واجاج بن زلو الى العلامة الكبير الأستاذ المختار السوسي رحمه الله وجازاه خير الجزاء عن كفاحه في ميداني الوطنية والعلم والسلام عليكم ورحمة الله.

الرباط **محمد الفاسي**

الوجود والبحر

محمد العربي الخطابي

«الوجود بحر لا تنقطع أمواجه.

وعامة الناس لا يرون من هذا البحر إلا لججه.

انظر كيف تنبعث من أعماق البحر أمواج لا حصر لها تظهر على سطحه بيد أن البحر يبقى مختفيا تحت الموج».

هذا هو الوجود، كما تصوره الصوفي الشهير «جامي»، وهو وجود ليس فيه من العبث شيء، فالله قد قدره تقديرا، وجعل فيه معلوما ومجهولا؛ ومجهوله أوسع من معلومه وأكبر. والعيون الناظرة فيه : إما بصيرة نافذة تخترق الأديم والموج فترى ما تحتهما، وإما قاصرة كليلة تتكسر رؤيتها عند الموج المتلاطم.

والناس في هذا الوجود المحاط بالأسرار أربعة أصناف :

صنف يعلم بالعقل وحده؛
وآخر يعلم بالقلب وحده؛
وثالث يعلم بهما معا؛
ورابع يفتقر إلى العقل والقلب كليهما.

ولما كان «الوسط» هو الموقع الذي يحبه الله فإن خير الأمور التماس العلم بالعقل والقلب معا. فبذلك يحصل التوازن. ويتسع مجال الرؤية. وتتكشف الحقائق.

ألا ترى أن الله تعالى يقول. مخاطبا عباده : **«وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة»**.

السمع بصيغة المفرد. والأبصار بصيغة الجمع. والأفئدة كذلك.

فالسمع هو أداة الإتصال الأول بالمحسوس. ووظيفته استشعار الوجود من حيث كونه موجودا.

والأبصار هي أداة الاتصال بالملموس. وهي العين الباصرة والوجدان الواعي والإحساس المتفتح؛ ووظيفة الأبصار استيعاب الوجود والإمتزاج به.

والأفئدة هي أداة التعرف إلى ما فوق المحسوس والملموس. وهي العقل والقلب والحدس الصادق؛ ووظيفة الأفئدة. فهم الوجود ومحاولة تفسيره لتقريب المسافة بين المعلوم والمجهول.

من يعلم بالعقل وحده :

مثله كمثل رجل يبحث عن كنز علم أنه مدفون في قمة جبل شامخ لا أثر فيه لشجر أو حيوان أو ماء. وغاية الرجل أن يعثر على الكنز وأن يستولي عليه. لا أن يدرك القمة ليستمتع بثمرة مجهوده وينتشي بلذة الكشف عن شيء دفين مجهول.

أعد الرجل عدة التسلق ورسم خطة الصعود وتزود بما يكفيه من طعام وماء ودثار. وأخفى الأمر عن أهله وأقربائه وأصدقائه؛ وشرع في التسلق مستهينا بالصعاب. لا يصعد خطوة حتى يقدر لها حسابها. ولا يقدم رجلا إلا بعد الروية والتفكير.

لبث الرجل صاعدا... صاعدا... يجر حباله ويثبت مخاطيفه ويحكم مواقع يديه وقدميه لا يلتفت إلى السفح والوادي. ولا يبالي بالمسافة الفاصلة بينه وبين القمة. ولا يثير فضوله تغير أشكال النحت وجمال ألوان الحجارة في ضلع الجبل.

ولما أدرك القمة كان الإجهاد قد بلغ به مداه فنزع عنه عدة التسلق ومزود الطعام وآنية الشراب. وألقى بها بعيدا وهو يروم

الاستراحة قبل الشروع في استخراج الركاز. ولم يشعر إلا وقد أخطأه التقدير في الرمي فهوت العدة والمزود والآنية إلى أسفل الجبل.

أصيب الرجل بالهلع. ثم أدركه اليأس. ثم حل به الجنون فرمى بنفسه إلى السفح حيث استقرت العدة والمزود والآنية. وبقي الكنز الدفين حيث هو. في مكانه المجهول... في قمة الجبل.

من يعلم بالقلب وحده :

مثله كمثل حَطاب صبور قنوع يلتمس عيشه من أعواد يجمعها ويحزمها فوق ظهر حماره ويبيعها في المدينة.

وكان هذا دأب الحَطَّاب كل يوم. صيفا وشتاء. ربيعا وخريفا. إلى أن جاء يومٌ أحسَّ فيه بتعب شديد. فجلس إلى جذع شجرة من أشجار البلوط قريبا من الغابة؛ ولما استقر به المكان وأحس ببعض الراحة أصاخ السمع إذ بهره تغريد الطيور وحفيف الأشجار في الأدغال. فكان كمن يكتشف سمفونية الطبيعة لأول مرة.

استراح الحطاب وأحس بالنشوة تسري في حواسه فاستبد به سلطان الأحلام وحمله على أجنحته الوردية وطاف به في مكان.

وبدا للحطاب أن يقتحم الغابة ليشاهد بنفسه الطيور التي تناهى إلى سمعه تغريدها. ونسي الحمارَ والحطبَ وطريقَ العودة وظل يتوغل في الغابة وبصره إلى أعلى حتى سجا الليل وانقض الظلام. وخرج السبع وأكل الحطاب.

من يعلم بالعقل والقلب معا :

مثله كمثل بَحّار ماهر قضى عمره يجوب البحار. ويصارع الأمواج. ويهتدي بالنجوم. ويستعين بآلات الرصد المتيسرة.

كان هذا البحار يعرف مسالك السفن وأسماء الجزر ومواقع الموانيء. كما يعرف أحوال الطقس وتقلباته. ويميز بين أصناف الحيتان والأسماك وخشاش البحر ونباته. وكثيرا ما كان يستسلم في الليالي الصافية لأحلام اليقظة. يرى الحوريات يقتربن منه باسمات ويلامسن سفينته. وأحيانا يحلم بالطعام الساخن يوضع أمامه في غرفة بيته وأبناؤه الصغار والكبار يمرحون أمامه صاخبين ضاحكين. وأحيانا يحلم بالجزيرة النائية الخضراء يصلها على شراع السلامة فيستقبله أهلها بأكاليل الزهور البرية. إلا أنه سرعان ما يصحو كلما هبتْ نسمة من شمال أو جنوب. أو عصفت بسفينته موجة خفيفة فيرفع بصره إلى السماء شاحذا ذهنه وفاتحا قلبه يستهدي ويهتدي.

وحينما بلغ البحار من الكبر عتيا، تقاعد عن العمل في بلدته الصغيرة. وصرف أيامه الأولى في التدبر والتذكر، يستعرض ما عاناه من أهوال البحر وما عرفه من أحوال الدنيا. وما لاقاه من نجاح أو إخفاق، وما تذوقه من حلو ومر. فبدا له أن يكتب ما يجول بخاطره وأن يسجل ذكرياته وما اكتسبه من معرفة. وكذلك فعل. فقسم وقته بين العبادة والكتابة ورعاية أسرته.

ومات البحار مخلفا وراءه كتاب البحر لتقرأه أجيال من بعده.

من يفتقر إلى العقل والقلب معا :

مثله كمثل تابع القافلة. يضرب في الأرض بلا غاية ولا قصد. فبينما يشد المسافرون الرحال لبيع أو شراء أو لطلب علم أو صلة رحم أو معرفة بلدان وأقوام، يسير هو على غير هدى.

ينام الناس ليستريحوا من عناء يومهم وينام هو ليستقيظ في اليوم التالي.

ينتظم الناس في ركب القافلة يرعونها ويوجهون سيرها ويشتركون في صيانتها وحفظ سلامتها. ويكتفي هو بالسير وراءها لا يعنيه من أمر القافلة إلا آثار الحوافر.

وإذ يصل كل مسافر إلى قصده وينصرف إلى قضاء ما سافر من أجله قبل أن يستعد لرحلة العودة. يبقى تابع القافلة في التيه. لا فرق عنده بين ركب وركب. فهو لا اتجاه له ولا غاية.

وإن تابعا هذا شأنه لحري به أن يدركه الموت في البيداء وهو وحيد فلا يصلي عليه ولا يواريه في التراب أحد. فتبقى جثته في العراء هدفا لوحوش الطير.

«أَفَمَنْ يَمشِي مُكباً على وجهِهِ أهدَى أَمَّن يمشي سَوِياً على صراطٍ مستقيم».

الرباط : محمد العربي الخطابي

خطة الحسبة
في النظر والتطبيق والتدوين
(القسم الرابع والأخير)

عبد الرحمن الفاسي

الحسبة على عهد الشرفاء العلويين :

إذا كانت مسيرة الحسبة تبدو لنا غير متسقة في تراتيب مختلف العهود المغربية. فإن مظاهر ازدهارها التي تطالعنا من حين إلى حين. لتنبىء عن انتظام واتصال من غير انقطاع. وعلى كل حال فما كادت هذه الخطة الشريفة تشارف بسيرها عهد الشرفاء العلويين حتى تمكنت جلوتها. وتأمن ازدهارها. فمنذ نشأة دولتهم سنة (1076هـ) استقرت لها مكانتها في التراتيب المغربية. وذلك بالرغم عن ظروف قيام الدولة. وعن استرسال وطأة وباء وفد من العدوة الشرقية واستشرى في أكثر من مدينة وقرية. فإن نهدة الملوك الشرفاء إلى توحيد البلاد والنضال عن كيانها. لم تقعد

بهم عن الالتفات إلى مثل هذه التراتيب المعاشية والإدارية وكأنهم رأوا فيها وسيلة بناء وتمكين. وكانت بحق مرآة تنعكس عليها وجهة العهد الجديد. فانتصبت خطة الحسبة في حلتها المالكية. وفي وضعية أندلسية بأعرافها. وتقاليدها. واستحساناتها الفقهية - كما سنرى بعد في صورة موكب محتسب المغرب. وفي تأثر فقهائه وجهة الأندلسيين في الحسبة التطبيقية. وفي استحسانات الأحكام الفقهية.

ومن المعروف أن مادة العمل الفاسي في الأحكام الفقهية. وهو الذي ألف فيه الناس نظما ونثرا. ووضعوا الشروح والتعاليق عليه. تقوم على ما اقتبسه أهل المغرب من عمل أهل الأندلس في الأحكام. وذلك أن عمل فاس. بل ومدن المغرب كلها. قد تبع ما كان عليه عمل أهل الأندلس. حيث درج فقهاؤها على أن المسألة إذا كانت ذات قوانين أو أقوال. ووجد النص على عمل الأندلس بقول. وعلى عمل أهل مصر أو القيروان بقول آخر. فإن فقهاءنا يرجحون القول الأندلسي.

وبفضل الذهنية العلمية الدينية لملوك هذه الدولة. التي فتحت لهذه الخطة في مدارج الإزدهار. سواء من الناحية العلمية أو من الناحية الإدارية. كتب لهذه الخطة الإزدهار والإمتداد في هذه المملكة المغربية. فالناحية العلمية شملت التأليف في كل من الجانب الفقهي النظري. والجانب التطبيقي العملي.

وهذا النشاط الفكري في الميدانين لم يتم على وجهه الكامل. إلا في المغرب والأندلس. وذلك لأن القيروان الرائدة قد وقفت ريادتها عند الجانب النظري المتبلور في كتاب «أحكام السوق» ليحيى بن عمر المتوفى سنة 285 هـ الذي انبثق من صنيعه - كما عرفنا من فصل مضى - ما أصبح يطلق عليه لأول مرة: «فقه الحسبة». وكان كتابه المذكور. المنطلق العام لتوجه العناية إلى هذا الفرع من معاملات الفقه. كما أن مالكية مؤلفه هي التي وطدت للمذهب المالكي ميزة فقه معاملاته. التي تأصلت به خطة الحسبة. وقد جاء في إحدى فقرات الفصل المشار إليه أن ازدهار الحسبة في منطقة تونس قد انحصر في نطاق المرحلة التي هيمنت مدرسة الإمام سحنون على تسيير شؤون الحسبة. وذلك أن فواجيء حوادث خراب القيروان - المشار إليها آنفا - قد جعلت حدا لسير تطورها العملي الذي يواكبه عادة التأليف في الجانب التطبيقي. فلم يصدر من القيروان تأليف في هذا الشأن. وإنما تابع فقهاؤها النظريون نشاطهم - كدأب الفقهاء - غير آبهين بالأحداث. ومن ثم كان تاريخ تونس الفكري غنيا بكبار أعلام الفقهاء النظريين دون التطبيقيين.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى المشرق. فإن المؤلفين المشارقة لم يسيروا على غرار كتاب «نهاية الرتبة» الخالص للجانب التطبيقي، فلم يكن لكتابه ما كان للمؤلفات الأندلسية المغربية من تأثير

في تطوير الحسبة. وتوالي التأليف تبعا لذلك في الناحية التطبيقية.

ومن هنا. فإن التكامل في التأليف بين الجانب النظري. وبين الجانب التطبيقي لم يتحقق إلا في الأندلس على الوجه الذي عرفنا. ثم في عهد ملوك العلويين بالمغرب الأقصى.

فمن الناحية النظرية : عرف عصرهم كبار أئمة الفقه المالكي الذين كانت لهم مشاركة في العلوم الإسلامية، وخلفوا آثارا متنوعة. مما يندرج فيها فقه الحسبة. وفي طليعة هؤلاء حافظ المذهب المالكي أبو علي بن رحال المكناسي (ت 1140 هـ). الذي كان الرجوع إليه في القضاء والفتوى. ومضرب المثل في النوازل الفقهية. وكل آثاره يندرج فيها ما يتصل بفقه الحسبة. وأشهرها أهم شرح عرف لمختصر الشيخ خليل. ومنها كتاب «الارتفاق في مسائل الاستحقاق». وكتاب «كشف القناع في تضمين الصناع». وكتاب رفع الالتباس في شركة الخماس». ومن أبرزهم أبو زيد عبد الرحمان ابن الشيخ عبد القادر الفاسي (ت 1096 هـ). ومن آثاره المرموقة في هذا الباب نظم العمل الفاسي. الذي استوعب المسائل الجاري بها العمل في الأحكام رعيا للظروف والأحوال.

وتتالى أسماء أمثال هؤلاء الاعلام الفقهاء على مدى عهد الملوك العلويين بغير انقطاع. ومن أشهرهم أبو حفص الفهري الفاسي (ت 1188 هـ). والشيخ التاودي ابن سودة شارح التحفة (ت 1209 هـ). والشيخ

بناني المحشى على الزرقاني (ت 1194 هـ)، والشيخ الرهوني المحشى عليهما (ت 1230 هـ)، والشيخ التسولي شارح التحفة (ت 1258 هـ)، وقد أغنى هؤلاء - وأمثالهم كثير - بشروحهم، وحواشيهم على تحفة ابن عاصم، ومختصر خليل، والزقاقية، هذا الفرع الفقهي بثورة فكرية طائلة.

ومما يتصل اتصالا وثيقا بالحسبة :

كتاب في الحسبة باسم «التيسير في أحكام التسعير»، وسيأتي التعريف به بعد - وكتاب «اختصار المعيار» - و«شرح على مختصر خليل باسم «أم الحواشي» - وثلاثتها لشيخ الجماعة وقاضي فاس ومكناس (123) أحمد بن سعيد المجيلدي، ثم رسالة في تحرير الصاع النبوي وكتاب «الدرر في نظائر المختصر» - ورسالة في الحسبة، وكلها لعمر بن عثمان ابن العباس الجرسيفي - وسيأتي الكلام على هذه الرسالة عند تناوله منهاج التأليف التطبيقي.

والآثار في فقه الفروع على عهد العلويين خاصة وفي العهود المغربية بوجه عام تربو على الحصر ولا يفي بها غير معجم يعطي صورة عنها، فهي متناثرة في التراجم، وكتب التاريخ العام، والخاص، وتؤلف مع مثيلاتها، في العصور السالفة ثروة علمية، لا في خصوص موضوعها الفقهي، ولكنها - وبالأخص كتب النوازل والأحكام التي تعالج

123) تاريخ الضعيف - الاتحاف للشريف مولاي عبد الرحمان ابن زيدان ج : 1، ص : 324.

قضايا واقعية ـ تعتبر مصادر عامة، ومجلى للحياة الإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وذلك بما تعرضه علينا أحيانا من أحداث أغفلها المؤرخون، وبما تجلي عنه من تقاليد وأعراف ومن بيانات متنوعة، وكل هذا من أصول مصادر التاريخ بوجه عام، بل من مصادر الأدب أيضا.

بين دعوة السلطان المولى محمد بن عبد الله إلى الأصول، وبين ازدهار فقه الفروع :

ومن شأن هذا النشاط في فروع الفقه، الذي ظل متماديا من غير انقطاع، أن يثير استفهاما حول الدعوة التي انتصب لها السلطان العالم الجليل المولى محمد بن عبد الله (1171 ـ 1204 هـ)، وأصدر بشأنها المنشور المعروف الملزم بالسير على مقتضاها، فقد يفهم منها، وهي دعوة للرجوع إلى الأصول من كتاب وسنة، أن فيها مسا بالمذهب المالكي، أو اتجاها إلى نبذ مؤلفات فروع مذهبه التي تبلور فيها فقه الحسبة ـ كما هو معروف.

والواقع في هذا أن دعوة الملك سيدي محمد بن عبد الله، لم تكن من جنس دعوة المهدي ابن تومرت، لأن الذهنيتين مختلفتان، ولأن الدعوتين متباينتان.

لقد كانت ذهنية الملك العلوي علمية دينية خالصة ومطبوعة بالأصالة.

وكانت ذهنية المهدي بن تومرت مشوبة برواسب نظريات شاردة مختلطة. ومشوشة بتأثير عقدة الإنتزاء على حكم إسلامي باسم الشرعية الإسلامية.

ولأجل هذا. كانت دعوة الشريف العلوي دعوة ثقافية خالصة خلوص ذهنيته. وكان منشوره دعوة اصلاحية بريئة براءة قصده. أراد بها أن تسد ثغرة في الثقافة المغربية على عهده. وذلك لتفادي استشراء اتجاه ضيق عقيم في التدريس والتأليف. ساد على عهد الدولة السعدية. وكاد يحصر الذهنية المغربية حصرا. ويحشر العلماء المغاربة في رعيل فقهاء بيزنطة.

ومن ثم فإن المنشور تطبعه صبغة التوجيه في التدريس. وإرادة تبسيط المناهج. وتوسيع الذهنية بوسيلة تلقيحها عن طريق الاعتماد على الأصول. وليس في هذا المنشور انكار ولا تنكر لمذهب. ولا لفروع الفقه. ولنتذكر أنه ـ قدس الله روحه ـ قد عمد في فواتح كتبه إلى النص على أنه المالكي. وكتاب «المدونة». الذي أحرقه المنصور الموحدي. كان في طالعة الكتب التي أوصى بالرجوع إليها المنشور العلوي: ومختصر خليل وشروحه ـ وهي مجلى فقه الفروع ـ قد نص في شأنها المنشور. على أنها مما لا يتجافى مع مذهبه. وإنما حذر من الرجوع إلى بعض شروح المختصر وحواشيه. التي تتنافى مع وجهة التبسيط.

وهكذا. فبين الدعوتين فرق ما بين الذهنيتين.

الجانب التطبيقي في الحسبة بالمغرب الأقصى :

وأما التأليف في الجانب التطبيقي :

ففي العهد العلوي آثار تعتبر من ميزاته. مثلما تميز بها العهد الأندلسي، وهي :

الأول : الفصل الكبير من كتاب «الأقنوم في جميع العلوم». المذكور في فصل مضى. وهو يحتوي على الأبواب التالية :

ـ من يقوم في الأسواق أمينا. ـ الكيل والكيالون للطعام وغيره. ـ الوزن والموازين ـ عملة الدقيق والخبز وباعتهما ـ الذبائح وبيع اللحم والحوت وما لحق بهما ـ العطارون والصيادلة ـ باعة العبيد والخدم ـ الصناع والصنائع والأجراء ـ الجلاس والسماسرة. وقد تقدمت أمثلة من هذا التأليف المنظوم. وذلك في سياق توضيح منهاج التأليف في الحسبة التطبيقية بوجه عام.

الثاني : رسالة في الحسبة. لمؤلفها. حسب قوله في طالعنها : (يقول العبد الفقير إلى مولاه العلي الكبير عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي).

وهي ـ كما أشير إليه سابقا ـ ثالثة الرسائل التي طبعت مجموعة مع رسالة ابن عبدون وابن عبد الرؤوف. بتحقيق المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال. تحت اسم : «ثلاث رسائل

أندلسية». والمستشرق المذكور لم يتعرض بالتعريف لمؤلف هذه الرسالة. لا في المقدمة الصغيرة. التي وضعها لهذا المجموع. ولا في الإستهلال الطويل الذي قدم به كتاب «آداب الحسبة» للسقطي. فقد أعاد في هذه المقدمة ذكر ابن عبدون وابن عبد الرؤوف الأندلسيين. واكتفى - تجاه النسبة إلى الجرسيفي - بالإشارة إلى أن إسم «جرسيف». ربما كان مغربيا. ويظهر أنه لم يكن على يقين من هوية مؤلفها. فأدرجها مع الأندلسيات.

والجرسيفي. صاحب هذه الرسالة مغربي. ومن عهد الدولة العلوية. وهو نفس عمر بن عثمان الجرسيفي. المذكور قبل في عداد المؤلفين النظريين في فقه الفروع. والمعروف بكتابه «الدرر في تحرير المختصر». وبرسالته المذكورة آنفا في تحرير الصاع النبوي. وقد استدرك بمؤلفه في الصاع ما فاته في رسالته عن الحسبة. حيث لم يذكر فيها هذا المكيال. ولم يفصل أنواع المكاييل والموازين بالأنواع والأسماء. فأعلن أن هدفه - على حد قوله - هو الإيجاز والإختصار : (124) (وان أول فصول الحسبة ومعتمدها اصلاح الكيل والوزن بالتحقيق السديد. وضبط الأشياء المتشتتة من التبديد).

---

124) «ثلاث رسائل أندلسية، ص : 120.

ورسالته في الحسبة مختصرة جدا. ولكنها خاصة بالتقنين لولي الحسبة. لا لغيره من بقية الولاة كما رأينا عند ابن الرؤوف الأندلسي. وهو يصوغ كابن عبد الرؤوف. قوانين الخطة باسم واجبات المحتسب في فقرات تصغر أو تكبر. حسبما يقتضيه التوضيح. ومن أمثلة قوانينه (125) (ويجب على ولي الحسبة أن لا يهمل أحوال الباعة، أو يوكل أمرهم إلى من لا ترضى حالته. بل يتفقد أحوال حاشيته وبطانته. ويجتهد في ذلك جهد غايته. لئلا يغتال في أحكامه بالتلبيس عليه. وقبول الرشى وغير ذلك. فيختل عليه النظام. ويهون أمره عند الإمام. لتسرع الباعة إلى الفساد. وارتكابهم للنهي والعناد).

ومسألة الحذر هذه من الأعوان الذين يعنيهم بالتلبيس. قد نبه عليها جميع المؤلفين الأندلسيين. وبالخصوص المؤلف السقطي الأندلسي. الذي كان محتسبا. فتحدث عن تلبيس المسخرين والأعوان حديث المجرب. حتى انه أوصى المحتسب بألا يخبر أعوانه بتاريخ طوافه للتفتيش في الأسواق. حتى لا يسارع أحدهم إلى تنبيه أهل الغش لقاء الرشوة. ليأخذوا حذرهم ليوم المعاينة والمراقبة.

---

125) «ثلاث رسائل أندلسية، ص : 125.

وقضية الإرشاد إلى المراقبة تقليد مرعي في مؤلفات الحسبة التطبيقية، كما أشير اليه سابقا، وتتكرر إرشاداتهم في هذا الباب عند كل مناسبة، ومن أمثلة أقوال الجرسيفي في إحدى المناسبات (126) : ويجب على ولي الحسبة أن يحتاط جهده في الطهارة في المأكول والمشروب والملابس وغير ذلك، ويتأكد الأمر في المساجد وأفنيتها، وفي الطرق المتصلة بها، والأنهار الموضوعة للطهارة في العادات والعبادات وموضع الاجتماع).

وعلى هذا النحو يسير بتقنيناته التي انحصرت في نطاق محدود، لم يشمل غير الأغذية على تفصيل في تنظيفها وانضاجها وتسعيرها، وغير بعض المصالح العامة المتعين توفرها في الشوارع والطرق، وكلها ترجع إلى قضية التطهير والتنظيف، ثم تطرق إلى ذكر ما يتعلق بالغش في بعض الصنائع من غير استقصاء، حيث قصر القول على صناعة الفخارين والكغادين. كما أنه أدمج القول في السوق في فصل ذكر الباعة من غير تفصيل أصنافهم، وقد أعطى في هذا الموضوع تقنينات عامة من شأنها أن تشمل باقي الحرف والصناعات.

وبهذه العموميات فإن المادة الفنية في التطبيق التي تتكون من الإلمام بأنواع الغش في كل حرفة ومهنة، وبوسائله وبطرق

126) «ثلاث رسائل أندلسية»، ص : 121.

اكتشافه. لم تتوفر في هذه الرسالة. فلم يتوفر له طابع النهج التطبيقي الخالص الكامل، كما أنه ابتعد عن الطابع التطبيقي. ومنهاجية مؤلفيه الذين ألفوا بمعزل عن الفقه. فهو لم يتحرر نهائيا من الجو الفقهي. وشأنه في ذلك شأن ابن عبد الرؤوف الأندلسي. وتتجلى هذه الظاهرة الفقهية في مواضع معدودة حين يريد اظهار الإهتمام والتأكيد على موضوع بعينه. فيعبر عن اهتمامه بإسناد توجيهاته بنص لأحد الفقهاء كما في قضية العقوبات. التي كانت له عناية خاصة بتقنينها. فأطال القول فيها. ودفعته نزعته في التشدد إلى الاستنجاد بأقوال الفقهاء.

وتعتبر العناية بالعقوبات على هذا الوجه من خصائص رسالته. فقد أثار مسألة العقوبة بإخراج من ظهر غشه من السوق (127). أو على حد قوله : (بطرد من لم يمتثل الأوامر) ولم تبلغ فيه الزواجر). ثم استنجد فيها بالفقه منظرا بقضية أفتى فيها

127) «ثلاث رسائل أندلسية، ص : 126. ومسألة إنزال العقوبة بالإخراج من السوق على من ظهر غشه مبسوطة عند قدامى الفقهاء، وفيها خلاف وتفاصيل حول جواز إخراجه بواسطة أهل السوق أنفسهم، أو يتولى ذلك المحتسب وهل يصار إلى هذا النوع من الزجر ابتداء أو يقصر ذلك على من كان الغش شأنه وعادته !

والنوازل في ذلك متقادمة حسب ما يعلم، وأحسب أن من أقدمها فتوى ابن حبيب.

انظر نوازل ابن سهل في باب مسائل من الاحتساب (مخطوطة الخزانة العامة ق 370 وانظر (تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر) للعقباني (خطية الخزانة العامة ضمن مجموع تحت (رقم ق 451).

الإمام مالك. فقال : (وقد أمر مالك رحمه الله ببيع المواشي المضرة بالزرع والكروم. أو تغرب إلى بلد لا زرع فيه ولا كروم). ثم قال : (وهذا أيضا من أنواع العقوبة. وان كانت في الحيوانات.

ومن اجتهاداته في العقوبات التقنين التالي (128) : (ومهما غير سعر لأحد بغشه. أو رداءته نصب عليه علم يعرف به. ليرتفع الإبهام. وتظهر فائدة الأحكام).

ومن فصول كلامه في العقوبات : (والذي يترتب على هذه الجملة مع ظهور الجرأة والاستهتار. الردع والزجر نكاية للأشرار. والأدب والنكال. يختلف باختلاف الأحوال. فليس ذوو الحرف الخسيسة. كأهل الصناعات النفيسة. ولا الجريء المتساهل كالغبي الجاهل. والناس في هذه الحقوق. كالأعصاب والعروق. فمنها ما يكفي فيه التوبيخ والدلك اليسير. على قدر السياسة وحسن التدبير. ومنها ما يحتاج إلى الفصد ووضع المحاجم. على قدر القوة وحذق الحاكم. فإن عظم الأمر. وبان الطغيان. فلابد من استعمال الكي وتبريد الشريان).

الثالث : رسالة «التيسير في أحكام التسعير» (129).

---

128) «ثلاث رسائل أندلسية». ص : 125.

129) تقع هذه الرسالة في نحو كراسة، وتوجد ضمن مجموع بالخزانة الملكية تحت رقم : 3828، وقد نشرت مؤخرا بالجزائر، بتحقيق الدكتور موسى لقبال.

ومؤلفها هو شيخ الجماعة أبو العباس أحمد بن سعيد المكيلدي (130) (ت 1094 هـ) من شيوخ الإمام أبي علي اليوسي (1120 هـ) ومن تلامذة أبي سالم العياشي صاحب الرحلة (ت 1090 هـ) كما أشير إليه في هامش سابق. وقد طالت ولايته في قضاء فاس الجديد أزيد من أربعين سنة. وولي أيضا قضاء مكناسة عام 1088 هـ. وقد تقدم ذكره بين علماء الفقه النظريين. مع ذكر بعض كتبه ومن أهمها اختصار معيار الونشريسي (131).

ورسالته هاته التي تعنينا لا تعد في الحقيقة من مؤلفات الحسبة التطبيقية. فليست لها سمات منهاجها. ولكن الهدف من تأليفها. ومسلكه فيها. والقضايا التي أثارها. كلها قد أضفت على

---

130) المگيلدي : بالكاف المعقودة، بعدها ياء، فلام فدال، فياء، وليس : «المگيدي»، بغير لام - كما جاء عند الأستاذ نقولا زيادة في مجلة «الأبحاث اللبنانية».

131) جميع الذين كتبوا عن الفقيه أحمد بن سعيد من المستشرقين ومن تابعهم، قد أسدلوا عليه ستارا من الإبهام، فقد قال فانيان في فهرسة المخطوطات بالمكتبة الجزائرية عند ذكر كتاب التيسير انه : (عمل مغربي يرجع إلى القرن الثالث عشر) وليس عند بروكلمان أي زيادة على هذا، وتعرض له المستشرق بروفنصال في مقدمته على كتاب السقطي في آداب الحسبة، فلم يزد على أن مؤلف التيسير قاض مغربي، وهو أبو العباس بن سعيد ويرجع هذا الإبهام في تعريفهم به، إلى أنهم لم يتوفقوا إلى أن الفقيه أحمد بنّ سعيد هو نفسه المگيلدي قاضي فاس على عهد أيام السعديين، ومكناسة الزيتون، على عهد السلطان الشريف مولاي اسماعيل، وذلك ما تفيدنا به جملة مصادر مغربية منها «صفوة من انتشر للافراني». و «نشر المثاني» للقادري و «سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني» و «الاتحاف» و «الدرر الفاخرة». وكلاهما للشريف المؤرخ المرحوم ابن زيدان. و «فهرسة الفهارس» للشيخ عبد الحي الكتاني. وانظر «ايضاح المكنون». و «هدية العارفين» لاسماعيل باشا البغدادي.

مؤلفه صبغة رسالة في الحسبة ومتعلقاتها التي ركز عليها المؤلفون التطبيقيون مؤلفاتهم. ثم هي ليست خاصة بالتسعير. كما يوحي بذلك اسمها. وانما التسعير أول أبوابها وأهمها. وقد استغرق أربعة أبواب. وكان الباب الخامس في المعيار الشرعي والعادي. وتلاه حتى الباب العاشر تفصيل القول في هذا المعيار (الشرعي والعادي)، وأنواع المكاييل والموازين. وما يجوز بعرف الأسواق وما لا يجوز. ومن لا يصح أن يسمح له بمباشرة البيع في السوق. وقضية منع اختلاط المسلمين في أسواقهم مع أهل الذمة. وتناول الباب العاشر والأخير الغش وما يعاقب به. والتفاصيل التي أتى بها فيما يرجع لأدوات السوق. وعوارض بيوعاته من غشوش. وما الى ذلك. هي التي أخرجته عن الفقه النظري الخالص. ولكن الصبغة العامة فقهية. ويظهر أن السنين التي قضاها في القضاء قد أصلت فيه النزعة الفقهية، فلم يكن له عنها محيد. حتى حينما حاول بتأليف هذه الرسالة أن يأتي بجديد. وذلك أن جميع توجيهاته للمحتسب يتبعها بأقوال الفقهاء. بل وحتى باختلافاتهم فيها. كما اعتاد أن يفعل في أحكامه القضائية.

وبمنهاجه هذا. يعتبر المكيلدي. كابن عبدون الأندلسي صاحب الرسالة في الحسبة السالفة الذكر. أقرب إلى الفقهاء. النظريين منه الى التطبيقيين. وبذلك كانت رسالة «التسعير» صورة طبق الأصل من مرحلة التأليف الأولى في فقه الحسبة حين

قعد وجمع لأول مرة في كتاب «أحكام السوق» ليحيى بن عمر. حتى انه كثير النقل عنه.

وفي مقابل هذا. نراه قد نقل في الباب السابع عن السقطي المالقي. الذي يعتبر كتابه قمة مؤلفات الحسبة التطبيقية. ويظهر أن اطلاعه على كتاب هذا الأندلسي هو الذي أوحى إليه بخوض غمار التأليف في هذا الموضوع. ولكن نزعته الفقهية القضائية غلبت عليه. فأخطأ «الوسطية» من حيث قصد اليها.

وهنالك رسائل أخرى مغربية ألفت على هذا العهد. في أبواب معينة. تتصل بالحسبة كالتأليف عن السمسرة. وعن الغش في الصناعات والمبيعات (132).

(132) ومن نظائر هذه الرسائل الخاصة ببعض الموضوعات الراجعة إلى الحسبة، بضعة آثار لأعلام من المغرب الأوسط، ككتاب «تحفة الناظر، وغنية الذاكر، في حفظ الشعائر، وتغيير المناكر» لقاضي الجماعة بتلمسان محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني (ت 871 هـ) شيخ أبي العباس الونشريسي وأحمد بن حاتم وغيرهما، وقد جاء في هدية العارفين (ج : 2، ص : 201) نسبة «تحفة الناظر» إلى أبي عبد الله محمد بن محمد التجيبي الشهير بالعقباني المتوفي في صفر من سنة 860 هـ وهو وهم وقد تبعه في وهمه كحالة في معجم المؤلفين، والصواب هو ما أشير إليه اعتمادا على ما هو مسجل بمخطوطة «تحفة الناظر» بالخزانة العامة بالرباط، تحت ضمن مجموع رقم : 2577 وعلى ما في مخطوطة جامع الزيتونة ـ وانظر ترجمته في البستان وفي «نيل الابتهاج».

ومنها كتاب «بشائر الفتوحات والسعود في أحكام التعزيرات والحدود»، لأبي البركات يحيى بن عبد الله، المتوفى سنة 910 هـ. الذي ألفه للسلطان الزياني أبي عبد الله محمد الثابتي، وقد تكلم فيه على واجب الحكام في إقامة المحتسب، وذكر جملة من مهامه بالنسبة للأسواق وبالنسبة للمصالح العامة، وبالنسبة للنهي عن المنكر، ومنه نسخة خطية بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم : 103.

ثمرات العناية بالحسبة والمحتسبين :

وإذا كان الباحث قد يتساءل عما إذا كان التأليف التطبيقي دافعا إلى فعالية نشاط المحتسب، أو أن فعالية نشاطه هي الدافعة إلى هذا النوع من التأليف. فإن ظاهرة عناية الملوك العلويين المباشرة بمكانة الحسبة والمحتسب ترفع التساؤل من المقام، إذ الناس على دين ملوكهم كما يقال. والإفادات التاريخية تنتصب أمامنا مرآة صافية تنعكس عليها مظاهر رعاية علوية سابغة، بعثت في المحتسب الشرعي روح الحياة. وجلت قسماته التي غيرتها أحداث الزمان، واختلاف الأنظمة والتراتيب حسب مقتضيات أحوال الدول.

ويتحدث المؤرخ أبو القاسم الزياني عن مولاي رشيد بن الشريف، فيقول : (133)

(ولما ولى الأمر أمير المؤمنين السلطان الرشيد بن الشريف وبايعه أهل فاس وجه للعلامة الأستاذ سيدي عبد الرحمان بن القاضي، ليقدم عليه، فقال لا أقدر على القدوم لكبر سني وملازمة بيتي، فقال للرسول إني آتيه، ويخرج لمحل قريب

(133) «بغية الناظر والسامع» للزياني، ورقة : 156، من مخطوطة الخزانة الملكية تحت رقم : 678.

من بيته آتيه به. فخرج لغرسة درب الدرج. حائطها موال لمسمودة. ولما قدم السلطان رشيد. فتحوا له في حائط الغرسة محلا دخل منه للغرسة،واجتمع مع الشيخ سيدي عبد الرحمن. ولما فرغ من سنة السلام. قال أتيتك لأستشيرك في من أوليه بفاس. من حاكم وقاض. ومحتسب وناظر. فقال له : أما الحاكم فلا أتقلده. والقاضي حمدون المزوار. والمحتسب عبد العزيز المركني الفلالي. والناظر العدل مسعود الشامي. ولما خرج من عنده أمر أن يبني بالمحل الذي دخل منه باب ويبقى طريقا. فهو درب الدرج. لم يكن قبله. ولما بلغ دار الإمارة. نفذ الإمارة للسيد محمد بن أحمد الفاسي. والقضاء لحمدون المزوار. والحسبة للمركني الفلالي والنظر في الأوقاف للعدل مسعود الشامي).

وافادة المؤرخ الزياني هذه تسجل مبدأ التقليد المخزني الذي استقر عليه العمل فيما بعد :

أولا : ان للمحتسب مكانته المرموقة التي يهتم بها ملك البلاد اهتماما خاصا. ان لم يكن بهذه الصورة الرشيدية النادرة الوجود. فان مبدأ الإهتمام المباشر ظل قائما باستطلاع رأي الشخصيات التي يتفرس فيها ولي الأمر النصيحة الخالصة. حتى ولو جاء الترشيح من قبل الحاكم (الباشا).أو بواسطة الوزير. حسبما جرت عليه بعد ذلك المراسيم.

ثانيا : ان المحتسب كان يأتي في الدرجة الثالثة بين ولاة المدينة. أي في نفس الطبقة التي أقامه فيها الفقهاء منذ رتبوا الولاة على أساس طبيعة عملهم. ومبلغ سلطتهم. كما سمعنا أصل ذلك من الإمام الماوردي صاحب «الأحكام السلطانية». الذي ظل منذ النصف الأول من القرن الخامس. مرجع جميع المؤلفين الذين رتبوا هذه السلطات وفق تحليلاته ومقارناته السالفة الذكر.

وقد روعيت في المحتسب الطبقة. ولم ينظر في المغرب الى ترتيبه فيها. علما بأن من شروط المحتسب أن يكون فقيها ـ وللفقيه حرمة ليست للوالي. ولا سيما ان لم يكن فقيها ـ حتى ان لقب الفقيه صار كعلم للمحتسب بالغلبة في لسان المغاربة. فكل من طلب النصفة من خصمه لدى (الفقيه) انصرف المقصود به إلى المحتسب لا إلى القاضي.

ولهذا. فإنه كان يعين بظهير سلطاني. واذا ما أسندت إليه مهمة اضافية. فإن هذا الإسناد يكون بظهير أيضا.

وفي حالات خاصة. كحالة إقراره في منصبه باثر خروجه منه لداع من الدواعي. فحينئذ يكتفى في إقراره برسالة سلطانية. وقد كان هذا هو نفس التقليد المرعي في حق الفقيه المحتسب

عبد العزيز الفقاي في توليته بعد مغادرة الإسبان لتطوان (134) حيث اكتفى السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان برسالة إقراره.

وفي كتاب للمقدس (135) مولاي الحسن الأول مؤرخ في ثامن شوال 1297 هـ. مثال من الرعاية لجانب خطة الاحتساب. كما يبدو من لهجة هذا الكتاب الموجه إلى النائب السلطاني في طنجة،الذي أخطأ التدبير حين أشار إلى العامل (بعزل المحتسب مؤقتا) ريثما يرى فيه الجانب العالي رأيه. ويتعلق الحادث بقصة دلال يهودي استولى على أمتعة الناس التي كانت تحت يده،ثم اختفى من المدينة. فعمد المحتسب إلى ولد الدلال المختفي وسجنه رهينة. رآها تنفع في ظهور الدلال الهارب. ولكن ممثل ايطاليا غضب لسجن الولد. وطالب بسجن المحتسب. وهدد بقطع العلاقات مع المغرب. ووقعت مشادة ومكاتبات. فعرض النائب السلطاني حلا وسطا قبله ممثل ايطاليا. وهو ما أشار به العامل من العزل الموقت للمحتسب. وبرر النائب تدبيره هذا في كتابه إلى السلطان (بأن فيه سدا للذريعة وتسكينا). فكان جواب المقدس مولانا الحسن الأول بهذا اللفظ بعد طالعة طويلة : (أما

134) «تاريخ تطوان» للأستاذ محمد داود، ج : 6، ص : 29.

135) «الاتحاف»، للمرحوم مولاي عبد الرحمان بن زيدان، جـ : 2، ص : 374.

فعلك ذلك لسد الذريعة وتسكين الروعة فجميل وسديد. لكن لا يخفاك أن الجرائم متفاوتة ومتباينة وكذلك الأدب. وكل جريمة لها أدب يناسبها، وتعتبر فيها المراتب والخطط. وأمر التولية والعزل مهم. فلا ينبغي الازدراء به والتلاعب. ويحتاج فيه إلى كثرة الكلام. والمدافعة والمراجعة. حتى ييأسوا أو إذا وقع ونزل به أمر يكون على مقتضاه. بعد مشقة وجهد جهيد. كما يحتاج فيه في بعض الأحيان إلى عزل مقابله كقضية الزمراني. بالصويرة. وقونصو الفرنصيص في حياة سيدنا رحمه الله وإلا فإذا كان كل من عرض لخادمه أو حارسه أو لا مرأة أجنبية عنه كهذه شيء مع حاكم من الحكام يعزل الحاكم بسببه. فإن الخرق يتسع على الولاة. وتفسد عليهم الأعمال. سيما وذلك المحل محل الباشدورات الذين لا يخفى عليهم ما هو جار من الأحكام على مقتضاه وما هو جار على خلافه وكلهم يتشوفون لمثل ما أراده المذكور. ويطلبون المساواة فيه معه. ولهم الحق في ذلك، وفي ذلك من فساد النظام في جميع المدن والمراسي والبلدان ما لا يخفى. على أن مساعدتهم على مثل ذلك لا تتأتى. وعليه فتأمل في القضية، وانظر فيها بعين الاعتبار والإنصاف. وفاوض فيها بعض الأجناس الذين تأمن اشارتهم. وإن أشاروا باعتذار المحتسب للباشادور وبإبقائه بمحله فافعل. وإن أشاروا بعزله وتأتت لك ملاطفة الطليان في إبقائه بمحله إلى أجل، ولوالي الوقت الذي

يكون فيه بحضرتنا العالية بالله. ويقع الكلام معه في شأنه فافعل. وإلا فوجهه لحضرتنا العالية بالله غير مهان والله يعينك والسلام في 21 شوال عام 1297 هـ).

وهذا تصرف مثالي في حفظ الكرامات.

ولا شك أن التقليد المرعي في الرجوع إلى السلطان لاختيار المحتسب. قد زاد في مقوماته الذاتية الشخصية التي راعاها السلطان في اختياره. فكان المحتسب لا يتحرج من معارضة الوالي إذا أراد أن يحدث شيئا يرجع إلى اختصاصات المحتسب. ولكن للمحتسب رأيا معارضا في تنفيذه. وذلك ما تعرضه علينا القصة التالية ـ التي رواها كل من الشريف محمد بن الطيب القادري (ت 1187 هـ) (136) والفقيه المؤرخ السيد أحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي (137) فرويا بلفظين مختلفين ما يلي. بلفظ الشريف القادري في عرضه لأحداث عام 1096 هـ (وفي ثامن عشر جمادى الأولى من نفس السنة أعلاه. توفي الفقيه العدل محتسب فاس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفلالي كان شفيقا على خلق الله في ولاية حسبته. كان في أيام

(136) قطعة من كتابه : «التقاط الدرر». مخطوطة في الخزانة الملكية. تحت رقم : 122.

(137) قطعة من تاريخه. الجزء : 6. ورقة رقم : 381. مخطوطة في الخزانة الملكية. تحت رقم : 1875.

ولايته أراد عبد الله الروسي والي فاس. أن يضع المكس في أسواقها وأبوابها، وطلبه من السلطان المولى اسماعيل. فأذن له فكلمه في ذلك المحتسب فلم يلتفت إليه. فلاذ المحتسب بسيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي. فامتنع من الكلام في ذلك حذرا من التعرض للولاة فألح عليه المحتسب. وقال له قصدناك لله. فواعده خيرا، والتقى مع الروسي في خفاء، وخاصمه في الموضوع فأنصت ورجع عما كان عليه من وضع المكس وكف الله هذا الضرر بقصد هذا المحتسب الخير).

هذه هي مقومات شخصية المحتسب الذاتية و«المخزنية».

اختصاصات المحتسب في عهد العلويين :

أما اختصاصات مهمته. فإن ملوك الدولة العلوية قد اتخذوا هذه الخطة في نظام حكومتهم في صورتها الإسلامية القائمة على الأمر بالمعروف. والنهي عن المنكر بشقيه **القضائي، والإرشادي.**

تناولت كل مشروع بفعل الله بالإشراف على الأخلاق الإسلامية. والشعائر الدينية. وذلك بمراقبة سدنة أماكنها في القيام بعملهم. وبالرجوع إلى من يلي أمرها من نظارات عامة أو إلى من اليهم أمر الأوقاف الخاصة.

وتناولت الاشراف على الأسواق. وعلى شؤون المدينة بوجه عام. وذلك بتأمين سلامة السكان من أي خطر قائم أو متوقع. والتدخل برفع كل ما يضايق حركة المرور فيها. أو يمس بالصحة العامة. وذلك بالتدخل المباشر مع الأفراد. أو مع من بيدهم الأمر من الولا ة. لتأمين سرعة الإنجاز. التي هي قوام هذه الخطة.

واتسع نطاق نشاطه في الشؤون الإقتصادية بوجه عام. فهيمن على كل ما يتعلق بمصالح السكان في معايشهم. ومآربهم في مجال الصناعة ومختلف المهن. وذلك برعاية مستواها المهني. ومراقبة أدوات الشغل. والطواف على الأسواق في دورات مفاجئة. للاختبار والتحقق من سلامة معايش الناس.

وبذلك. فإن الإستحسانات المصلحية التي تألفت منها مجموعة الأعراف والتقاليد. وما يطلق عليه الأخذ بالعمل. كلها قد انطلقت من التعامل في الأسواق وما يطرأ فيها من نوازل تستدعي الفصل البات بالاجتهاد الناجز القائم على الأخذ بالمصالح المرسلة عند الفقهاء.

وهكذا. فإن تلك الثروة الفقهية من جهة. والعناية بخطة الحسبة. قد أمنا لها التطور والامتداد في هذا العصر العلوي. فاستحوذت على معظم تلك الإختصاصات المتداخلة عادة بين

مختلف ادارات المدينة. وكان لها أيضا الإشراف العام. لا على شؤون السوق وأقضيته فحسب. كما حصل بالأندلس. حيث فصلت عنها مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وسميت بمفردها خطة. وإنما ظل محتسب المغرب على عهد العلويين. قائما قواما على المهمتين معا. إلى جانب الاشراف على الشؤون البلدية. والمرافق الإجتماعية من غير استثناء، وأعني المرافق التي لها ولاتها. كالعمال والقضاة. ونظار الأوقاف. كما عرفنا من طوافنا مع المحتسب. كما يبدو من خلال نظريات الفقهاء.

وكأن ظهور جدوى الإحتساب على هذا الوجه الذي تجلت به سيرة المحتسبين من فعالية، ونزاهة في تصريف مصالح الناس. قد أضاف إلى هذه الخطة اختصاصا زائدا على ما كان متعارفا. فوكلت إلى المحتسب مهمة الاشراف على صناعة البارود. وصناعها. وعمليات تصريفها.

وقد جاء اسناد هذه المهمة إلى محتسب مكناس (138) في كتاب حسني. مؤرخ في رجب عام 1305 هـ وورد فيه. بعد طالعة منوهة بحزم المحتسب وضبطه. توجيهات مفصلة فنية متعلقة بصناعة البارود وصناعها. واختتم الكتاب المولوي كما يلي :

138) «العز والصولة»، ج : 2، ص : 69.

(ويشترط أن يتحرى لخدمة ما ذكر من تحقق صدقه وأمانته. واشتهرت في اتقان صنعته مكانته. وأن يقوم على ساق الجد والاعتناء بذلك. ويسلك في هذا المناط أحسن المسالك. لأن صنعة البارود من أحسن الصناعات. والاهتمام بأمرها من أجل الطاعات. لكونها من أهم الأمور الجهادية التي تجب المبادرة إليها. ويتمكن من الإستعداد بسببها. إذ الرمي بالبارود من جملة ما يقوى الإسلام ويرهب عدوه. وقد قال تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** وحذار وحذار ممن يروم الخوض فيه «كنطر باند». فإنا نعاقبه العقوبة الشديدة. ونأمر بسجنه مدة مديدة. بعد حيازة ما يوجد بيده منه مجانا لجانب المخزن. فعليه فيما قلده من ذلك بتقوى الله. والقيام به جهد استطاعته. أعانه الله وسدده والسلام).

ونظرا لمناط هذا الاهتمام. والى قصد التوجيه الفني والتوصيات المؤكدة. يظهر أن التكليف لم يكن مقصورا على محتسب مكناس. بل كان شاملا للمحتسبين في بعض المدن التي تقام فيها دار البارود. كمحتسب مراكش الذي أسندت إليه مهمة الإشراف على بناء معمل لصنع البارود.

وفي نطاق توسيع مهامه. أسند لمحتسب فاس مراقبة مهنة طباعة الكتب. وأسند إلى بعض محتسبي الرباط. الاشراف على تعليم الإماء الطبخ. وما هو من هذا القبيل من الشؤون المنزلية.

وقد كان مدى الحزم في القيام بهذه المهام يختلف باختلاف قوة شخصية المحتسب وطبيعة نزعاته الدينية، فكانت تدخلاته أحيانا تتسم بالسلاطة، حتى أن سيرة المحتسبين قد خلفت على ألسنة الناس، وخصوصا في المدن الكبرى، كمراكش وفاس، قصصا تروى على مر الأيام.

ولقد كان الباعث لقيام المحتسبين بمهمتهم قياما كاملا، أن مصالح المجتمع كانت ترعاها وتراقب المحتسب القيم عليها، عين ساهرة لولي الأمر، الذي نصب المحتسب نيابة عنه في رعاية من ولاه الله أمر شؤونهم، فإن الوثيقة الحسنية (139) التالية، المؤرخة في 15 رجب عام 1311 هـ، قد جاء فيها بعد الطالعة التقليدية :

(وبعد، فقد بلغ لعلمنا الشريف أن المدينة تكاثرت بها الأزبال والعفونات من أجل عدم التنظيف، وكان المحتسب اعتذر عن ذلك بقلة المدخول المعين له، حيث وقع البحث معه فيه، وقد أمرنا بزيادة الثلث فيما يعطى لأجله، كما أمرنا الخديم (فلان) فنأمرك أن تشد عضدهما على ذلك وترد البال لحال التنظيف والسلام).

وفي هذا الجو كان محتسب المغرب صورة كاملة للمحتسب الذي اتسعت اختصاصات عمله، فشملت بعض ما هو اليوم إلى

139) «العز والصولة في نظام الدولة» لمولاي عبد الرحمان بن زيدان، ج : 2، ص : 146.

نظر المصالح البلدية. سواء من الناحية الصحية. أو التنظيمية. أو ما هو راجع إلى القضاء وإلى الأحباس. أو لشرطة الآداب. التي تقام في بعض البلاد.

- وجرى العمل على أن يكون مركز المحتسب الذي يباشر فيه أشغاله بوسط المدينة. وقريبا من الأسواق. حتى لا يشق على الناس الوصول إليه.

- وجرى التقليد أن يسير إلى مراقبة الأسواق في موكب من أعوانه. وبيدهم أدوات اختبار الموازين والمكاييل. وآلة المعاقبة. وهي نفس هيئة موكب محتسب الأندلس. كما عرضها علينا المقري سابقا. فكان موكبه وطوافه الدوري المفاجيء شعار المحافظة على الصالح العام.

- ومن ذلك أن عرفاء الأسواق والدلالين والسماسرة لا يباشرون مهنتهم إلا بعد إعطاء ضامن ميسور الحال يكون في عهدته ما يروج في يدهم من أمتعة الناس. تلافيا لما تدفع إليه أحيانا نزعات أهل هذه المهن في الإستغلال.

- كما أن أمناء الحرف والصناعات والباعة. الذين نص فقهاء الحسبة التطبيقية على ضرورة استعانة المحتسب بهم. لغرض إطلاعه على خفي أسرار المهنيين، وما يروج في الأسواق. قد أصبحوا تحت نظر المحتسب محكمين في النزاع المهني الذي

يقع بين «معلم الحرفة»، وبين «صناعه» أي العملة الماجورين في مصنعه؛ ونوازل الخلاف في هذا متنوعة. ومن صورها أن «المعلمين» يعمدون إلى تعمير ذمم الصناع بتسبيق مالي ليربطوهم بملازمة الخدمة والمداومة. فإن لجأ الصانع إلى التهاون الذي يعطل سير الشغل. نشأ الخلاف؛ وللأمناء في فصله أعراف تطبق على أساس ما يحف بالنازلة وظروفها. فإن لم يرض أحد الجانبين بما فصل به الأمين. أو نزع إلى المراوغة في التنفيذ. فترد القضية إلى المحتسب بالاستعجال لأصلها ولتنفيذها.

والتقليد المتبع في انتصاب هؤلاء الأمناء،أن ينتخب أهل الحرفة اثنين أو ثلاثة من شيوخ المهنة. ومن المعروفين بالأصالة في الحرفة. وبالصلاح والنزاهة.

كما أن التقليد جرى على أن يقصد المتنازعون الأمين. إما في محل عمله. إن كان ممن يزاولون شغلا. أو إلى باب المسجد الجامع اثر صلاة العصر. إن كان من الشيوخ الذين قعدت بهم الشيخوخة عن الاشتغال. فتطوعوا لهداية أهل حرفتهم والفصل فيما يشجر بينهم.

وهكذا أصبحت أشغال المحتسب والأمناء التابعين له. تمثل صورة محكمة استعجالية مهنية. تقضي في :

- جميع قضايا معايش الناس، التي تتطلب الحكم الناجز، حفاظا على صلاح المختلف فيه، إن كان مما يسرع إليه الفساد، كالمواد الغذائية، أو مما يفوت الغرض منه إن لم يبت في شأنه بطريقة استعجالية.

- جميع مشاكل المهنيين، سواء ما يرجع منها إلى ما بين الشغالين والمشغلين في شؤون المهنة، أو ما يعود إلى ما يترتب على هذا الخلاف من ديون أو حقوق مختلفة، أو فيما يرجع أيضا إلى كل نزاع بين صاحب حرفة، وبين زبناء عمله فيها.

وإن من الملاحظ أن العائدة من خطة الحسبة التي لمسها الناس في مصالحهم، قد عبر عنها موكب نزهة سلطان الطلبة الذي يقام بفاس عادة في فصل الربيع منذ أيام المولى الرشيد، فقد كان المحتسب من بين هيئة سلطان الطلبة، مثار تطلع الناس إليه، حيث يحف به أعوانه حاملين الموازين شعارا للعدل والنصفة التي يسهر عليها المحتسب لتأمين سلامة معايش الناس وأرزاقهم.

وأخيرا، فإن ظهور عائدة هذه الخطة في كل من العدوتين، لمشهود به عند المؤرخين، ولا سيما بعد امتداد مسيرتها التاريخية في بلادنا، حتى الأيام الأخيرة، مما جعل بلادنا المصدر الحي لأخذ صورة عن ملامحها الأصلية شهودا وعيانا.

وهكذا و بعد دهر طو يل من الإستقلال. و بعد ازدهار مرعت في ظلاله بلادنا طيلة أعصار. أدركنا ركب الاستعمار منذ سنة 1912 م.

فتقلص اختصاص المحتسب إلى مجرد شؤون السوق والحرف. مع بقاء هيأة الأمناء. ولكن مرجع التعيين. أصبح تا بعا لنظام الحما ية وأغراضها. ونستعير هنا فقرة الحسن الوزان الفاسي السالفة عن محتسب فاس في أواخر عهد الدولة الوطاسية. فنقول عن الحسبة في عهد الحما ية : انه (أصبح يصل إليها الأسافل بأسهل مما يصل إليها غيرهم ممن يستحقها).

وظل الأمر على ذلك إلى عهد الإستقلال سنة 1956 م. وعندها صارت اختصاصات المحتسب. موزعة على مصالح إدار ية مختلفة. غير أنه من المنتظر. وعلى رأس بلادنا ملك عالم مقدر للخطط الشرعية وأهدافها السامية. أن يعاد النظر في إحياء هذا المنصب. والعودة إلى تلك الرقا بة الشاملة. وإلى البت في النوازل بمسطرة ظرفية عاجلة. يتلافى بها مغبات الإستغلال الذي ينزع إليه أهل الحرف. كالبناء. والخياط. والساعاتي. والنجار. وكذا المنتصبون لتصليح مختلف أمتعة الناس. ا بتداء من صاحب المرأب (الكراج) إلى الرصاص. والقنواتي. واللحام.

وما من شك في أن هذه الخطة إذا نظمت على ترتيب خاص لا تتداخل معه اختصاصاتها مع اختصاص بقية الادارات التي قامت مقامها اليوم. فإنها ستسد ثغرة في نظام المحاكم الإستعجالية المعروفة في النظام الأوربي. الذي تتبناه معظم البلاد الإسلامية. وذلك أن روح مسطرة التقاضي عند الأوربيين. تقوم على التلومات والاعذارات حفاظا على الحقوق فيما يقال. ولكنها في الواقع. تفوت هدف الإستعجال الذي أقاموا له هذه المحاكم. فتضيع مطالب الناس، ويفسد مع الطول كل مبيع من الطعام. ويضيع ما فيه حق الرجوع لعيب أو خصاص. في حين أن منصب المحتسب بمقوماته الإسلامية. يمثل محكمة صلحية استعجالية للشؤون العامة وللتموين. وللمنازعات الطارئة مع المهنيين وفيما بينهم. وبوجه عام. لكل مطالب التعجيل لئلا يضيع الحق الخاص. وتفوت المصلحة على صاحبه الذي كان يتوخاها في الزمان والمكان المعينين.

ولن يكون الظفر بهذا عزيزا على من يلتفت إلى الإستفادة من تراثنا ومكارم ديننا والسلام.

الربـاط **عبد الرحمن الفاسـي**

كتاب الإحاطة لابن الخطيب

(9)

محمد ابن تاويت

وفي الصفحة 82 جاء أولها البيت هكذا :

هل للعفو تنفح نحوه يومــــا   فيضحى بالريــاض متعرفـــا

والصواب انتهاء المصراع الأول، بنحوه، ويجعل «العفو» مصدرا على وزن الغدو والنمو والبدو والعلو، وهو على اطراده في كل لازم كالقعود، غير معروف لنا سماعا. ويبقى بعدا هذا كله، جبر المصراع بنحو «من» بعد كلمة «تنفح» مضمومة الفاء، لامفتوحتها كما هي ثم جاء المصراع

الثاني للبيت الثالث هكذا : «تفديك عطفة نفسي مخبر أو معرفا» وصوابه «تفديك نفسي مخبرا ومعرفا» ولا محل لعطفة ثم جاء المصراع الأول للبيت الرابع بها والأخير هكذا :

«وتشك من جاء إليه فإنني»

وهو غامض مضطرب لا نهتدي لوجه صوابه ثم جاء بيت ثالث من أبيات أخرى هكذا :

يحسم الأمر بالسياسة والعدل كحسم الحسام للأماء

والبيت أولا مدور عند الدال من «العدل» ولعل صواب الكلمة الأخيرة منه هو «للأعداء» ثم جاء المصراع الأول لتاليه هكذا :

لو أنا سيرناه قال اعترافا

وهو لا يستقيم وزنا. ولا يتضح معنى.

وفي الصفحة 83 جاء أولها بيت هكذا :

أو رأى المنصفون بحر نداه جعلوا حاتما من البحر لاء

ولعل صوابه :

جعلوا حاتما من البخلاء

وبعده مصراع أول للبيت :

«هو أوفى من الشمول عهدا»

ولا يستقيم وزنه إلا بنحو «عهودا» ويبقى المعنى بعد ذلك على غموض ما. وكذلك آخر بعده «وحيا المزن وحيا أخاه» لا يستقيم في وزنه ولا في معناه الأشد غموضا من سابقه. ولا شك أن «أهملت» أول المصراع الثاني صوابها» هملت. وجاء المصراع الأول للبيت الخامس بها. هكذا :

وقضاة الزمان أرض لديهم

وصوابه «لديه» ثم آخر من الذي يليه هكذا :

«لتعرضت مدحه فكأني» ولعله «أن تعرضت»

وكذلك آخر بعده هكذا :

«فأنا معجم على أن خيلي» ولعله «فأنا محجم»

وآخر هكذا :

«لكساني محبرا ثوب فخر»

فهو مجزور. عما قبله وما بعده من الأبيات. لو كان على صحته في مبناه. ثم يجيء المصراع الأول من الذي يليه. بقطع همزة «أنصفته» ولا يستقيم بها الوزن. فحقها الوصل لذلك.

وفي الصفحة 84 جاء بالسطر الأول جواد بما يماري.... وخلقه سهلة (ولا شك في تحريف بعض كلماته أو تصحيفها) وفي السطر الخامس ورد «وبه تفقه» ولا محل للشولة هنا. ثم جاء أول بيتين هكذا :

ومستشفع عندى بخير الورى عندى وأولاهم بالشكر مني وبالحمد

والمصراع الثاني يجب أن يتخلص من «عندى» أوله، إذ لا يستقيم بوجوده وزن، كما أنه لا يستقيم به وزن المصراع الأول، فلا شك أنه حل بآخر المصراع الأول، محل كلمة لاتتعدى ثلاثة أحرف آخرها ساكن، مثل «أبا» ثم جاء من أبيات أخرى المصراع الثاني للبيت الثالث هكذا :

«نحيف منى للحسن أو عرفات»

ضبط نحيف بالتصغير، ولا يستقيم بذلك وزن، كما أن المعنى بعيد عنه مصغرا كان أم مكبرا، فهو محرف عن «بخيف» (وخيف منى معروف بمسجده)

ثم جاء المصراع الثاني للبيت الخامس هكذا :

«فلباك من جنا به بالجمرات»

وهو لا يستقيم لا وزنا ولا معنى وصواب ضبط «المهجات» في آخر الذي يليه، بفتح الهاء، لاتسكينها كما هي.

وفي الصفحة 85 جاء المصراع الثاني للبيت الخامس بها، ضبط «أحلل» بضم الحاء، والصواب فتحها، من التحليل ضد التحريم وفي الأول من السابع ورد «طالقة» وصوابها «طالقا» ولا يستقيم الوزن بالأولى. وصواب كلمة «أنوك» في المصراع الثاني صرفها بالتنوين «امرى» بالإضافة لياء النفس. ثم جاء البيت الثالث هكذا :

حالما أشتكي سواك طبيب   كيف أشجى به وأنت طبيب

أولا كلمتا «طبيب» يجب كسرهما، فيكونان مضافين لياء التكلم، وأشجى مبني للمعلوم، وليس للمجهول، والبيت غامض خصوصا، باتصاله مع الذي يليه، الذي يتطلب قائلا هو الله، الذي لم يرد له ذكر بهذا، مشيرا إلى قوله تعالى : **«وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان»**.

وفي الصفحة 86 جاءت «خمسماية» في السطر الثالث مصحفة. وأخيرا جاءت «ابنة» بهمز القطع، كما هي العادة في غيرها مما مضى ويأتي بعد.

وفي الصفحة 87 جاء بالسطر الأخير «يخلف» بكسر اللام، بدل ضمها.

وفي الصفحة 88 جاء أول السطر الرابع «من أولى» بفتح الهمزة والصواب كسرها وكذا اللام بعدها. وفي السادس يجب تسكين التاء من كلمة «متقن». وفي أول السابع، صواب «تسعير» تسفير بالفاء، وفي الأخير صواب «معدة» بفتح الدال لا كسرها. وفي السطر الذي يليه ورد «تطوه» ولعله «تطويه» أو «تحويه» على مافيهما من عدم تمكن بمحله. وفي الثامن ضبط «حمدت» بضم الميم، بدل كسرها وضم ما قبلها. بمتفر عن الاجادات .

وفي الصفحة 89 تصحف بنص على الهامش «ملازم» بولازم» و «منقر عن الإجادات.

وفي الصفحة 90 تحرف بالسطر السابع «أبو الطاهر» بأبي. وفي العاشر، ضبط «عمران» بضم العين، بدل كسرها. وتصحف بيت آخر الصفحة ورد فيه مصراع هكذا :

« بنفسي من غزلان غزوى وغزالة»

ولا يستقيم وزنه ولا معناه، وصوابه

بنفسي من غزلان حزوى غزالة»

وفي الصفحة 91 جاءت كلمة «النسر» أول بيت، بكسر النون بدل فتحها. وفي البيتين المذكورين بالأخير، ورد في أولهما «تلجان» وهي مشددة النون محرفة بمخففها.

وفي الصفحة 92 تحرف بالبيت الأول «ريم رامة» بفتح الراء الأولى وتنوين التاء أخيرا، ثم في الثاني ضبط «عريانا» بكسر العين. ثم مصراع هكذا :

«فما النسيب أولى من حديث علا»

ولا يتزن إلا بنحو «بأولى...» وفي المصراع الأول للبيت التالي يشدد «أملت» ليتزن البيت بذلك، ثم جاء بيتان هكذا :

ملك يخف لراجيه بنائله   على وقار يرى كالعين ثملانا
ملك ينص له الآلاء عزته   على السعادة في الدارين فرقانا

وهما لا يستقيمان وزنا ولا يتضحان معنى والمصراع الأول يمكن اتزانه بسكون لام «ملك» ولعل «ثملانا» في الأول مصحف عن ثهلانا ويمكن أن يكون المصراع الثاني «على وقار يري للعين ثهلانا». وأن «ينص» في الثاني مبني للمعلوم ثم جاء بيتان آخران هكذا :

الساحر المنطق في شتى العلوم   إذا سألت منه لوجه الرشد هانا
كسا الزمان ثياب الفضل حتى   قفا عن منكبي صرفه ظلما وعدوانا

وهما في غاية التصحيف ويمكن إقامة البيتين هكذا :

الساحر النطق في شتى العلوم إذا   سألت منه لوجه الرشد برهانا
كسان الزمان ثياب الفضل نضا   عن منكبي صرفه ظلما وعدوانا

ثم جاء بيت هكذا :

وقام يسحب أذيال الجمال على   على بساط ملكك بالاعذارجذلانا

فلا محل لكمة «على» الثانية وهي مقحمة من الطبع) وبعده ورد بيت هكذا :

خجلان بالقصور عن بلوغ مدا   من العلى بل الحسن منه قد بانا

وهو بيت كما نرى لا يستقيم وزنه، ولا يتضح معناه، خصوصا المصراع الأول في حق الطفل المعذر.

وفي الصفحة 93 ورد مصراع هكذا :

«وسح لنا من نداك معين»

وعلق عليه بأنه في النفح «لدينا» الواجب إثبات هذا وطرح غيره إذا يختل بلنا الوزن، ثم ضبط أول البيت السادس «وقصر» بضم الصاد المخفف، والصواب فتحها مع التشديد. وفي التاسع، كتب «السماكين» هكذا «السما كين» بفتح السين بدل كسرها. وجاء البيت الثالث عشر :

أما وسنى تلك الليالي وطيبها   ووجد غرامي والحديث شجون

بضم «طيبها» و «ووجد» مع أن الصواب كسرهما. بواو القسم الداخلة على «سنى» المعطوف عليه المذكوران.

وفي الصفحة 94 ورد في البيت الثامن بها «قدر» مرفوعا. والصواب نصبه. خبر كان مقدما. ثم جاء مصارع أول للبيت بعده :

«ولكن قصدنا راحة المجد دوننا»

وعلق على «دوننا» بأنه في النفخ «جهدنا» وهذا هو الصواب الواجب إثباته. وفي البيت الثالث عشر، ضبط «حييت» بضم الحاء، والصواب فتحها. وفي الرابع عشر، ضبط «وجه» بالضم والصواب الفتح. وفي السادس عشر، ضبط «بنية» بتسكين النون. والصواب فتحها وتشديد الياء بعدها.

وفي الصفحة 95 جاء أولها مصراع هكذا :

«خليلي مرا على أرض مأرب»

ووزنه لا يتم إلا هكذا :

«خليلي مرا (بي) على أرض مأرب

ثم ورد مصراع ضمن أبيات أخرى هكذا :

لذاك إذا رأيت لها شبها»

ولا يستقيم وزنه إلا بشبيها.

والبيت الأخير من هذه الأبيات مضمن. فكان الواجب أن يوضع بين قوسين، وهو من شواهد النحو. على تقديم المعطوف على متبوعه وفي السطر الرابع عشر، ضبطت «سدة» بكسر السين بدل ضمها. وفي السطر بعده. ورد «المكفولة الذيل» «والصواب «المكفوفة» وفي الذي يلي تاليه. ورد «بازاء فناءها» كذا بالهمزة في السطر. من «فنائها». ولعل «ولكنها» بعدها. حقها «ولكن» ثم ضبط «خضراء» في البيت بعد. بكسر الراء. والصواب فتحها.

وفي الصفحة 96 جاء في السطر الثاني «واينو جدها للناظرين اصفرارها» فلعل أوله مصحف عن «عنوان» وفي السطر الرابع ورد «علاتي» بضم العين. بدل كسرها وتشديد اللام. وفي التاسع جاء «كشم كف» والصواب «كفي» أي قطع كفى.

الصفحة 97 جاء في السطر العاشر «تمرك أو سبرك» والصواب

« بسرك» وفي الحادي عشر جاءت «أمثال الحكماء» بفتح الهمزة الأخيرة ثم وضعت الهمزة على «كل» بعدها. وهو من عمل الطباعة. لا شك.

الصفحة 98 وجاء في السطر التاسع «المسلتين» والصواب «المسألتين». وفي الحادي والثاني عشر. جاء :

ولواصل لديها مراتبها وأفكارها ببيانه وتبيانه عمرو بن بحر الجاحظ» ولعل فعل «شهد» سقط قبل. عمرو بن الجاحظ هكذا « ببيانه وتبيانه شهد عمرو».

وفي الثالث عشر. تحرف فعل «تجود» بالنقط. وفي آخر سطر منها. ورد «السماء» بالهمز. والصواب تركه. تمشيا مع السجعات.

الصفحة 99 جاء أول السطر الخامس «من أن الاحسان ألقاح» والصواب «لقاح» وفي الثامن ضبط «شبيب» بالتصغير. والصواب غيره. وفي آخر الحادي عشر. يجب ضبط «الا» بكسر الهمزة. وتشديد اللام. وفي الرابع عشر ضبط «شنشنة» بفتح الشينين. والصواب كسرهما. وفي السابع عشر. صواب «نسل» نسأل. وفي التاسع عشر. صواب « يعتمد» البناء للمعلوم. لا المجهول.

الصفحة 101 جاء بيت هكذا :

تعنيك نفسك فاشتغل بصلاحها   انني بغير السقام سقيم

وهو لا يستقيم وزنه، في المصراع الثاني، وصحة «تعنيك» نقط الغين كما في قوله تعالى ، «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» أما المصراع الثاني، فلعله «اني بغير سقامها لسقيم» على غموض به.

الصفحة 102 جاء بالسطر السابع «فتذكر له» ولعله «فتذكره» لأنه أظهر.

وفي التاسع مع العاشر جاء، فجالس أذنه، فقال مالك عندى» فأول الكلام لا يتفق معه، وفيه «أذنه»، بالفتح للأول فضم الثاني، ولعله «فجس أذنه » ثم «مالك» يجب أن يكون بالضم، لا بالفتح للام فيه على الابتداء.

الصفحة 103 جاء المصراع الثاني للثاني بها هكذا «نبحث ولكن عالم الكون ممتحن» فلا معنى لنبحث هنا، ولا شك في تحريفه، ولعلها بنحت، ثم جاء أول الرابع هكذا ،

«فليت كريما ينعش للناس خيره» وصوابه «ينعش الناس» أما ثانيه «يعمر فيها عمرته الآن أو حضن» فهو على كسره وغموضه متعسر متسكع، وضبط فيه «يعمر» بفتح فسكون فضم، ولعله بضم ففتح للثاني، فتشديد بفتح للثالث، وكذلك المصراع الثاني للبيت بعده الوارد هكذا ،

«ويبقى لسم سره غير مؤتمن»

ولعله

«ويبقى اسمه لسره غير مؤتمن»

على غموضه وجاء الثامن «زيادته تغض» والصواب «نقص» ثم جاء العاشر هكذا :

فياعجبا للمرء يلتذ عيشه   لزت مع الموت في قرن

والصواب «عيشة» فيستقيم الكلام. ولكن يبقى المصراع الثاني غير تام الوزن، ولا يتم إلا بنحو «تدوم وقد لزت مع الموت في قرن» وجاء الثاني للثالث عشر هكذا :

«وكل قباليه بالموت مرتهن»

بتشديد الياء، ولا معنى له ولا وزن لمصراعه إلا بنحو «وكل بقاء فهو... على ما به من قلق. وبعده جاء آخر «أرقد بها تلك المعاهد والدمن» ولعل صوابه «أحيي بها تلك المعاهد والدمن» وبعده :«وذو كلم ماتحجب السر والعلن» وضبط «تحجب» فعلا ماضيا. ولا يستقيم الوزن بذلك، زيادة على غموض المعنى فيه.

وبعده جاء آخر هكذا :

«أبا الحسن خلد في الجنان منعما»

ولا يستقيم إلا بنحو

«أبا الحسن اخلد في الجنان منعما»

وفي البيت بعده جاء «دار الغناء » ولعله «الهنا» وقبل البيت الأخير بالصفحة جاء مصراع هكذا :

تخيرها الأولياء على القنن»

وهو لا يستقيم إلا بنحو «للأولياء»، كما لا يستقيم البيت بعده وهو

وفي مثلها أن الرسول لسعد   وقد واراه أكرم مدفن

ويمكن إقامة المصراع الأخير هكذا :

«لسعد وقد واراه أكرم مدفن»

فيكون المصراع الأول قد سقط منه، ما يكون في زنة التفعلة الأخيرة .

الصفحة 104 جاء البيت الثالث والرابع هكذا :

ويبقى كما بقيت بعدك أنه لهم   فلما استهوتهم روعة سكـــن

ويحفظهم حفظ اليتيمين أيـدا   بموقع جدار قد تداعى وقد وهن

وهما على غاية من الكسر والاضطراب، تعسر فيها محاولات الإصلاح. وفي أول البيت السادس، ورد «وأسير» وصوابها «وأيسر» ثم جاء البيت قبل الأخير هكذا :

ولا برحتها ديمة مستهلة إذا   ركضتها الريح قام بها جرن

والصواب انتهاء المصراع الأول عند «مستهلة» وأخيرا لا معنى لجرن. فلا شك في تصحيفها، والصواب في «روح» بالبيت بعده، فتح الراء منه .

الصفحة 105 جاء البيت الثالث بها هكذا :

فأتى حمام لا يعاف وقوعه   ومضى غروب لا نخاف مطاره

ضبط «حمام» بكسر الحاء والصوام فتحها. وفي المصراع الثاني الصواب «غراب» لاغروب. وصواب «نخاف» يخاف بالبناء للمجهول وفي البيت الأخير بها، صواب «ان تجرأ» كسر همزة ان الشرطية.

الصفحة 106 تحرف في البيت الرابع بها «جفاء» بخفاء. وفي السادس. تحرف «بنانه» بنهاره. وفي التاسع حرف «لتشرع» بلتشرح. وفي العاشر «اتئب» باتبت. وقبله أثبت «قطك» وعلق عليه بأنه في الكتيبة الكامنة «قدك» وهذا هو الصواب الذي يجب إثباته. وفي الحادي عشر ضبط «حق» بفتح القاف والصواب ضمها. وفي الرابع عشر ورد مصراعه الأول هكذا :

فبعدما تنعى به حسنا ته»

والصواب :

«فيعيد ما تفنى به حسناته»

وفي السادس عشر ضبطت «جنة» بكسر الجيم والصواب ضمها. وفي الثامن عشر. ضبط «يهديه» بفتح الياء بدل ضمها.

الصفحة 107 جاء أول بيت بما «فيه اقتده» والصواب «فبه» بالباء. وهو اقتباس قرآني. سبقه اقتباس آخر «هذا هدى» فكان حقه لذلك أن يوضع بين قوسين مضاعفين. لكونه بنصه. أما غيره فأصله. فبهداهم اقتده» وفي الذي يليه ضبط «أرجت» بتشديد الراء. والصواب تخفيفها مع الكسر.

الصفحة 109 جاء أول السطر الخامس بها «الأُوسي» بضم الهمزة بدل فتحها. وفي الثامن عشر ورد «سنيا» بكسر النون المشددة. والصواب كونها بالتخفيف، لأن النص على النسبة إلى السنة ، لا خصوصية له عندنا بالمغرب والأندلس. إذ لم يكن بهما مذهب لغيرها .

الصفحة 110 تصحف بالسطر العاشر «القابسي» بالقانسي. ثم جاء بالمصراع الثاني من البيت الأُول فيها كلمة «يجر» بتشديد الراء ولا يتزن بها البيت. والصواب «يجري» وقبل هذا جاء بالسطر الثامن «ميسر» بصيغة اسم الفاعل. ولعلها باسم المفعوله

الصفحة 111 جاء في السطر الرابع عشر «لم يَكن الا كلا ولا » بتشديد «كلا» والصواب التخفيف. والكاف للتشبيه، وليست من الكل.

الصفحة 112 تصحف في السطر السادس «التي» بالنقط المفرد. وفي أوائل السطر الرابع عشر. تحرف «مذهبه» بالجمع.

الصفحة 113 جاء بالسطر الخامس «وقال حمل بعير» فلم نفهم وضعا لقال هنا. وحق مكانها أن يكون «فكانت» مثلا.

الصفحة 114 جاء آخر البيت الثاني فيها «حزنا» بفتحتين. ولا يستقيم بذلك الوزن. والصواب الضم فالسكون. وفي أول السادس ورد «كان» والصواب «كأن» للتشبيه، ثم جاء بالمصراع الثاني للبيت الثاني من

أخرى «علي» مشددة الياء، والصواب على مجرد حرف الجار. وجاء الخامس منها «الكتب» بفتح الكاف بدل ضمها. وفي أول المصراع الثاني من الذي يليه. ورد «وأنه» والصواب «وأن» مجرد حرف التأكيد والوصل. والصواب في «أنني» بالبيت الثامن، كسر همزته.

الصفحة 115 جاء أول بيتين فيها :

«أين وجه قول الحق في نفس سامع»

وهو تصحيف

«أبن وجه قول الحق في نفس سامع»

بالباء فالجيم وفي البيت الذي يليه ورد «الموثق» بفتح الثاء المشددة والصواب الكسر.

الصفحة 116 جاء أول السطر «أرادوا، به» ولا محل للشولة هناك.

وفي الخامس ورد «حتى لأحرق بعضها بإشبيلية» وهو غير بين ثم جاء أول بيتين هكذا :

فإن تحرقوا القرطاس لاتحرقوا   الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري

وصواب المصراع الأول انتهاؤه بالذي.

الصفحة 117 تصحف أول السطر الأخير «رئيس» بر بيس.

الصفحة 118 جاء بالبيت الثالث منها «لذى الاشراف» ولعله بالدال المعجمة. والشك في الاشراف ثم جاء المصراع الأول للبيت الرا بع هكذا :

«فلو هم الصحب أن الروح تيمها»

ولا يستقيم الوزن بتشديد ميم «هم» ولا يتضح معه معنى كذلك. ولا يستقيم إلا بنحو «فلو درى...» ويبقى الجواب بعد ذلك غير مذكور. وجاء الخامس هكذا :

يظل معتقلا من خوط قامته   بأسمر غالني منه مؤربه

جاء «خوط» بفتح الخاء. والصواب ضمها. ولا نفهم معنى لمؤربه هنا. وبعده بيت هكذا :

وذى فرند يدب الموت في شطب منه ويوحش في جنح تلهبه

جاء «فرند» بفتح الراء بدل كسرها. ثم الصواب في المصراع الأول انتهاؤه بشطب. وبعد هذا لانفهم كذلك معنى ليوحش هنا. ولعله «يومض». وفي البيت بعده. لعل «فيبصره» محرف عن «فيقصده» أخذا من الآية الكريمة في السراب «بقيعة يحسبه الظمآن ماء. حتى إذا جاءه لم يجده شيئا» وبعده جاء المصراع الأول هكذا :

«بالهند واني والذي ند توشجه»

وهو في غاية الكسر والغموض بالمعنى الاضطراب بالكتابة. ثم جاء الثاني للحادي عشر هكذا :

«يجر الفنا وجند الروح يرهبه»

ولعله :

«يجري الفناء وجند الروح يرهبه»

وبعده بيت كذا :

فمرنا والموت فيه عين عيشته   فأوج مرقى حياة الروح مرقبه

وهو كذلك في غاية الاعتياص والانكسار والاضطراب. ثم جاء المصراع الأول هكذا :

«نبدت لوايحه من بحر جوهره»

ولعله :

«بدت لوايحه من بحر جوهره»

وقبل البيت الأخير جاء أول البيت «بخاطره» وهو لا يستقيم إلا بترك الضمير. وأخيرا ورد مصراع هكذا :

«لي هواه والبعد ينهاني ويصدقني»

وهو أيضا لا يستقيم لامبنى ولا معنى.

الصفحة 119 جاء البيت الثاني بها هكذا :

وللصبابة أقوام وموردهم بها   من الأنس أحلاه وأعذبه

ونهاية المصراع الأول ينبغي أن تكون «موردهم»، ثم جاء المصراع الأول للخامس هكذا :

«بذات أهيف من سر الحياة»

ولا يتم إلا بنحو «له» ثم جاء أول الحادي عشر «وفي مصافات» بتشديد الفاء، ولا يستقيم بذلك. ولعله «مصافاة» وورد الذي يليه هكذا :

فيرتقى في مراقى الجمع مختطفا   إلى المقام الذي عند بغيته

ولا يستقيم معنى ولا وزنا ولا قافية وهي على الباء وفي الذي يليه صواب «أن» إن الشرطية، ثم جاء في الثاني من أبيات أخرى «بريقه» والصواب «بريقة». وجاء في الذي يليه «فسحره» والصواب «فبسحره». وجاء المصراع الثاني للرابع هكذا :

«لصد لكان من الصدا يشفيه»

شدد الدال أولا. ولا يستقيم إلا بتخفيف الدال. والضمة في شين «يشفيه» خطأ آخر. ثم جاء مصراع ثان لأول بيتين في نهاية الصفحة هكذا :

«لمن لم ينبيك حبك للممات»

فوزنه أولا غير مستقيم. ولعله : ألم ينبيك ويبقى «للممات» غير واضح.

الصفحة 120 جاء آخر البيت الأل بها «وبالآيات» ولا يستقيم بها وزن. والصواب «والإياة» بالهمزة المكسورة. وهو ضوء الشمس. وفي الثاني ورد «أحللت» بتاء التكلم. والاوفق تاء الخطاب. وفي آخر «بث الجهات» والصواب «بين الجهات». وفي البيت الرابع عشر. تحرف

«استقصى» باستقضى، وفي آخر سطر ورد «مغربه» والصواب «مقربه» بالقاف وتشديد الراء المفتوحة.

الصفحة 121 جاء أول سطر بها «رد» بالبناء للمجهول، والصواب للمعلوم، فيكون نصب «معظمها» صوابا، وإلا فلا، وهو لا يناسب.

وفي آخر السطر الثاني تصحف «رأيت» بالنقط. وفي الحادي عشر، تصحف «الشريشي» بالمشريشي.

وفي آخر سطر، جاء «ولم يكن اليوم على الزجاجي أجدى منها» ولعله : ولم يكن إلى اليوم (أو حتى اليوم) أجدى منهما أي الشرحين الصغير والكبير.

الصفحة 122 جاء بالسطر العاشر «وفي لسانه نبلى» ولا شك أن هذا تحريف لم نهتد لوجه الصحة فيه. وفي الثالث عشر ضبط «الغزاة» بفتح الغين، وتقدم نحوه كثيرا، وصوابه الضم. وفي العشرين، تحرف «نقسه» بالفاء، بدل القاف، وفيما بعد جاء «الطور» ولا معنى له، ولعله السطور.

الصفحة 123 جاء في مصراع أول لأول خمسة أبيات «منظما» بسكون النون وكسر الظاء، والصواب الفتح فيهما مع التشديد للأخير. ثم جاء في الثاني للثاني «أولاها» بفتح الهمزة والصواب ضمها. وجاء أول

وفي البيت الذي يليه ضبط «المعين» بفتح العين، والصواب كسرها، من أعان يعين.

البيت الأخير «فلانجزن» بفتح الهمزة بدل ضمها. ثم جاء بيت ثاني اثنين هكذا ،

«هل لذاك الوصل مرتجع أو لهذا البحر منصرف»

والصواب في الأخير ، أو لهذا الهجر منصرف ثم ورد المصراع الثاني لأول آخرين هكذا ،

وما حاز من غنج ولين ومن غيد

بفتح غين ونون «غنج» والصواب الضم ثم التسكين. وفي الأخير ورد «غيد» بكسر الغين، والصواب فتحها وفتح اليـاء بعدها، أي النعومة.

الصفحة 124 ضبط أول المصراع للثالث «أمر» بتشديد الراء، والصواب فيه أنه مصدر الأمر، مضوما أو مفتوحا، حسب التقدير في ذلك، وهو في جملة اعتراضية بالمصراع. ثم جاء المصراع الثاني للسادس هكذا

«إلى عهد اخوان للزمان ركون»

ولا يستقيم إلا بنحو «الزمان» ثم جاء بيت هكذا ،

فلما تثغن من ذرى وفاء بعهده فقد أجن السلسـال وهو معين

ولعله هكذا ،

«فلا تثقن من ذى وفاء بعهده»

ثم يضبط «أجن» بتخفيف النون، لا بتشديدها، كما أثبت خطأ ثم جاء المصراع الأول للذي يليه هكذا :

«أذلني عذر في فراق ضلوعه»

ولا يستقيم وزنا، ولا يظهر معنى «أذلني عذر في فراق ضلوعه» وفي البيت الأخير، ضبط «فأشم» بكسر الشين، والصواب ضمها أو فتحها.

الصفحة 125 ضبط بالسطر السادس «الأُخذ» بضم الهمزة، بدل فتحها، ثم سقط أول السطر العاشر «من» وفي آخر الحادي وأول الثاني عشر، جاء «مشاركا في علم التصوف» فالغالب أن مشاركا محرفة عن غيرها، خصوصا أنها سبقت «مشاركة في كثير (من) العلوم» فالمشاركة في العلوم معقولة، ولكن المشاركة في «علم التصوف» ليست كذلك، وفي الخامس عشر جاء «مشغوفا بالأنس» ولعله شغوفا»... على جواز الأول في ذلك.

الصفحة 126 جاء بالسطر الخامس «فنأى بها» وعلق عليه بأنه في النفح «فناء» وهذا هو الواجب إثباته، كما في القرآن «لتنوء بالعصبة أما فنأى» فهي بمعنى آخر يناقض هذا، كما في القرآن «أعرض ونأى بجانبه» «وهم ينهون عنه وينأون عنه» وفي السطر الرابع عشر، سقط «معشر» في قوله : وكل ما ظهر علينا (معشر) بنيه.

الصفحة 127 تصحف في السطر الثالث «نسيج» بترك النقط للجيم.

الصفحة 128 ينبغي ضبط «وقرب» في البيت السادس بالبناء للمجهول، مع تشديد الراء.

الصفحة 129 تحرف في البيت الثاني بها «لتأويب» بتأديب. وفي الرابع تصحف «دائم» بداثم، وفي السادس ورد «فليبصرون وعلق عليه بأنه في النفح «فليصبرن». وهذا هو الصواب الذي كان الواجب عليه أن يثبته ولا معنى لغيره، في الذي جاء به. فإن كان يقلد المستشرقين، الذين يثبتون ما يجدون، فإنما هو تقليد للعميان، الذين لا يفهمون العربية، فوجب عليهم لذلك العجز أن ياتوا بما يجدون، لامجرد نزاهة وأمانة علمية، كما يزعم الزاعمون، بل لعجزهم أولا، وتظاهرهم بغيره ثانيا. فلو كانوا مدركين لها لما أتوا بما لا معنى له فيها وإني ليخامرني الشك ويساورني الريب في تقدير قيم كثير من الناس الذين اقتحموا الميادين. فجالوا وصالوا بها، وسرهم قلمهم، فما لامهم ضميرهم.

ثم جاء مصراع هكذا :

قصرت عبارة فيه عن وجدانه»

بعدم صرف عبارة للضرورة، ونادرا ما يقع هذا، وان نص على وقوعه سيبويه في كتابه، والذوق يتحاماه وينبو عنه. والصواب في «لجلاج» الواقع بنهاية البيت، انه بفتح اللام، لاكسرها، كما اثبت.

ثم آخر هكذا : «فتراه يهبط في الظلام الداجي» وعلق عليه بأنه في النفح «يخبط» وهذا هو الصواب الواجب إثباته وجاء آخر البيت الحادي عشر «بأجاج» مفتوح الهمزة. والصواب ضمها. ثم أول الذي يليه «ولئن تحظاه القبول» والصواب تخطاه بالطاء المهملة. وفي أول المصـــراع الثاني للرابع عشر، شددت راء «تعرج» مكسورة. والصواب ضمها بالتخفيف. وفي السابع عشر، ورد بالثاني «أنتجا» والصواب «أنتجتا».

الصفحة 130 جاء بالبيت السادس بها «من آل قبلة» والصواب «قيلة» بالياء المثناة وهي ابنة كأهل، وأم الأوس والخزرج. وجاء في ثاني أبيات أخرى «اللقبي» والصواب «القسي» ثم جاء البيت الثالث هكذا :

أو كالسحاب تسير مثقلة   بما حملته من سقيا البطاح دوالحا

والصواب انتهاء المصراع الأول عند «بما» وبعده. جاء «محيا» بضمة على الياء، من الطباعة وورد في الثامن «الألى» بفتح الهمزة بدل ضمها. ثم في الذي يليه «سباقه» بالضم صوابها الفتح.

الصفحة 131 جاء بالبيت الأول بها «ألا» بفتح الهمزة والصواب كسرها، ثم جاء «صرفا» وصوابه «طرفا. بالطاء المشالة وأول الثاني جاء «وأنا أتيت القبر» والصواب : وإذا أتيت القبر، ثم جاء المصراع الثاني للخامس هكذا :

«قطعت سباسبا بلقعا وضحاضحا»

ولا يستقيم «هكذا، وصوابه :

«قطعت سباسب بلقع وضحاضحا»

وجاء السابع هكذا :

وتعرضوا لعوارض عرفية هبت   بها تلك الرياح لوافحا

والصواب انهاء المصراع الأول بعرفية، وصواب «لوافحا» بالقاف لا الفاء.

ثم جاء مصراع هكذا :

«وآووا إلى الحرم الشريف فطافحا»

وصوابه هكذا :

«وأووا إلى الحرم الشريف فطائفا»

وبعده صواب «سقوا» ضم سينه، لافتحه كما هو.

الصفحة 132 جاء بالبيت الأول «فكفوا» مضبوطا بضم الفاء بدل فتحها.

وفي أول الثالث «كان» والصواب «كانوا» وأول الخامس «وسما» والصواب «وسماء» بالهمزة، وجاء مصراعه الثاني :

«سمكوا له سماكا رامحا»

ولا يستقيم إلا بنحو

«سمكوا به لهم سماكا رامحا»

وفي أول الثامن ورد «وأمامة» بضم الهمزة، والصواب كسرها. وفي أول العاشر، جاءت «كفت» بالتخفيف، والصواب التشديد وجاء آخر المصراع الأول للحادي عشر «كالبا» والصواب، كالئا» بالهمزة أو بالياء. وجاء البيت السادس عشر هكذا :

وفيته قربانه وصلاته وأقمت   فيه شعايرا وذبايحا

والصواب انتهاء المصراع الأول بصلاته، بفتح الصاد، لا بكسرها، كما هي . وجاء آخر البيت قبل الأخير «المطارحا، وصوابه «المتطارحا .

الصفحة 133 جاء في البيت الثاني من القصيدة «قصرت» بتخفيف الصاد والصواب التشديد.

وفي الرابع ضبط «كم رمت» بضم التاء، والصواب فتحها، وصواب «أفضالها» آخر السادس كسر الهمزة فيه.

ثم جاء أول الثامن «فوحبها» بضم الباء والصواب كسرها للقسم. وفي أول المصراع الثاني منه، ينبغي تشديد نون «للتجشمنك» وبعده «حسنت نظم المشعر في أوصافها» بضم سين «حسنت» والصواب الفتح والتشديد، ثم «المشعر» محرف عن «الشعر» وكذلك «قبحت» في المصراع الثاني، وصواب «وصلها» بالذي يليه كسر اللام، لا ضمها، كما أثبت، وجاء أول البيت السادس عشر «وصمها» والصواب «وصميمها» وفي المصراع الثاني لهُ،

جاء «وخلقا» بضم اللام، تسكينها. وفي آخر البيت قبل الأخير ضبط «سلسالها» بكسر السين، والصواب فتحها.

الصفحة 134 ورد البيت الرابع هكذا :

«فبسفيه و بسيفه نال المنا»

وعلى على «نال» بأنه في النفح «نلت» وهذا هو الصواب كما أن الصواب في أوله «فبسيبه» بالباء لا بإلقاء وفي البيت السابع يجب أن يضبط «قصرت» بتشديد الصاد، ويضبط «الأجاج» بضم الهمزة وفي آخر السابع عشر يجب أن يضبط «ظلالها» بالفتح.

الصفحة 135 جاء آخر البيت الأول بها «سربالها» بتشديد الراء، وفي أول المصراع الثاني من الثالث تحرف «تعتمد» بالنقط وجاء أوله من الرابع «جردا» بضم الراء، بدل تسكينها. وفي التاسع ينتهي المصارع الأول منه بالهمزة من الأملاك إلا الميم.

وجاء في البيت الأول من أخرى «تفض» بضم التاء والصواب فتحها، ثم جاء آخر الثالث «مورسا» بكسر الراء والصواب فتحها وجاء أول الأخير بها «عمر» بسكون الميم والصواب ضمها.

الصفحة 136 جاء آخر البيت الثالث منها «الأسا» بفتح الهمزة، بدل ضمها، جمع أسوة. وجاء المصراع الأول للسادس هكذا :

«وأطمع في أن يلقى برحمته الرضى»

ولا يستقيم الوزن إلا بإسقاط «في» وصواب المصراع الأول من العاشر انتهاؤه عند «ناظري» ومنه للحادي عشر ضبط «الشكل» بفتح الكاف، ولا يتأتى بذلك وزن، والصواب تسكينها والأولى ضم الثاء فلا يكون تسكين تاليها للضرورة وكذلك الأول للثالث عشر، ضبط «نضرا» بكسر الضاد، والصواب تسكينها.

وجاء آخر السابع عشر «ماعسا» والصواب «من عما».

الصفحة 137 جاء بالسطر الثالث «وكتب إليه» والصواب «وكتبت إليه». ثم جاء في البيت الأول من بيتين «الرمق» بكسر الراء بدل فتحها وجاء المصراع الأول لأول بيت من قصيدة هكذا :

«سقاني فأهلا بالسقاية والعناق»

وعلق عليه بأنه في النفح «بالمدامة والساقي» وهذا هو الصواب، والأولى بما انتهى المصراع الثاني منه بكلمة «ساق» مكسور القاف.

وفي آخر البيت الرابع جاء «حظها الباقي» والصواب «خطاها» بالطاء المهملة. ثم جاء المصراع الثاني للثامن هكذا :

«بها بعد ما للشبيبة مهراق»

فصوابه «ماء» بإثبات الهمزة، ثم ضم ميم «مهراق» لاكسرها. وفي أول الحادي عشر، ورد «تهادى» بضم التاء والصواب فتحها. وجاء قبل

البيت الأخير «سحب» بضم السين والصواب تسكينها للوزن، وفي الأخير ضبطت «خشية» بكسر الخاء بدل فتحها.

الصفحة 138 جاء بالبيت الثاني «تبرمت» والصواب «تبرجت» بالجيم. وفي البيت التاسع سقطت الباء من «قلبي»، وفي الثاني عشر، ضبط «الدين» بكسر الدال، والصواب فتحها. وفي أول البيت الذي يليه، ورد «فخذ زمامي» والصواب «فخذ بزمام وفي آخره » بمعهود وإشفاق» والصواب « بمعهود إشفاق» بالإضافة لا بالعطف. ثم جاء البيت الثاني من أخرى هكذا :

فلله عينا من رآنا وللحيا حيي بآفاق البشاشة أو مضا

وصواب المصراع الأول انتهاؤه بالحيا، وعلق على «حيي أنه في النفح «جني» وليس كذلك . بل «حبي» بالحاء والباء، كما في المعلقة :

أصاح ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل

الصفحة 139 جاء أول بيت بها «ذعرت حمى» بكسر العين، بدل فتحها، وبالميم المشددة بالكسر. وصوابها الفتح والتخفيف .

وفي الثاني ورد «صاب مزنة» والصواب «مزنه» بالهاء ولا نقط.

وفي الثالث جاء «تلالأ نور للصداقة حافظا» وعلق على «نور» بأنه في النفح «نورا» وهذا هو الصواب الواجب إثباته لا غيره. وفي البيت السابع تصحف «رضى» بترك النقط. وفي التاسع ضبط «يحل» بضم الياء،

والصواب فتحها. وفي أول السادس عشر ضبط «ولا مثل» بالضم، والصواب الفتح، وفي الذي يليه ضبط «مذهبا» بالتشديد والصواب التخفيف.

الصفحة 140 جاء آخر البيتِ الأُول «المغمضا» بتسكين الغين وكسر السين، والصواب الفتح ثم التشديد. وجاء المصراع الثاني للرابع هكذا :

«فأبقى يدى تسليمه لي مفوضا»

والصواب «فألقى»، وأخيرا «مفوضا بالتشديد، ثم جاء المصراع الثاني للسادس هكذا :

« بحال وان رأيت فما أنا معرضا»

وصوابه :

« بحال وان رابت فما أنا معرضا»

وفي آخر بيت من هذه، جاء «الدجنة» بفتح الدال المشددة، والصواب ضمها وضم تاليها.

ثم جاء بأول بيت من أخرى «الشمطاء» بالهمز، والصواب تركه، للوزن والمناسبة للروى. ثم جاء مصراعه الثاني هكذا... ساورتها حية رقطا وعلق على هذا بأنه في النفح... ساورت ياحية رقطا وهذا هو الصواب ، ولا معنى لغيره. وجاء أول السادس «فرافقت» وصوابه بالواو هكذا «فوافقت».

الصفحة 141 ضبط «القسطاء آخر البيت الأول بفتح القاف، بدل كسرها. وفي الثاني ضبط «أن أغوى» بفتح الهمزة بدل كسرها.

وفي الثالث ورد «تداني عن الدنيا» والصواب من الدنيا». وفي آخره، يضبط «شحطا» بتسكين الحاء، لا فتحها. وفي السادس جاء «عماية» بكسر العين، والصواب فتحها. وفي المصراع الثاني منه ورد «أوعيت» وعلق عليه بأنه في النفح «أودعت» وهذا هو الصواب وصواب «سجنها» بعده «سحتها». وفي العاشر، ورد «حبطت» بفتح الباء، والصواب كسرها. وفي آخر الثاني عشر ينبغي تشديد طاء «الخطا». وبعده يضبط «السبطا» بضم السين، لافتحها. وفي السادس عشر ورد ضبط «سبطه» بفتح السين بدل كسرها.

الصفحة 142 جاء المصراع الأول للبيت الثاني بها هكذا:

«وحاشيتها من كل ما شأنها فإن»

ولا معنى للشأن هنا والصواب أنه فعل ماض، من شان يشين، بلا همز. وفي البيت الأخير من القصيدة، جاء ذر شارق» بالدال المهملة. وفي آخره «لغطا» بفتح الغين وصوابها التسكين، للوزن. ثم جاء أول بيت من قصيدة أخرى «أقسم» بفتح الهمزة بدل ضمها. وفي الأخير صواب «طيىء التنوين وصواب المصراع الأول من الثالث أن ينتهي عند الياء الأولى من «الرقيات» وفي البيت الرابع علق على «خزاعة» بأنه في النفح «خزانة».

وليس الأمر كذلك. بل هي في النفح كذلك اللفظ الأول. وصواب المصراع الأول من الخامس أن ينتهي عند السين الأولى من السرى. وفي أول السادس ورد «واختم» بهمزة القطع. ولا يستقيم الوزن إلا بالوصل. وسقطت الباء من «وبسحبان» ولا يستقيم الوزن بدونها. وفي آخر المصراع الأول منه، ورد «فإن» والصواب «وان» بالواو. ولا يستقيم المعنى بالفاء، ثم جاء من البيت الذي يليه هكذا :

«وحليتي نثرهم ونظمهم»

بضم النثر والنظم. والصواب كسرهما بالإضافة. وفي التاسع جاء «الحسني» والصواب «الحسنا» الممدودة.

ثم جاء من العاشر هكذا : «تجمع من يراعة المعنى إلى» بتشديد «تجمع» ولا يستقيم الوزن بذلك. كما لا يستقيم المعنى بيراعة بالياء، وصوابه الباء المفردة. وكذلك الشأن في اليراعة الثانية الواردة أول المصراع الثاني، فهي بالباء أيضا.

الصفحة 143 جاء المصراع الثاني، لأول اثنين هكذا :

«وما أن يعهد الصبا من قدم»

بفتح همزة «أن» والصواب كسرها. وبعدها «يعهد» بالياء، والصواب الباء المفردة.

وفي آخر البيت الثالث لأربعة «جاء» بالقطيعة» وعلق عليه. بأنه في النفح «القطيعة» فلم ندرك الاختلاف بينهما. هكذا : اللهم الا أن

يريد أنها بالنفح واردة بدون باء، فهذا ليس بالنفح ولا يمكن أن يكون به، لأن الوزن يختل بدونها.

وفي آخر المصراع الأول لأول سبعة أبيات، سقطت الهاء من «مقصوده» وفي أول الثالث منها جاء «وليفنين» بتشديد النون وبه لا يستقيم وزن البيت، فحقه التخفيف. ثم انه علق عليه بأنه في النفح «ولينفين». وهذا من ناحية المعنى هو الصواب الواجب اثباته هكذا «ولينفين عن نفسه»، أما غيره فلا معنى له . وقد وقفنا عنده لمجرد الوزن فقط، وإلا فإنه محرف كما رأينا. وان كان قوله بعد «وفي ذاك الفناء وجوده» مما يخدع المتشبث بتلاعب الألفاظ. ولكن لا انسجام نراه في «ولفنين عن نفسه» حرف «عن» معه.

الصفحة 144 جاء المصراع الثاني لأول ستة بها هكذا :

«ما اسم الأنثى من بني يعقوب»

وصوابه :

ما اسم لأنثى من بني يعقوب

وفي البيت الثالث ورد الاسم بهمزة قطع، شأن غيره فيما تقدم كثيرا. ثم تلاه «أنثى» بفتح الهمزة بدل ضمها. ثم سقطت الهمزة من «الحياء» بالبيت الخامس، فانكسر بذلك البيت. وفي السادس ضم واضحة

من «فهاكها واضحة» والصواب فتحها على الحالية، وأسرارها فاعل بواضحة، وان كان ممكنا تقدير «أسرارها» مبتدا هي خبره، والجملة حالية، بدل أن يكون المفرد.

الصفحة 145 حق المصراع الأول من السادس أن ينتهي عند الباء من «سبعة» ومن الأخير انتهاؤه عند الزاي من «ألغزت» وجاء أول الثالث من ثمانية أخرى «وهو إذا خففته» والصواب حققته بالقاف، لا بالفاء ، كما أثبت. وصواب المصراع الأول من البيت قبل الأخير، انتهاؤه عند اللام من «الأفضل».

الصفحة 146 جاء أولها بيتان، جعلا بيتا واحدا هكذا :

ما اسم إذا حذفت منه فأه المنوعة. فانه بنت الزنى مضافة لأربعة

وحقهما هكذا : ما اسم إذا حذفت منه فأه المنوعة.

فانه بنت الزنى مضافة لأربعة

وجاء البيت الخامس لثمانية أبيات هكذا :

وقلبه مصحفا عليه دارت السنـــــــــون

وحق المصراع الأول أن ينتهي عند «مصحفا» وفي النفح «قلب اسمه مصحفا»، والنتيجة واحدة؛ هي النهاية عند (مصحفا» ثم جاء مصراع هكذا «كانت به في مضى»

والصواب :

كانت به فيما مضى

وورد في الثاني من ستة أخرى «جاء» بكسر الهمزة.

وجاء أول الخامس «بشركها» والصواب الياء. وصواب «قضب» بالمصراع الثاني منه، تسكين الضاد.

وفي السطر قبل الأخير، صحف «زبيب» وأخيرا سقطت همزة «الماء» من البيت الأخير بها.

الصفحة 147 جاء آخر السطر الثامن «أجزاء» بزيادة الهمزة والألف أولا من الطباعة غالبا. ثم ضبط «السقم» بالبيت الثاني من القصيدة بفتح القاف والصواب تسكينها.

الصفحة 148 جاء بآخر المصراع الأول من الثاني «خطبها» والصواب «خطيها» بتشديد الطاء والياء. وفي أول المصراع الثاني للتاسع ضبط «حرما» بضمتين، والصواب الفتح مكانهما. ثم جاء بيت هكذا :

ما كنت أحسب قبل نعشك أن   أرى رضوى تسير على الأعناق

وصواب المصراع الأول انتهاؤه عند «أرى» ثم زيادة «به» بعد «تسير» في المصراع الثاني، وأخيرا جاء مصراع هكذا :

«ياغوث من وصل الضريح فلم يجد»

وصوابه : «ياغوث من وصل الصريخ فلم يجد»

الصفحة 149 جاء في أواخر القصيدة «صبرا بني الجياب فقيدكم» والصواب صبرا بني الجياب إن فقيدكم.

وأخيرا جاء مصراع هكذا :

«فأطنابه قد قوضت دعائمه»

ولا يستقيم لا وزنا ولا معنى، وصوابه :

«فأطنابه قد قوضت ودعائمه»

بواو العطف.

الصفحة 150 تصحف أول البيت الثاني منها «وثلت» بثلث. وفي آخر السادس، جاء «قطب باسمه» بالبناء للمجهول، بدل المعلوم وفي التاسع جاء «عراره» والصواب «غراراه». وفي أول الخامس عشر جاء «لبيك» بتشديد الباء، والصواب «ليبك» بلام الأمر للبكاء وتكرر هذا التحريف في الأبيات الخمسة بعد هذا البيت. وفي أول المصراع الثاني للسابع عشر، يجب وضع الهمزة على «يحلأ» وبهذا يتزن.

الصفحة 151 جاء أول بيت بها «الجسم» بفتح الجيم. وفي آخر المصراع الأول للرابع، نقطت «هاء» حبره، خطأ. وفي أول الثاني من التاسع أبهم «أبي» بترك النقط. ثم جاء بعده مصراع هكذا :

«رآها برأي يصدع الحق ناجمه»

وعلق على الحق، بأنه في النفح «الخطب» وهذا هو الصواب الواجب إثباته، ولا معنى لغيره. وجاء أول الخامس عشر «سقيت» بالبناء

للمعلوم، والصواب بناؤه للمجهول، وقبل البيت الأخير، جاء أول المصراع الثاني «فوقد» وصوابه «توقد».

الصفحة 152 جاء آخر البيت الثالث بها «وأسالمه» بفتح الهمزة بدل ضمها. وفي أول الذي يليه «وأهديك» بالفتح للهمزة والصواب الضم وفي السطر الخامس تحرف القاضي بالصاد. وفي البيت السابع جاء «أبو بكر القاسم بن الحكيم» والصواب «أبو القاسم ابن الحكم» وفي التاسع جاء «أبو بكر بن جزى» والصواب «أبو جعفر ابن جزى»

الصفحة 153 تصحف بالسطر العاشر «مشيخته» بالنقط.

الصفحة 154 جاء مصراع هكذا :

في عالم ليس له بشبيه»

والصواب : «في عالم ليسوا له بشبيه»

الصفحة 155 جاء بيت هكذا :

ياواطيء النرجس بالارجل ماتستحي أن تطأ الأعين بالأرجل

ولا يثبت هذا إلا من لم يعرف قط أوزان الشعر العربي، وصواب البيت هكذا :

ياواطيء النرجس ما تستحي أن تطأ الأعين بالأرجل

ثم جاء مصراع هكذا :

«فقال دعني لم أزل محرجا»

وعلق على «محرجا» بأنها هكذا واردة في النفح، مع أن الوارد «محنقا» ولا معنى لمحرجا هنا. وجاء ما بين السابع عشر والثامن عشر «بن ندا واقد» وهو مصحف عن «أيدمر»، كما بالنفح. وبعدها، تحرف «الحجازى» بالحجارى، يريد البهاء، الذي ولد بمكة. ثم تصحف «بهاء» بترك النقط. والغالب أن هذه جميعا من قبل الطباعة .

الصفحة 156 جاء بيت هكذا :

جدلي بما ألقى الخيال من الكرى   لا بد للطيف الملم من الكرى

وعلق على «الكرى» الأخيرة بأنه في النفح «القرى» وهذا هو الصواب في المصراع الذي صوابه : لا بد للضيف الملم من القرى، بالضاد لا بالطاء. وجاء مصراع هكذا :

«بسيوفهم حلوا الذرى منحوا الذرى»

بضم ذال الأخيرة، وصوابه الفتح. ثم جاء سم العادة على هيافيهم» ولا شك في تصحيف الكلمة الأخيرة التي لم نهتد لصلاحها.

ثم جاء بيت هكذا :

جعلوا خواتم سمرهم من قلب   كل معاند عد المثقف خنصرا

وصواب المصراع الأول انتهاؤه عند اللام الأولى من «كل» فهو مدور. ثم جاء أخيرا «لو لم يخافوا تيسار نحوهم» وهو مصحف بتيسار غامض.

الصفحة 157 ورد آخر السطر العاشر «أما» بفتح الهمزة والصواب كسرها. وكذلك الواردة في السطر يليه. مرتين مكررة.

الصفحة 158 جاء مصراع هكذا :

«لا ترعبني بالجفا ثانية»

وصوابه : لاترعني بالجفا ثانية.

الصفحة 159 جاء مصراع هكذا :

«نبث حديثها فنبكي بعبرة»

ولا يستقيم وزنه، ولا يرتبط معناه ـ هكذا ـ بالمصراع الذي يليه.

ثم جاء مصراع من أبيات أخرى هكذا :

«يمر كما ونى سآد طليح»

ولا يظهر معنى له. وجاء آخر البيت بالصفحة «بميناء» مكسورة الهمزة بدل فتحها. وفي آخره «الرمد» بفتح الراء بدل ضمها.

الصفحة 160 سقطت بالسطر التاسع الميم في «من». وفي البيت الثاني من قصيدة تحرف «ينسى» بتسنى. وفي الثالث ورد البحران ولعل صوابه «الهجران» وجاء البيت الرابع هكذا :

فأنت عندي من أذمة ربحي ومن صفوتي في أرفع النمط

ولعل صوابه هكذا :

فأنت عندي أولى من أذمته ترجى ومن صفوه في أرفع النمط

ثم جاء مصراع هكذا :

«وقد تبت بنكري في التغافل عن»

ولا يستقيم وزنه ولامعناه. ولعله :

«وقد ثبت بنكري في التغافل عن»

على اضطرا به في معناه وارتباكه في وزنه. وفي أول الثاني سقط «فا» من : فاجبر أخي.. وفي أول الأخير، سقط نحو الواو أو الفاء، أو نحو الضمير هكذا : خذها .... وهكذا أظهر.

الصفحة 161 جاء بالبيت الأول فيها «تشنها» بضم التاء، والصواب فتحها. ثم جاء المصراع الثاني للثاني هكذا :

«عطرثنا عرف روض الربى ينبس»

ولا يستقيم وزنه ولا يستقر معناه، زيادة على رويه المكسور السين ثم جاء البيت الرا بع هكذا :

وغر علوم حزتها ومعارف غلوت بها فحيي على البدر والشمس

أولا حق المصراع الأول أن ينتهي عند «ومعارف» وثانيا، لا يستقيم الوزن ولا المعنى بالباقي إلا بنحو «علوت بها قدرا على..... وفي آخر الأ بيات ضبط «وريحاني» بكسر الراء بدل فتحها، ثم ضبط أول السطر يليه «اقتضبتها» بهمزة القطع. وفي أول السطر الرابع عشر ضبط «والاحتفاء» بفتح الهمزة، معطوفا على «الاعتناء» بضمها، ثم جاء أ بيات ثلاثة هكذا :

إلى الحضرة العليا يستبق العبد   وفي القرب منها والدتو هو القصد
إلى حضرة الولي الامارية التـي   تبلح فيها العدل وا بتسم السعــد
وفيها وجود للدين والدنــا   وقد خصها بالرحمة الصمد الفرد

ولا يستقيم المصراع الأول إلا بإثبات همزة «العياء» والمصراع الثاني صوا به : وفي القرب منها والدنو هو القصد

والمصراع الأول للثاني، لعل «المولى» تحرف بالولى، ووصف الحضرة بالامارية ثقيل الوقع، وفي الثاني لعل «تبلج» حل محله «تبلح» ويبقى المصراع الأول للثالث مكسورا منقوصا، ولا يستقيم إلا بنحو «وفيها وجود يحتوي الدين والدنا» أو «وفيها وجود الدين لفقا مع الدنا» وإن كان هذا ثقيلا، ولكنه يتناسب مع غيره ثقلا فيها.

الصفحة 162 جاء بالسطر الأول «من قرى سند مدينة آش» ولاشك أن «سند» هنا مقحمة أو محرفة عن غيرها. وجاء أول بيت من قصيدة «يضع» بضم الياء وفتح الضاد، والصواب الفتح فالكسر، وفي الثالث «أسولة» ولعله «أسئلة». ثم «وليستحي» صوابها ترك اللام. ثم مصراع «أفواههم تسله» ولا يستقيم إلا بنحو «تسأله». ويبقى بعد ذلك عدم انسجام في الكلام، ثم آخر «فان أنت خنته» ولا يستقيم وزنه إلا بنحو «فإن تكن قد خنته» على ما في معناه كذلك.

الصفحة 163 جاء البيت الأول هكذا :

وكلما أهملته من حقـه مـا أهملـك

وصواب المصراع الأول انتهاؤه عند «أهملته» وأخيرا جاء البيتان الأخيران هكذا :

تلـك التـي تؤنسنـــــي وترتجـــى بفضلـــــك
بشـــراى ان نـــــال الرضـــا بهـــا توسلـك

ولعل المصراع الثاني من الأول هكذا :

وترجـــي تفضلـــــك

ويمكن أن ينتهي المصراع الأول من الأخير عند «الرضى» ويبقى بعد ذلك المصراع الأخير معضلا ناقصا. ولا يتم إلا بنحو : حاز.....

وفي السطر الخامس عشر ضبطت «رتبته» بالفتح بدل الضم.

الصفحة 164 جاء المصراع الأول لثاني أبيات هكذا :

«من كل معنى ضمن لفظه في حلى»

ولا يستقيم إلا بإسقاط الضمير من «لفظه» ثم جاء آخر من الثالـث هكذا :

«أبا المطرف دعوة من خالص»

ولا يستقيم الا بإثبات حرف النداء، نحو : يا أبا المطرف، أو الهمزة... ثم جاء الأخير هكذا :

فانثر أنت بديعه وعماده وانظم أنت حبيبه ووليده

والصواب «فالنثر» أولا، ثم «والنظم»... ويضبط «بديعه» بضم العين لا بفتحها، كما أثبت.

وفي السطر العاشر، تحرف «فيما» بالهاء بدل الميم. وفي الحادي عشر، ضبط «كلفى» بكسر الكاف وتسكين اللام، بدل فتحهما وفي آخر الثاني عشر وأوائل الثالث بعده : واستعاده، وروض الفكر ماحل، فجاده، «ولعل الصواب، واستجاد وروض... فجاد وبعده جاء : «حدق النوى» والصواب «وحرق النوى» بالراء. وبعده «الربيع» ضبط بالتصغير.

وفي آخر الصفحة ورد بيت تصحف فيه «ودع» بوادع، «والقلوب» بالمقام، وسقط «من» في المصراع الثاني و «للغرام» بالغرام.

الصفحة 165 في البيت الأول حرف «البين» بالباين، وفي الثاني «للبين» بالبين، ثم جاء المصراع الأول للرابع هكذا :

«ألهي ألا نوى مشيئته»

ولا يستقيم وزنا ولا يبدو معنى. وفي السطر الثامن تحرفت «عن» بمن وفي العاشر «تقتل» بتفتل بالفاء، وفي الثاني عشر، تصحفت «بايناسه» بالنقط. وفي الرابع عشر ضبط «تمتع» بفتح التاء بدل كسرها. وجاء المصراع الثاني للبيت الثالث من أخرى هكذا :

«مرقها للصبا علينا رماقا»

وهو كذلك مكسور الوزن غامض المعنى. ثم جاء الأول للخامس هكذا ؛

«وفي ري نجد تلك أو نهر هدى»

والصواب ؛

«في ري نجد تلك أو نهر هذى»

ثم جاء من السادس هكذا ؛

«في رياض راقت وراق ولكن»

ولا ندري لفعل «راق» مناطا في المعنى، اللهم إلا أن يكون مفسرا بما بعده ، «راق فيها النسيم» ولعل «راقت» محرفة عن «رقت» بدليل البيت بعده ؛ رق فيها النسيم فهو نسيب قد سبى رقة نفوسا رفاقا ولعل «رفاقا» أصلها «رقاقا» وإن كان المعنى لا يأبى غيره إن لم يفضله.

الصفحة 166 جاء المصراع الثاني للخامس هكذا ؛

«وسقى الفراق كأسا دهاقا»

وصوا به ؛

وسقى للفراق كأسا دهاقا

وجاء البيت السا بع هكذا ؛

ليت شعري والعيش تطوى بالفيـ ـافي أشاما تبؤوا أم عراقـــــا

وصوا به :

ليت شعري والعيس تطوى الفيافي أشآمـا تبـؤوا أم عراقـــــا

ثم جاء البيت الأخير من الأ بيات هكذا ؛

فآه من شجوة وآه لبين ألـــزم النفـــس لوعـــة واحتراقـــــا

وصوابه :

آه مـن شجــوه وآه لبيــــــــن ألـزم النفـس لوعـة واحتراقـــا

وفي السطر الثاني عشر، تحرف «كان» بكن، مشدد النون، وفي الرابع عشر ضبط «تربا» بضم التاء بدل كسرها. وفي المصراع الأول لثاني أبيات أخرى، سقطت الهمزة من «جفاء». وفي المصراع الأخير منها تصحف «طي» بكبي.

الصفحة 167 جاء أول السطر الثالث «لم يتخلف كبير أحد» وهو غامض في معناه. ثم جاء بالمصراع الأول من أول أبيات «العلا» بضم العين. والصواب فتحها وإثبات الهمزة.'ليتزن البيت بها، وجاء آخر المصراع الأول من الثاني «أمل» والصواب «أمد» بالدال. وفي أول الرابع ضبط «فليزه» بفتح الياء، مبنيا للفاعل، وصوابه ضمها مبنيا للمفعول. وفي مصراعه الثاني تحرف «علاء» بعلا. كما تقدم مثله وفي البيت الخامس والذي يليه تحرف «لسن» مفتوح السين، بلسن مكسورها.

الصفحة 168 جاء أولها بيت هكذا :

هل أنت إلا الخطيب ابن الخطيب

ومن زانت حلى الدين والدنيا مفاخره

والصواب إنهاء المصراع الأول عند «من» وفي أول الذي يليه ضبط «يقصر» بتسكين القاف وضم الصاد، والصواب الفتح فالكسر مشددا وفي الثالث ضبط «شدت» مبنيا للفاعل، والصواب بناؤه للمفعول. وفي المصراع الثاني للرابع، تحرف «العلاء» بالعلا، كما تقدم في غيره وجاء السابع هكذا :

سر حيث شيت من العليا سيدا   فما أمامك سابق تحاذره

وصوابه :

سر حيث شيت من العلياء سيدها   فما أمامك سباق تحاذره

وجاء الثاني للعاشر هكذا :

«نداء مستجد أزرا يوازره»

وصوابه :

نداء مستنجد أزرا يوازره

وبعده جاء بيت هكذا :

حلية لما برد البر مرتديا   وصج يمنك فجر السعد ساجره

وهو لا يستقيم وزنا ولا يتضح معنى ثم جاء آخر هكذا :

«فأضاء بها نعمة ما أن يقوم فيها   من اللسان ببعض الحق شاكره»

ولعل صوابه :

«فاضت بها نعما ما إن يقوم بها»

(أو نعم) ثم ضبط أول البيت يليه «وليهننا» بضم الياء بدل فتحها ثم

جاء البيت الأول من أخرى هكذا :

يامعدن الفضـل موروثا ومكتسبا فكل مجد إلى عليائها انتسبا

وصوابه :

فكل مجد إلى عليائه انتسبا

وقبل البيت الأخير، ضبط «يبلغ» بكسر اللام مشددة، والصواب التخفيف، ثم جاء الأخير هكذا :

فهل سرى نسمة من جاهكم فيها خليفة الله فينا يمطر الذهبا

وهو لا يستقيم إلا بنحو :

وهل سرت نسمة من جاهكم فبها خليفة الله فينا يمطر الذهبا

الصفحة 169 وفي أول بيت بها ضبط «قضبا» بضم الضاد والصواب تسكينها. وضبط بعدها «لدانا» بضم اللام بدل كسرها. وفي آخر البيت يليه، تحرف «لبانا» بليانا مضموم اللام، بدل كسرها. ثم جاء بعده بيت هكذا :

ثم لما أراد اكرامها الله وسنى لها المنى والأمانا

والصواب فيه التدوير عند اللام الثانية من «الله»، ثم تشديد نون «وسنى». وجاء أول المصراع الثاني من الخامس «لما» مكررا مع سابقه ولا محل له هنا. وبعده بيت لم يتضح لنا معناه، تلاه آخر هكذا :

فقبلنا برعيها وفسحنا في   د يار العلى لها ميدانا

والصواب انهاء المصراع الأول بفسحنا «مخفف الحاء. لامشددها كما هي ، ويبقى « برعيها» فيه شيء. وفي آخر الأول من تاليه جاء : «فأخذنا» ولا معنى له ولا وزن به، وصوا به «فاتخذنا» وفي أول الحادي عشر. ضبط «تجنب» بتشد يد النون المكسورة. بدل تخفيفها بالضم. وفي آخر البيت «مهما كانا» ولا يتأتى به استقامة للبيت هذا وكأن الأ بيات الأربعة الأولى. كانت من الشاعر ا بن البناء، وأن الثمانية بعدها كانت من ا بن الخطيب جوا با عليها «قد قبلنا....» وجاء آخر الصفحة «في فن الهزل والمعرب» ولعله : الزجل والمعرب، وكذلك «الهزل متولي شهرته» فلعله : الزجل...

الصفحة 170 ورد « ينقد» في السطر الخامس محرفا عن « ينتقد». ثم في آخره ورد «الهزل» مرة أخرى، وصوا به «الزجل» كما يبدو لنا. وفي السادس يجب ضبط «وجلى» بتشد يد اللام. وفي السا بع يجب ضبط «علم» بفتح الميم. وفي آخر التاسع ورد «اربا» بكسر همزته ثم الباء، والصواب فتحها ثم الياء بالثناة. وفي الذي يليه ضبط «أن» بفتح الهمزة، والصواب كسرها شرطية. وفي الحادي عشر ورد «الرق المجروح» ولا شك أن كلمة الرق محرفة عن غيره لم نستطع دركه. وفي أول الذي يليه ضبط «الورق» بكسر الواو والصواب ضمها. وفيه «وقد اشتعلت الليل نار البرق» والصواب «لليل». وفي آخر الخامس عشر. جاء «ويشيده صانع

اللفظ محكمة المباني» ولعله : ويشيد مصانع... من قوله تعالى : «وتتخذون مصانع». وفي السابع عشر جاء «يحنى بها الشهد ويسار» والصواب يشار.

الصفحة 171 جاء البيت الثاني من أولها هكذا :

وخامات زرع يانع كذؤاب وما شقها من جدول الماء مفرق

صوابه :

وخامات زرع يانع كذؤابة وما شقها من جدول الماء مفرق

(بفتح الميم وكسر الراء مخففة، لامشددة) . وفي المصراع الثاني من

أول أخرى، ضبط «أمطت» بتسكين الميم وفتح الطاء، والصواب العكس. وفي الأول من الثاني ضبط «غنج» بفتح النون، والصواب تسكينها لوزن البيت.

وفي أول بيت اخير من أخرى ضبط «القسم» بفتح القاف بدل تسكينها، الواجب للوزن، وجاء مصراع ثان . لثاني بيتين هكذا :

«على صبح شيبي فالصبح عجيب»

والصواب : «فالصباح...» وفي أول مصراع لأول ثلاثة تصحف «البليد» بالنقط. وفي الأول من الثاني ضبط «الماء» بالكسر بدل الضم. وضبط «الخصب» بفتح الخاء بدل الكسر.

الصفحة 172 جاء أولها مصراع هكذا :

«وريما كان سرك أو حديثا»

وصوابه :

قديما كان سرك أو حديثا

ثم جاء آخر من أول بيتين هكذا :

«لقد سامني بالمهند باطن»

وصوابه :

لقد ساء مني بالمهند باطن

وتلاه مصراع هكذا :

كان أديمي رقعة من حديقة

وصوابه :

كأن أديمي رقعة من حديقة

وفي آخر مصراع لأول بيتين آخرين، ضبط «والبكر» بضم الراء، بدل كسرها. ثم ورد أول بيتين هكذا :

الخير كل الخير في ستة لم   تلف إلا في كرام الرجال

وصواب المصراع الأول انتهاؤه عند «ستة» ثم جاءت أبيات أربعة، ضبط في ثانيها «كلب» بفتح اللام، بدل تسكينها. وفي ثالثها ورد «يـرم» بضم الراء وتسكين الميم، والصواب تسكين الراء وكسر الميم. وبآخره

«يتق» بالبناء للمجهول. والصواب للمعلوم «يتقي». ثم أول الرابع جاء «فخل» بفتح اللام المشددة. بدل كسرها.

الصفحة 173 تصحف آخر السطر الخامس «أبي» بعدم النقط. وفي أواخرها جاء مصراع هكذا : كالظل يلبس للقيل ويخلع وصوابه... للمقيل....

الصفحة 174 ورد آخر البيت الأول بها «العوال» بضم العين بدل فتحها. ثم المصراع الأول من الثاني هكذا :

«وإذا المرء تنهضه هذى»

ولا يستقيم وزنه ولا معناه إلا بنحو إذا الإنسان لم تنهضه هذى» وتمامه : «فليس بناهض أخرى الليالي» وضبط فيه أخرى «بفتح الهمزة. بدل ضمها. وفي الأخير جاء «فرعتها» ولعلها : فرفعته... وفي السطر الثامن تصحف «رواه» بالنقط. وفي السابع عشر تحرف «قبيل» بقريب.

الصفحة 175 ورد آخر السطر الرابع عشر «اثنا» بهمزة قطع. كالمعتاد. وفي السابع عشر ورد «أصول» بفتح الهمزة بدل ضمها.

الصفحة 176 جاء بالسطر الثاني «الأصول» أيضا بفتح الهمزة. بدل ضمها. ثم السباعيات. بكسر السين بدل ضمها. وفي الخامس عشر ضبط «مخول» بتشديد الواو. والصواب تخفيفها. وفيما بعده جاء «فتاء» يترك الهمز وتنوين ما قبله.

الصفحة 177 جاء ثاني أربعة أبيات بها هكذا :

لـو أبـاح الله لي وصلـــــك   الأنبـل صـدع القلـب وانخبـر

وصوابه :

لو أباح الله لي وصلك لانـــرا   ب صدع القلب مني وانجبــــر

وبعده آخر هكذا :

أصل دايي منك لحـظ فاتــــر   وأشــد اللحـظ ما ما فتـــــر

صوابه :

وأشــد اللحـظ داء ما فتــــر

وبعده جاء بيت غامض في معناه هكذا :

كيف أرجو منه بـرا وغـــدت   قهوة الحسن تسقيـــــه درر

(ولعله برأ، بالهمزة، على ما في البيت)

ثم جاء بيت من أخرى هكذا :

يعز علـى الكريـمِ ورود مـــاء   يكـدره شـرب ويطرقـه نهـــب

فالمصراع الأول من بحر الوافر، والثاني من الطويل، ثم إن الكلمة الأخيرة، لعلها محرفة عن «كلب». وأخيرا جاء بيت منها هكذا :

فتمنعني نفسي لا يتمان أرواحهـم   علـــى شرب يونقـه قشــــب

فلعل «لا يمان» مصحفة عن «لاتيان» ثم «يونقه» «يرنقه»، ويضبط «قشب» بسكون الشين بدل فتحها، ويبقى الوزن مكسرا.

الصفحة 178 جاء آخر بيت ثالث من خمسة «عنيبا» ولا معنى لذلك. وفي آخر المصراع الأول لتاليه، تحرف « براح» بالياء وهو للحماسي

«من صد عن نيرانها فأنا ا بن قيس لا براح»

فقال شاعرنا :

«أنا منه ا بن قيس لا براح»

وفي البيت التالي سقطت الهمزة من «سيماء» فانكسر بذلك البيت. و بعد ذلك جاء بيت هكذا :

وأتيتها متلبسا برو ايع نكر بفودك أصبحت عذالها

والصواب انتهاء المصراع الأول « براويع». و بعد بيت جاء آخر هكذا :

مثل الافاعي الرقط تنفث في الحشا وأرى بفودك جثما أطلالها

والصواب انتهاء الأول عند «الحشا» و بعد بيت جاء آخر هكذا :

جرعت لهذا الشيب نفسي وهي ما زالت تهون كل صعب نالها

والصواب انتهاء الأول عند. «ما» ثم جاء مصراع لآخر هكذا :

«هما لا يهدى العليم ضلالها»

ولا يستقيم إلا بنحو : دهماء....

الصفحة 179 تصحف في البيت الثالث بها «هاب» بهب مشددة الباء. وجاء في الخامس «عملي» ولا يستقيم الوزن به. ولعلها «علا» وفي أول الثالث عشر، سقط نحو الفاء قبل «محا» ولعل «فيضرى» بالمصراع الثاني، محرف عن «فيقرا». وفي تاليه سقطت الهمزة من «وجناء» وبعدها «تدوى» ولا ندرك له معنى هنا. ولعلها «تولي» على مافيه.

ثم جاء بيت هكذا :

ألبست دين الله حلة أمن   أضفت على أسرايه ذلذالها

ولعل المصراع الأول .... أمنه ويبقى المصراع الثاني معضلا. وجاء في الثالث «ومنتم» هكذا غامضا. وفي آخر تاليه جاء «أليها» ولعله : آلها. وفي تالي هذا «وسكالها» ولعلها «وملاكها».

الصفحة 180 جاء أول البيت الثاني بها «أويتم» والصواب : آويتم... وفي الثالث جاء «معصفرة الحجا» ولا شك أن معصفرة محرفة. وفي الرابع ورد «في الغرب» ولعلها «في القرب». وفي أول المصراع الثاني من السابع سقطت الياء من «يروي». ثم جاء البيت الحادي هكذا :

لما تحققت النبوة أنها قد   زلزلت منها الورى زلزالها

والصواب في المصراع الأول انتهاؤه عند «أنها». وفي الثاني من الثالث عشر، يجب ضبط «تجنب» بالتخفيف وبالفتح أولا ثم ضم الجيم وفي الخامس عشر، صواب «قبلها» هو «قليبها» ليتزن البيت. والبيت بعده

مدور عند الياء من «الوطيس». وبعد هذا تمام المصراع بسببيتم. وبعده ، تحرف «وحبا» بالياء.

الصفحة 181 جاء أولها بيت هكذا :

تحمي الهدى تهمي الندى تولي الجدا وتقي الردى وترى العدا أوجالها

وصواب المصراع الأول انتهاؤه عند «الجدا». والبيت الثالث مدور عند الواو من «الملوك» ثم جاء الرابع هكذا :

يا بدرها يا بحرها أو غيثها أو ليثها أو حسنها وجمالها

والصواب انتهاء المصراع الأول عند «غيثها». وجاء آخر المصراع. الأول «كشاطر» ولا ندرك له معنى هنا. ثم جاء المصراع الثاني للعاشر هكذا :

«شكرنا له وأولياه فعالها»

ولا يستقيم وزنه ولا يبدو معناه، وأخيرا جاء بيت هكذا :

فصلوا أحياءنا ما استطعتم وصله تعطوا من أجزاء الجزاء جزالها

وهو في غاية التكسير والغموض.

الصفحة 182 جاء قبل السطر الأخير «اسما» مقطوع الهمزة، على ماعهد.

الصفحة 183 جاء أول البيت الثالث بها «وآمله» وصوابه : وأمله. وفي البيت الخامس سقطت همزة «العلياء» وبدونها لا يستقيم الوزن.

الصفحة 184 جاء بالسطر الخامس مع السادس عشر «أبو يوسف الجزولي» وصوابه ، أبو موسى....

الصفحة 185 جاء بالسطر الرابع عشر «في مواضع في أرضي» ولعل صوابه ، في مواضع من أرضي

الصفحة 186 جاء بالسطر السابع «أصول» بفتح الهمزة بدل ضمها، كما تقدم له كثيرا في هذه الكلمة بالذات.

الصفحة 187 جاء بالسطر الثاني «ولي القضاء» بكسر الهمزة. وفي السطر السابع، ضبط «وقيدت» بالبناء للمعلوم، والصواب أنه مبني للمجهول، وأن التاء للتأنيث، وسقط نائب الفاعل من العبارة، نحو شروح أو قيود، كما يستفاد من السطر التالي. وفي الثالث عشر تحرف «مستقضيه» بالنقط.

الصفحة 188 جاء بالسطر الثاني «الا بتياع والانتساخ» بهمزة القطع، فيهما.

الصفحة 189 جاء بين السطرين الأول والثاني «وأبو الحسن بن القطان ونجبه» ولعله .... «ونجله».

الصفحة 190 جاء أيضا في السطرين الثالث عشر والرابع عشر، هكذا ، وأبوى الحسن بن كوثر ونجبه.

وفي السطر التاسع عشر، جاء أيضا «ا بناه» بهمزة القطع.

الصفحة 191 جاء بالسطر السادس «أصول» بفتح الهمزة، كما تقدم ذكره سلفا. وفي أول الثالث عشر، جاء «الاثنين» بهمزة قطع، وبعده جاء «انتهى» كذلك بهمزة قطع.

الصفحة 192 جاء آخر السطر العاشر «التاثت» بالهمز وسطا وفي الرابع عشر جاء «استتزلهم» بتصحيف النون بالتاء. وفي الثامن عشر تكرر فعل «التاثت» مهموز الوسط كما تقدم.

الصفحة 193 ورد بالسطر السابع «الملوك الغالبيين» وهو غامض الوصف ولا شك في تصحيفه أو تحريفه. ثم البيتان وهما الثاني والثالث من أبيات هكذا :

هو عدتي في شدتي وذخيرتـــي   وبه يتحسبنـي غدا ويقيـــن
حتى أبي الحشر لم أخـــدم   سوى أبوابهم بوسيلـة تكفيـن

فالمصراع الثاني من الأول معضل، والأول من الثاني ينتهي عند «سوى» على ما به من كسر وتحريف، لم نهتد إلى صوابه، ثم جاء مصراع من أول بيتين هكذا : «يامن سول وغدا» وهو لا يستقيم لا وزنا ولا معنى هكذا .

الصفحة 194 جاء المصراع الأول لثاني أبيات هكذا :

«ومن راحتي كفيك جدوا تهمي»

ولا يستقيم وزنه، وجاء في الثالث «لبوا» بضم الباء بدل فتحها، ثم جاء الخامس هكذا :

فيمناك يمن الرعايا ومنة ويسراك يسرا للعفاة ومغنم

وصوابه :

فيمناك يمن للرعايا ومنة ويسراك يسر للعفاة ومغنم

وفي السادس ضبط «ورق» بكسر الواو، بدل ضمها. وفي آخره ضبط «ترنم» بكسر النون، والصواب فتحها، ساقطة إحدى التاءين من الفعل وفي آخر الصفحة جاء مصراع هكذا :

«ومن به الدنيا تروق وتبسم»

وهو لا يستقيم وزنه كذا، ولا يستقيم إلا بنحو... نحوه الدنيا...

الصفحة 195 سقط أول المصراع الثاني من البيت الأول الواو قبل

«من جوده كالغيث بل هو أكرم»

وفي الرابع ضبط «يندى» بضم الياء، بدل فتحها. وفي أول السادس، ورد واو قبله، لا محل له ولا يستقيم الوزن به، ثم جاء بيت هكذا :

وقولا له ببابك يرتجي قضاء لبانات لديك تتمم

ولا يستقيم إلا بنحو:

وقولا له (عاف) ببابك يرتجي

(ويفتح همزة قضاء، بدل ضمها، كما هي). ثم جاء مصراع هكذا:

«فجد بالذي يرجوه لمنك فما له»

وصوابه: فجد بالذي يرجوه منك... وتمامه جاء:

«كعقد ثمين من ثناياك ينظم»

ولا نرى لهذا المصراع انسجاما مع الأول. وجاء في أول أبيات أخرى ضبط «الدما» - جمع دمية - بكسر الدال بدل ضمها.

وفي الثاني تحرفت «بابلية»، ببلبلية. ولا معنى لهذه وصفا للرقعة. وتلاه بيت هكذا:

وقبلتها ألفا وقلت لها   أنعمي صباحا وممسى بالقبول وطيب

وصواب المصراع الأول انتهاؤه عند «انعمي» بهمزة وصل، لاقطع كما هي. وفي آخر بيت بها ضبط «يحكه» بضم الياء بدل فتحها.

الصفحة 197 جاء بالسطر الأول «والشيخ والمحدث» بدل «والشيخ المحدث» وفي الثاني ورد «الجهاري» ولعله «الحجاري» وفي السطر قبل الأخير وردت ترجمة «علي» وعلق عليه بأنه ورد في الاسكوريال «عمر» ورجح أن يكون هذا سهوا، مع انه في الصفحة 200 سيرد ذكره في رثاء ابن الجياب باسم عمر.

الصفحة 198 جاء أول سطر بها «ووقارا وصمتا» ولعلها... وسمتا. ثم جاء أول مصراع لثالث أربعة هكذا :

«وكيف يبقى غريق نزى»

وفي الرابع جاء

«من نعته المبدى المعيد»

بفتح نعته، بدل ضمه، والمبدى بدون همزة والصواب إثباتها. وقبل السطر الأخير ورد الوصف بالإمام مفتوح الهمزة. ولعل «العرامي» أول البيت قبل الأخير، صوابه «العراقي».

الصفحة 199 جاء أول مصراع، لأول اثنين هكذا :

«أفي كل واد شاعر ومطيب»

ولا ندري معنى لمطيب هنا ولعله «مهيب» ثم جاء أول لأول اثنين هكذا :

«ومن عجب مغناك جنه قاصد»

وصوابه :

ومن عجب مغناك جنة قاصد

الصفحة 200 جاء بالسطر الأول «ثبت» مسندا إلى تاء التكلم،

والصواب أنه فعل صرف لاضمير متصلا به، ثم جاء أول أبياتها هكذا :

كتابـك ذا مـن هوتـه المفاخـر   سنـا وسنـا راق منـه زواهـــر

وصوابه :

كتابـك ياذا مـن هوتـه المفاخر سنـا وسنـاء راق منـــه زواهـــــر

وفي الثاني ضبط «المنظم» بسكون النون، بدل فتحها. وفتح الظاء المشددة، ثم جاء «ذا» في المصراع الثاني، وصوابه «ذاك» ثم جاء الثاني للرابع هكذا :

« بما تتمنى فزاه وزاهر»

ولا يستقيم إلا بنحو « بما تتمناه... ثم مصراع أول للخامس هكذا :

«فما شيته تجده فيه فإنه»

ولعله : فما شيته فيه تجده فإنه. ثم جاء بيت هكذا :

فنهنكم يا ابن الألى شاع مجدهم   قيادكم مجد بذاتك آخـر

وصوابه :   «فيهنكم ياابن الألى شاع مجدهم»

ويبقى المصراع الثاني مختلفا بضميري الخطاب، ثم أتى بيت هكذا :

أتيت بما فيه انبت حياة   من حوته على مر الدهور المقابر

فالمصراع الأول ـ على ما فيه ـ ينتهي عند «من». ثم جاء المصراع الثاني للتاسع هكذا :

«ونحا بك ربي يوم تبلى السراير»

وهو لا يستقيم لا وزنا ولا معنى، وورد بيتان من أول أخرى هكذا

قضـي الأمـر يا نفـس اصبـري   صبـر تسليـم لحكـم القـــدر
وعـزاء يـافـؤادي انـه حكـم   ملــك قاهـــر مقتـــــدر

ولا يستقيم الأول إلا بنحو :

«قضي الأمر يانفس فاصبري»

وصواب الثاني انتهاء مصراعه الأول عند «انه» ثم جاء المصراع الأول من البيت التالي هكذا :

«حكمة أحكمت تدبيرها»

ولا يستقيم إلا بإسقاط التاء من «حكمت».

ثم جاءت الأبيات الأربعة بعده هكذا :

أجــل مقــدر ليـــس بمستق   ـدم ولا مستأخـــــــــر
أحســن اللــه عـزاء كـل ذي   خشيـــة لربــه فـــي عمـــر
فــي امامنــا التقـــي الخاشـــع   الطاهـــر الـذات الزكـــي السبـــر
قرشـــي سليمـــان مستقـــى مـــن   صميـم الشـرف المطهـــر

فالبيت الأول مستعص تقويمه، والثاني ممكن بالحمل على فتحة «عزاءَ» وكذا الثالث على كسرة الميم في «امامنا» وصواب «السبر» في آخره بالياء المثناة. والأخير لا يستقيم وزنا ولا معنى، خصوصا المصراع الأول منه.

الصفحة 201 نجد أولها باقي القصيدة، وهو خمسة أبيات، في غاية الاضطراب، وزنا ومعنى.

وفي السطر الثاني عشر منها جاء «الاصطلاح» بقطع الهمزة. وفي الخامس عشر ضبط «مترفع» بفتح الفاء بدل كسرها.

الصفحة 202 ضبط في السطر الثالث «اتهاما» بهمزة القطع، بدل وصلها. وفي الخامس، تحرف «ازماع» بأرقاع.

الصفحة 204 تحرف بالسطر الأول منها «أويس القرني» بأبي يس... وفي الثاني «منهما» بمنها، وفي البيت الثاني من ثلاثة ضبط «أذناك» بفتح الهمزة، بدل ضمها ثم جاء البيت الثالث هكذا :

فاصحب خبيرا بما يرضى الحجاب ستارها وكذلك الحر ستار

وهو لا يستقيم في وزنه ولا يتضح تماما في معناه. وحصل في هذه الصفحة وفي التي سبقتها أخطاء قليلة بالشكل وبالنقط أهملنا ذكر ذلك كله لتكرره.

الصفحة 205 جاء بين السطرين الثالث والرابع «وبركة الأندلس العباءة الخرقة» وعلق عليها بأنها في الاسكوريال «وبركة لابسي الخرقة» مع أن هذا هو الصواب الواجب إثباته، ولا معنى لغيره، وهو المنقول بنفح الطيب كذلك . وغلط مرارا في ضبط «ششتر» المضموم أوله.

الصفحة 206 جاء بالسطر العاشر «لكن استمر....» وعلق عليه بأنه في الزيتونة .... «استقر» والصواب لا هذا ولا ذاك، بل «اشتهر» وفي الحادي عشر، ورد «بعبد الحق بن سبعين» والصواب ، بعبد ا بن سبعين. وفي السطر التالي، جاء «ويقال انه لما لقيه...» والصواب هكذا ، وقال له لما لقيه» وقد سبق في الصفحة 35 ، «وقال لأبي الحسن عندما لقيه» وكذا نجد الأول بالنفح. وفي السطر السادس عشر جاء «فيقسمهم» والصواب ، فيتقسمهم .

الصفحة 207 ضبط أول سطر بها «أمنا يها» بفتح الهمزة بدل ضمها. وفي البيت قبل الأخير بالصفحة ضبط «قدسية» بسكون الدال، ولا يستقيم الوزن إلا بضمها.

(يتبع)

تطوان **محمد ابن تاويت**

سلام البحيرة(*)

علي الصقلي

ذكرتكِ والبحيرةُ في اصطخاب
تموج حرارةً للقا الصحاب
فما انفكّت تسائل عنكِ. واهاً
لها. أيها هوًى ذاكٍ كما بي ؟!
وأوجدها غيابُكِ. ليت شِعري
أمنكِ توقّعت دون الغياب؟
وودت لو تطيرُ اليكِ شوقا
مجنحةً بأنسمها العذابِ.

(*) بحيرة ستروگا في جمهورية مقدونيا بيوغسلافيا حيث ينعقد سنويا المهرجان العالمي للشعر، والذي أصبح يعرف بـ «ليالي ستروگا الشعرية».

بشلالاتهــا تــروي حكايــــا
صبـي هائـــم، أوذي تصابـــــي
بأســـرابِ الحمائـــم بالخزامَـى
وما ملكتــه مـن عِطـرٍ مُـــذابِ
بعشــاق تساقــوا فـي حماهـــا
كـؤوسَ الحــب مترعـة الشـــراب

ه "" ه

وقالـــت : مــن لها بـك نفح طِيـب،
وحُلـة عشيقـة. ورُؤى شَبـــاب ؟!
وأشهـى باقـةٍ مـن كـل لــــون
تغازلهـا العيـــون بـلا حســاب !
وفيـكِ تضـم كنـزا مـن لآلـــي
تشع فيمّحـــي حَلَـكُ الضبـــاب
لتحيا عيدَهـا نشْوى. وتلقـــي
ضفائـر مـن سناكِ بكـل بــــاب
وتَغـرَقَ فـي غـرام. مـن سماهـــا،
ولـو طالـت. إلـى أدنى التـــراب!
ومـن نهديـكِ تعصِـرُ خمـر عطـــر
لتسقِـيَ كل فاتنـة كَعـــاب

ومن شفتيكِ تقطفُ للعـــذارى
زهـورا لفَّها طُهر السحـــاب

٥ «» ٥

لستروكـا أصخـتُ بكـل سَمعـي
وقد أصبحـتُ منهـا قـدرَ قـاب
وذاكِ سلامهـا. أمـلا لِلْقيـــا
تَظـل بدونهـا قَيـدَ اكتئـاب
سلام ريِّـقُ اللمحـاتِ. يبقـى،
كما شاء الهوى. غَضّ الاهـاب

كادا ڤيشتي (يوغسلاڤيا) **علي الصقلـي**

الحركة القومية العربية في جنيف ما بين الحربين

بقلم: انطوان فلوري
ترجمة: قاسم الزهيري

نـنـشـر الـيـوم بحثا للأستاذ انطوان فلورى الأستاذ بالمعهد الجامعي للدراسات العليا في چنيف عن الحركة القومية العربية في چنيف ما بين الحربين نشره في مجلة «العلاقات الدولية». وتفضل مشكورا بإهدائه إلينا. فرأينا أن نشرك المواطنين من قراء «المناهل» المتعة والفائدة اللتين وجدناهما عند قراءته بعد ما تلطف صاحب البحث بقبول تعميم نشره.

نعرف جميعا بعض نشاط أمير البيان شكيب أرسلان في مدينة كالفان على ضفاف بحيرة ليمان وقيامه على مجلة «الأمة العربية La Nation Arabe التي كانت تناضل في سبيل تحرير البلاد العربية. وكلنا نعلم علاقة شكيب أرسلان بزعماء الحركة الوطنية في بلادنا. وقد اماط اللثام عن بعض جوانب هذا الإتصال فقيدنا الغالي الأستاذ الطيب بنونة بنشره المراسلات التي دارت بين أمير البيان ووالده السيد الحاج عبد السلام بنونة. ولكن ما لا يعلمه الكثير أن بعض رواد القومية العربية قد التجأوا إلى چنيف قبل الأمير شكيب أرسلان بمدة طويلة واتخذوها مسرحا لتوجيه النضال من أجل قضايا بلادهم. وذلك قبل أن يسقط المغرب بدوره بين براثن الإستعمار.. وبعد ذلك. ويمكن أن نقول إن الوطنيين العرب واصلوا الرسالة التي بدأها الداعية الإسلامي جمال الدين الأفغاني وتلميذه

الإمام محمد عبده بنشرهما «العروة الوثقى» بباريس سنة 1884. ولم تنقطع هذه السلسلة إلا بوفاة شكيب أرسلان في أواخر سنة 1946 ونهاية الحرب العظمى الثانية.

وها هي ذي قصة اللاجئين الوطنيين العرب في جنيف كما وردت في بحث الأستاذ أنطوان فلورى. فنرجو أن يكون نشر هذا البحث حافزا لفتح الصفحات المطوية عن بعض مراحل هذه الحركة، ممن أسهموا من المواطنين فيها أو اطلعوا على بعض أحداثها.

ق.ز

عنصران أسهما في جعل جنيف مركزا ممتازا للدفاع عن حقوق الأمة العربية وتجليتها. أولهما السياسة التقليدية لإيواء اللاجئين السياسيين التي دأبت على اتباعها الدولة الاتحادية السويسرية وخاصة جمهورية ومقاطعة جنيف. فقد استفاد من هذه السياسة. طوال القرن التاسع عشر. ضحايا الأنظمة الإستبدادية الأوروبية وخاصة منهم الوطنيين الذين كانوا يعملون لتحرير أمتهم ووحدتها فكانوا يجدون في الغالب من المواطنين السويسريين تأييدا للدفاع عن قضاياهم. والعنصر الثاني الذي زاد في أهمية جنيف - بعد الحرب العالمية الأولى - كميدان عمل إيجابي وعمومي لكل الذين كانت لهم قضايا يدافعون عنها هو وجود سكرتارية عصبة الأمم وانعقاد العديد من المؤتمرات

والدورات والإجتماعات ابتداء من 1920 في مدينة كالفان على ضفاف بحيرة ليمان. وهذه النشاطات جعلت من چنيف ساحة لا مثيل لها للسياسة العالمية ما بين الحربين.

وقد انتشرت سمعة چنيف كبلد يلتجىء إليه الأشخاص الذين يعانون صعوبات مع حكوماتهم خارج أوروبا منذ نهاية القرن التاسع عشر. والشرقيون الأولون الذين استفادوا من اللجوء. على غرار الأوروبيين من ذوى النزعة التحررية أو الإصلاحية أو الثورية. كانوا بعض العثمانيين وعلى الأخص منهم أتباع حركة الإتحاد والترقى (1) التي كانت تقترح إدخال إصلاحات وتغيير على الإمبراطورية بحيث يستفيد منها جميع العثمانيين. ومع ذلك بعض العرب الذين كانوا منضوين تحت الحركة الإصلاحية كانوا يختلفون عن رفقائهم الأتراك. حيث كانت لهم مطامع فيديرالية (2) لا انفصالية : فبعضهم خططوا لنوع من توزيع المسؤوليات في دائرة الإمبراطورية بين العرب والأتراك حسب نموذج الملكية الثنائية النمساوية ـ الهنغارية ولهذا فمن الصعب أن نحدد ـ قبل الحرب العالمية الأولى ـ الوطنيين العرب الأولين الذين ربما كانوا يعملون في سويسرة لقيام دولة عربية من شأنها أن تضم مثلا العرب الذين كانت تحتويهم الإمبراطورية العثمانية (3).

وبمقابل ذلك فإن الوطنيين العرب الأولين الذين جعلوا من ضفاف بحيرة ليمان ميدانا للعمل وخاصة لعملهم المثمر في نشر مطالبهم هم المصريون الذين كانوا يدافعون عن حرية دولتهم التي كانت قائمة. إلا أنها كانت خاضعة لرقابة الدول الأوربية. وهكذا فبعد إخفاق الثورة الوطنية المصرية التي قادها عرابي باشا سنة 1882، توجه كثير من المصريين إلى المنفى. فهل كان ذلك بتحريض من ابن چنيف جون نينى Jhon Ninet (4) - وهو من الأوروبيين القلائل الذين تبعوا عرابي - حيث اتجه الكثير من الوطنيين المصريين إلى سويسرة واستقروا بچنيف ولوزان على الأخص. مهما يكن. فهناك عوامل أخرى يجب أخذها بعين الإعتبار. ويبدو أن الوطنيين المصريين ترددوا في التوجه إلى فرنسا لأن الرصيد المعنوى لهذه الجمهورية كان متدنيا لدى نخبة المثقفين من أبناء النيل منذ أن قبلت فرنسا بسط سلطة ثنائية مع انچلترا سنة 1876 ولم تقم بأي إدانة لقصف الاسكندرية. ثم ان المناورات الإستعمارية الفرنسية التي كانت تونس مستهدفة لها لم تكن خافية عن المصريين. ان ما حدا بكثير من المصريين. وخاصة منهم الشباب. إلى التوجه لسويسرة النورماندية. ضمن هذا الإطار. هو رغبتهم في الإستقرار في بلد يتكلم أهلها بالفرنسية والتردد على الجامعات والمدارس التقنية. التي كان لها صيت بعيد بفضل المستشرقين العاملين فيها ممن

كانت لهم سمعة دولية وبفضل المهندسين والمعلمين والأطباء من هذه المقاطعة التي كانوا معروفين في مصر (5).

بالإضافة إلى هؤلاء الشباب الذين كانوا رواد الوطنية كان يوجد اللاجئون السياسيون (6) وكذلك المؤلفون والناشرون الذين كانوا يبحثون عن دور للنشر أو عن قراء. وهكذا فإن مؤسس الحزب الوطني المصري مصطفى كامل (1808 ـ 1874) قد أقام مرات متعددة في چنيف حيث أسهم في تنشيط الشباب الذي كان يتابع دراسته وتنظيمه. وفي سنة 1908 أسست بچنيف لجنة دائمة للشبان المصريين. وكان يرأسها محمد فهمي المعروف بنشاطه. وفي سنة 1909 نظم هذا الأخير أول وأكبر «ملتقى للوطنيين المصريين» طالب خلاله بحرية مصر واستقلالها. وفي سنة 1912 أتيحت له فرصة التحدث أمام المؤتمر العالمي للسلام الذي انعقد بچنيف. وكان يرأس وفدا مصريا حيث كان من جملة أعضاء مكتبه فتوفق في حمل المؤتمر على اتخاذ ملتمسات لصالح مصر. وكانت أول مرة حصل فيها الحزب الوطني المصري على قرار دولي.

ومنذ ذلك الحين. ازدادت مبادرات الوطنيين المصريين : فاجتمعت الشبيبة المصرية في مدينة نوشاطيل سنة 1914. وانعقد مؤتمر للوطنيين المصريين بچنيف في السنة التي تليها ثم في سنة 1916. وتأسس ناد للوطنيين المصريين. وفي تلك الأثناء

تعززت الجماعة الوطنية بمقدم محمد فريد خليفة مصطفى كامل على رأس الحزب الوطني المصري الذي حكم عليه بالسجن ستة شهور سنة 1911 بسبب مقدمة كتبها لديوان قصائد وطنية نشره على الغياتي الذي هاجر من مصر سنة 1910. ثم عاش هذا الصحافي الشاعر الناشر مدة 27 سنة في چنيف حيث تأهل وأصدر دورية سنتحدث عنها.

واستمر الوطنيون المصريون يعبرون عن مشاعرهم أثناء الحرب العالمية. ووجدوا منبرا دوليا في المؤتمر الثالث للقوميات الذي انعقد بلوزان سنة 1916 (7) فعرضوا مطالبهم. وشارك وفد مؤلف من ستة أعضاء برئاسة محمد فريد بنشاط في المناقشة المتعلقة ببيان عن حقوق القوميات (8). وفى ختام العرض الذي قدمه المتحدث بلسان مصر عن «القضية المصرية» طلب من ممثلى القوميات الأخرى تأييدها قائلا :

«باسم المبدأ الذي يجمعنا الآن أطلب منكم أن تؤيدوا مطالبنا المشروعة بمناسبة اجتماع مؤتمر السلام.. إننا نريد أن يكون لشعبنا الحق في التقدم بكامل الحرية وأن يصبح في إمكان مصر أن تعيش حياتها كأمة» (9).

ولم تكن مصر البلد الوحيد في العالم العربي الممثلة في مؤتمر القوميات. وإذا كان مثل سوريا قد اعتذر عن الحضور

بسبب توعك في صحته (10)، فإن مطالب شعوب إفريقيا الشمالية خاصة منها مطالب الجزائريين والتونسيين قد قدمها ضمن تقرير خاص محمد باشا حامبا وهو قاض سابق في تونس ومدير «مجلة المغرب La Revue du Maghreb » وكانت تنشر في جنيف. وقد وصف العواقب الوخيمة للنظام الإستثنائي المفروض على الجزائريين والتونسيين في المجالات العدلية والمالية والمدرسية والعقارية والإدارية أعرب محمد باشا حامبا عن سلسلة من المطالب ترمي إلى تخويل الجزائريين والتونسيين «المساواة أمام نفس القانون» (11).

وكان الوطنيون المصريون يستعملون وسيلة أخرى وهي نشر أفكارهم بواسطة كراسات ومجلات وكتب. تدل على طموحاتهم بعض الدوريات التي لم تعمر طويلا. نذكر منها في البداية «الوطن المصري : صحيفة شهرية للتحرر المصري « La patrie Egyptienne : Organe d'émancipation Egyptienne » وكان يديرها رفعت. صدر العدد الأول منها في 31 ديسمبر 1913. ولكن السلطات السويسرية منعتها يوم 15 يوليو 1914. ولم يمنع اندلاع الحرب محمد فهمي من تلقف الشعلة بإصدار «صدى مصر : جريدة أسبوعية سياسية وأدبية لسان حال الحزب الوطني
L'écho de l'Egypte, Jounral hébdomadaire politique et littéraire et organe du parti national

لكن هذه :

الجريدة ماكادت تصدر حتى منعت بسبب وضع سويسرة الحيادى. وقد بذلت محاولات أخرى خلال الحرب منها إصدار صحيفة «مصر : لسان حال المطالب المصرية بحسب المعاهدات والضوابط الاميرية التي تحكم وضعية وادي النيل -

« L'Egypte, organe des revendications égyptiennes d'après les traités et les firmans impériaux qui régissent le Statut de la Vallée du Nil »

وقد صدرت هذه الجريدة في چنيف من 15 سبتمبر إلى 15 ديسمبر 1916. وأخيرا صدرت بلوزان جريدة «النيل Le Nil » وكانت نصف شهرية استمرت من 20 فبراير إلى 5 يونيو 1917. وبرهنت نشرات أخرى أصدرها وطنيون مصريون أو أصدقاء لهم في سويسرة خلال هذه السنين على الصمود الذي بذله هؤلاء الوطنيون دفاعا عن بلادهم (12).

أجل إن تنافس الدول المتحاربة في تصريحاتها حول تحرير الشعوب. قد أعطت دفعة هائلة لحركة القوميات. لكن بمجرد انتهاء الحرب اتسع المجال في مجالات دولية كبرى للشعوب المستضعفة كي تسمع صوتها.

اجتمع في البداية مؤتمر السلام في باريس. ومن المناسب أن نبحث جميع القضايا الوطنية التي عرضت عليه. منها ما حصل على تأييد الدول ومنها القضايا التي أجلت ونسيت وهي أكثر من

الأولى ومنها التي ارتكبت جنايات شنيعة في حقها. ومن ضمن هذه القضايا يجب ذكر قضية الأمة العربية. فلطالما منوا هذه الأمة أثناء الحرب بالوعود والمعونة والمشاركة : ألم تساهم الجيوش العربية في معارك سيناء وفلسطين وسوريا والعراق فساعدت بصورة حاسمة في الإنتصار على الجيوش التركية - الألمانية ؟ ولهذا فقد حاول المبعوثون العرب لمؤتمر السلام أن يحضروه كحلفاء ويدافعوا عن حقوقهم في الإستقلال حتى يعترف لهم بها. لكن عبثا.

ثم أن الشعوب التي كانت تطمح في الحرية علقت آمالها على عصبة الأمم وكانت المركز الحقيقى لتسجيل المطالب الوطنية المنبعثة من العالم بأسره. ثم هناك عامل آخر بدون شك أهم من غيره وهو الذي جعل من چنيف - مقر عصبة الأمم - مكانا فريدا للدعوة للقضية الوطنية العربية.

ينبغي بحث أوسع مما نستطيع أن نقدمه هنا لندرك الدور الذي لعبته عصبة الأمم في الدفاع عن حرية الشعوب المغلوبة على أمرها والاقليات المضطهدة والحقوق الشخصية المداسة. وليس في مقدورنا كذلك أن نفصل القول هنا في كيفية تقبل عصبة الأمم للعرائض العديدة التي سلمت لها من لدن الشعوب العربية التي كان ينعشها أمل عظيم في التحرر والإستقلال الوطني سنة

1918 والتي ذعرت ذعرا متزايدا ببسط انچلترا وفرنسا سيطرتهما عليها بكيفية مباشرة وتدريجيا بعد ما اتفقتا فيما بينهما وبدون علم تلك الشعوب على اقتسام المراقبة على المنطقة. وقد دامت هذه الفترة من التردد حول حقوق العرب الذين كانوا حلفاء وتحرروا من النير العثماني إلى أن تم قبول نصوص الانتداب من طرف عصبة الأمم سنة 1922 بالرغم عن الإحتجاجات المتواصلة لمندوبي الدول المعنية وممثليهم الاكفاء.

وحيث لا نستطيع أن نقدم هنا بحثا مفصلا فسنكتفي بتقديم المطالب العربية. كما عبرت عنها ثلاث صحف نشرت تباعا في چنيف وبدون انقطاع تقريبا من 1916 إلى 1938 مع توقف يسير من فبراير 1919 إلى يناير 1922. وهذه الصحف هي مجلة المغرب La Revue du Maghreb ومنبر الشرق La Tribune d'Orient والأمة العربية La Nation Arabe وليس في المستطاع بالطبع أن نقوم بتحليل دقيق لجميع الأغراض والمواضيع التي طرقتها هذه الصحف الثلاث. لكننا سنجتهد لتجلية العناصر التي تشكل مراحل بروز الحركة الوطنية العربية أو التي تعبر عن رغائب مختلف الشعوب العربية المضطهدة في التمتع بالاستقلال.

مجلــة المغـــرب

سبق أن ذكرنا الصعوبات التي اعترضت الوطنيين المصريين في محاولاتهم لنشر بعض الصحف الدورية. ولهذا فيحق أن نعجب من نجاح «مجلة المغرب» : الجزائر تونس. المغرب طرا بلس« La Revue du Maghreb » Algérie, Tunisie, Maroc, Tripolitaine والتي كانت تعلن عن أهدافها بأنها منبر مطالب الأهالي.
La Tribune des revendications des indigènes

كان مديرها تونسيا من أصل تركي هو محمد باشا حامبا. وقد نفى من الايالة التونسية سنة 1912 هو وبعض التونسيين بما فيهم أخوه علي. محرر أول وأهم صحيفة للمطالب التونسية Le Tunisien وكان أحد قادة حركة التحرر المرموقين (13). فبعد ما أقام في أول الأمر بالقسطنطينية التحق محمد باشا حامبا بألمانيا ثم استقر بجنيف أثناء الحرب .وصدرت مجلة المغرب التي قام بنشرها يوم 30 مارس 1916 وقد جعلها شهرية فصدرت بانتظام كل شهر إلى نهاية 1916 ولكنها أصبحت تصدر بصفة غير منتظمة منذ 1917 ثم تصدر كل مرة في عددين إلى أغسطس 1918. وانتهت بآخر مجلد يحمل تاريخ سبتمبر وديسمبر 1918 ويحتوي على وثائق مؤرخة بيناير 1919. وهكذا صدر تسعة عشر مجلدا من 1916 إلى 1919 عن المطبعة الوطنية بجنيف.

إن ما يسترعي الإنتباه في محوى هذه المجلة هو التغير التدريجي لطبيعة المطالب وكذلك التوسع في المواضيع المطروقة والوثائق المنشورة. وقد تعدت المجلة نطاق شمال افريقيا فأصبحت تدريجيا لسان حال مطالب العالم العربي - الإسلامي وشعوب الشرق وافريقيا المضطهدة (14).

في مقال «برنامجنا» الذي صدر به المحرر الصفحة الأولى من المجلة عرض ضرورة مواصلة الكفاح الذي بدأ قبل الحرب للمحافظة على حقوق الأهالي التي داستها فرنسا وأسبانيا وإيطاليا في أفريقيا الشمالية وتحقيقها. والمجلة كانت تسعى لمتابعة العمل الذي بدأته صحيفة «التونسي» Le Tunisien من 1907 إلى 1912. لكنها تدين حسب قولها «سياسة المشاركة التي كانت تؤيدها صحيفتنا القديمة (التونسي) بكل إخلاص لأن هذه السياسة «أفلست نهائيا». وبعد ما ندد المحرر بالميز الذي يذهب ضحيته أبناء شمال افريقيا بالرغم عن الدماء التي أراقوها دفاعا عن فرنسا في جميع الجبهات قال:

«ينبغي أن نواصل العمل الذي توقف. إن تغيرات كبيرة على وشك الحدوث في العالم... فعلى مسلمى أفريقيا الشمالية الذين تستعبدهم أوربا أن يهتموا ويعملوا لمستقبلهم. فإن لم يكن لهم تطلع للإنفصال عن أوربا. فهم يستطيعون على الأقل أن

يحصلوا على تحسن في الوضع المفروض عليهم. وذلك بالإتجاه نحو المؤتمر الذي سينعقد في يوم من الأيام لا عادة وضع خارطة العالم والتعبير عن مبادىء جديدة لكفالة حقوق الإنسان والشعوب. لقد تحدثوا كثيرا عن العدل والحق خلال هذه الحرب مما يسمح للمحرومين منهم أن يطالبوا بحقهم...».

ثم أضاف المحرر هذه الملاحظة عن الكيفية التي ينوي الاضطلاع بعمله على نهجها :

«بهذه الروح سننشر هذه المجلة في سويسرة البلد المضياف بكل معنى الكلم وأننا إذ ندرك قيمة الضيافة التي نتمتع بها من لدن شعب كريم. سنسعى ما أمكن لعدم العبث بها».

إن الهدف واضح أيضا. إنه الدفاع عن حقوق مسلمى أفريقيا الشمالية في دائرة السياسة المفروضة من قبل فرنسا. وما فتئت المجلة تلح في المطالبة «ميثاق يكفل احترام الأشخاص والممتلكات والأحوال الشخصية ولغة الجزائريين والتونسيين. ونقض القوانين والتشريعات الإستثنائية في حقهم مع توسيع الضمانات الدستورية لصالح الجميع» (16).

لكن منذ 1917 ظهرت آفاق أخرى. فقد تكاثرت التصريحات عبر العالم لصالح حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها. وفي مقال صدر في «مجلة المغرب» 5 و6 تحت عنوان

«حق الشعوب» ذكر بيان مؤتمر رابطة حقوق الإنسان لسنة 1916 الذي شدد في مطالبة مؤتمر السلام بالإعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها «وأن يضع قائمة القوميات المضطهدة ويضمن لكل واحدة منها نظاما يتطابق مع رغائبها المعلنة». وهذا الطلب اعتمد على خطاب الرئيس الأمريكي ويلسن بتاريخ 22 يناير 1917 والذي أعلن فيه أنه لا يمكن تحقيق سلام حيث لا يسود جو من العدل والحرية والحق. وقد تردد صدى هذا التصريح في البيان الذي أصدرته الحكومة الروسية الثورية في فبراير 1917 حيث جاء :

«إن روسيا الحرة لا تهدف إلى السيطرة على الشعوب الأخرى ولا أن تنزع منها تراثها القومي أو تحتل بالقوة أقاليم أجنبية. ولكن غايتها إقامة سلام صحيح على أساس مبدأ تقرير الشعوب لمصيرها» وفي هذا الصدد وضع محرر «مجلة المغرب» السؤال التالي :

«يجب على الشعب الفرنسي أن يعلن بوضوح السياسة التي يعتزم اتباعها حيال الشعوب التي تم غزوها بالقوة».

وعلق محرر «مجلة المغرب» في عدد سبتمبر ـ نوفمبر 1917 على إدراج «حق أهالي الجزائر» في جدول أعمال اللجنة المركزية لرابطة حقوق الإنسان الذي سينعقد في نوفمبر 1917 وأن النقاش

آنذاك سيتناول بالخصوص الإصلاحات التي تقترحها لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب فذكر : «إن هذه الإصلاحات الجزئية لا يمكن أن ترضى الجزائريين لأنها تبقى على النظام الإستثنائي غير العادل» (ص 130). لكن المعلق يؤكد في مجال استعراض «لمطالب الشعب الجزائري» مرة أخرى على أن مساواة الجميع أمام نفس القانون هي الهدف الأساسي.

وفيما يتعلق بمطالب الشعب التونسي فقد وضح التذكير في عدد نوفمبر ـ ديسمبر 1917 بما يلي : «حيث أن الحماية لم تفقد الشخصية القانونية للدولة المحمية. فإن تونس قد احتفظت بوضعها كدولة منظمة أجنبية عن فرنسا وأن الشعب التونسي قد احتفظ بجنسيته وبنظامه (ص 167) لكن «قد أحدث في تونس. مثلما تم في الجزائر. نظام جائر متعسف يحرم الشعب من الضمانات القانونية».

فينبغي إزالة الحكم المطلق لبعض الموظفين الفرنسيين.

وفي مقال صدر بعدد يناير ـ فبراير 1918 تحت عنوان «حق الشعوب والمستعمرون» فند محرر مجلة المغرب مزاعم بعض الصحف الإستعمارية استنادا إلى آخر التصريحات التي أدلى بها الوزير البريطاني الأول لويد جورج والرئيس ويلسن فقال :

«مسألة حق شعوب شمال أفريقيا ومطالبها ستعرض على مؤتمر السلام... وينبغي نزع كل أمل من الإنسانية والعدالة إن بقي شعب الجزائر وتونس مستعبدين إلى ما لا نهاية له لا قلية من المعمرين وواقعين تحت وضع اضطهاد لا يحتمل ! إن هذين الشعبين يطلبان نظاما مطابقا لرغباتهما «وبعد ذلك يؤكد المحرر عبارة تبعث على الأمل وهي الدعوة إلى استفتاء الشعبين هو الكفيل بتقرير مستقبلهما» (ص 17). وقد أعيد تكرار هذه الفكرة مع تصغيدها في العدد اللاحق مارس ـ أبريل 1918.

«إن الشعبين الجزائري والتونسي يطالبان، اسوة ببقية الشعوب الأخرى، بحق تقرير مصيرها. وإن استفتاء أمم أفريقيا الشمالية هو الذي سيحدد مستقبلهما» (ص 37).

وأخيرا في عدد مايو ـ يونيو 1918 أطلق الشعار السحرى الذي يحمل طابعا تنبؤيا واضحا في مقال يحمل عنوان «استقلالنا» وقد جاء فيه :

«ان الشعب الجزائري ـ التونسي» لم يفتأ يحتج فعليا ضد النير الاجنبي بواسطة الإنتفاضات والثورات (17) فيجب أن يدعى لتحديد مستقبله بكامل الحرية. إن هذا الشعب يتوجه بالنداء إلى الضمير العالمي ليعترف له بحقه في أن يعيش حياة حرة مستقلة.

وفي العدد اللاحق بتاريخ يوليو - أغسطس 1918 تساءل المحرر في أعقاب تصريح لرئيس الحكومة الفرنسية كليمانصو ووزير خارجيته بيشون حول موافقتهما من مبدأ احترام القوميات وتحرير الشعوب المضطهدة (وكانا يعنيان بها البولونيين والليطونيين والأسطونيين واللبطونيين والجيورجيين والتشيكوسلوفكيين الخ..) تساؤل : «هل يمكن للحكومة الفرنسية أن تتكلم عن تحرير الشعوب المضطهدة في حين أنها تواصل اضطهاد الشعب الجزائري والتونسي..؟ ثم أنكر المحرر جملة وتفصيلا الإصلاحات المزعومة التي كانت تهيئها الحكومة الفرنسية بنية «استبعاد عرض مسألة تحرير الشعب الجزائري - التونسي على مؤتمر السلام بدعوى الإصلاحات المزعومة (ص 99).

وقد تعرضت كثير من المقالات إلى مطالب شعوب أفريقيا الشمالية فتناولتها بالتعليق والشرح والتأييد. كما أن المجلة كانت تستنكر أحيانا آراء بعض الناشرين الذين كانت تبلغ بهم الجرأة إلى مساندة النظام الذي تفرضه فرنسا. ومن ضمنهم رونى بايو الذي جعل من نفسه في صحيفة جنيف **Journal de Genève** «مدافعا عن الإدارة الجزائرية والمعمرين» ونصب نفسه خصما للجزائريين» (ص 115 من عدد يوليو - أغسطس 1918) (18).

وختاما فإن آخر عدد من «مجلة المغرب» سبتمبر ـ ديسمبر 1918 دل على إدراك الوطنيين في أفريقيا الشمالية لأهمية الوضع الدولي الجديد الذي ينبغي أن يكون مواتيا لنجاحهم في الغاية التي يسعون إليها والتي لا تعدو تمتع شعوبهم بالمبدأ الجديد الذي يقبله العالم بأسره الا وهو حق الشعوب المضطهدة في تقرير مصيرها. ولهذا فقد وجهوا لمؤتمر السلام مذكرة عرضوا فيها مطالب الشعب الجزائري ـ التونسي وحقه المشروع في أن يمثل في مؤتمر السلام. وذلك «لأنه أراق دماءه بوفرة في هذه الحرب» ـ «فهل من العدل أن يمنع من توجيه مندوبين عنه إلى مؤتمر السلام للمطالبة بتحرره، بينما الذي أعانهم على الحصول على الإستقلال : السربيون والبولونيون والتشيكوسلوفكيون واليوغسلافيون الخ.. سيمثلون في المؤتمر ؟ وهذه المذكرة التي نشرت في هذا العدد الأخير (ص 129 ـ 137) قد اختتمت بهذا المطلب النهائي «الشعب الجزائري ـ التونسي يطالب بالإستقلال التام» (19).

وفي برقية وجهت يوم 2 يناير 1919 إلى الرئيس ويلسن ونشرت في المجلة (ص 138 ـ 140) نادى محرروها بحق الشعب الجزائري ـ التونسي في أن ينصت إليه مؤتمر السلام. وأخبروه بالحجج التي ستستعملها الحكومة الفرنسية والمتمثلة في مشاريع

الإصلاحات لاستبعاد القضية من المؤتمر. ونشرت المجلة كذلك برقية أخرى وجهتها اللجنة المصرية في جنيف إلى الرئيس ويلسن مطالبة للشعب المصري بحق تقرير مصيره (20).

إن الطريق الذي قطعته «مجلة المغرب» في ظرف ثلاث سنوات طريق طويل جدا. حيث أن هذه المجلة. بعد أن كانت منبرا لمطالب الأهالي تطالب أن يستفيد الشعب الجزائري التونسي من نفس القانون المطبق على جميع الفرنسيين. كانت لا تطالب بالإنفصال. أصبحت تنشر مذكرات لا تتجه للرأي العام الفرنسي أو للأحزاب أو للنواب الذين يهتمون بتقدم «الأهالي». بل تتجه للحكومات الأجنبية ولجميع الدول التي يتوقف عليها تنظيم العالم في المستقبل. وهذه المذكرات تطالب بالإستقلال الوطني تنفيذا للمبدأ الذي أعلنت عنه هذه الحكومات نفسها والذي يجب أن ينفذ في حق جميع الشعوب المضطهدة.

وكانت هذه المجلة تحتوى بالطبع على أشياء أخرى غير مطالب الشعب الجزائرى ـ التونسي. خاصة الأخبار المتعلقة بمصر وتركيا والحوادث التي كانت تجتاح سوريا ولبنان والحجاز. إن اتجاه التعاليق عن الأحوال الجارية في الشرق الأدنى يدل على أن هيئة تحرير مجلة المغرب كانت تحتفظ بعلاقات مع السلطة العثمانية وكانت تتلقى دعما منها (21) وذلك لأن الثورة العربية

التي شنها الشريف حسين في مكة ضد الخليفة العثماني. قد ندد بها تنديدا شديدا (22). لكن من الخطأ أن نعتبر هذه المجلة مجرد أداة دعاية في خدمة السلطات العثمانية المركزية بيد أنه ينبغي المزيد من الوضوح على العلاقات التي كانت قائمة بالتأكيد بين هيئة التحرير والأوساط التي كانت تؤيد حركة القوميات. وليس لنا معلومات وثيقة كذلك عن مساهمات هيئة التحرير ولا عن الإعداد التي كانت تطبع من المجلة (23). ومدى انتشارها أيام الحرب.

وإذا كانت «مجلة المغرب». قد أصبحت الناطق الرسمي باسم حقوق الشعوب المستضعفة من لدن الدول الأوربية. فمن الخطأ أن نرى من خلالها ظهور مذهب وطني يرمي مثلا إلى تأسيس دولة تضم جميع الشعوب العربية. لقد كانت قبل كل شيء تدافع عن الحقوق الخاصة لمختلف الشعوب العربية آخذة في الإعتبار تجاربها التاريخية الخاصة بها وتنوع طروقها الحاضرة. وإذا كانت المجلة تؤكد على مبدأ عام شامل ـ وهو حق الشعوب في تقرير مصيرها ـ فمن العبث العثور بالمقابل في المجلة على رؤية وحدوية للأمة العربية. لقد كانت هناك شعوب عربية بعضها تشكل دولا لها وضع دولى مختلف ـ حمايات. مستعمرات الخ... ـ بينما كانت هناك شعوب عربية أخرى داخلة في دائرة

امبراطورية الخليفة العثماني وكانت هذه الإمبراطورية هي الدولة الإسلامية المستقلة الوحيدة التي تتمتع بسلطة دولية. ولم تكن المجلة تعكس رؤية وحدوية إلا بخصوص المجموعة الجزائرية التونسية. وكانت تشير إلى خصوصية وضع المغرب هذه الدولة الإسلامية المستقلة الأخيرة التي وقعت تحت حماية الدول الأجنبية. ولم يكن المحررون يتوقعون أن الحماية في الدولة الشريفة ستتدرج نحو وضع شبيه بالوضع في تونس.

وبالرغم من هذه الرؤية الخصوصية لكل شعب على حدة. فإن الصيغ الجديدة التي كانت تتجلى في هذه المجلة كانت تدل على وعي بهوية مشتركة أسهمت في إيجاد ظروف مماثلة كانت مفروضة على الشعوب العربية من المغرب إلى العراق من لدن الدول الاستعمارية سواء كانت دولا حامية أو دول انتداب. فإن وضع المقاطعات العربية التي كانت داخلة ضمن الامبراطورية العثمانية تحت الرقابة الأوروبية سنة 1919 قد عجل بإيقاظ الوعي لدى الشعوب العربية المغلوبة على أمرها بمصالحها المشتركة. مما نجم عنه الكفاح الذي قامت به بين الحربين باسم الأمة العربية.

منبر الشرق :

بصدور منبر الشرق La Tribune d'Orient اتسعت الرؤية التي كانت تتجلى في «مجلة المغرب». فهذه الصحيفة الجديدة عكست إمكانات الظروف الدولية الناشئة وكذلك هذه الظروف وما اثار تأسيس عصبة الأمم والمبادىء التي جسمتها من أمل واسع وسط الشعوب المغلوبة على أمرها. كانت هذه الصحيفة «نصف شهرية للدفاع عن حقوق الشرق الناهض وتصدر بالعربية والفرنسية في جنيف مقر عصبة الأمم» كما ورد في التعريف بالصحيفة تحت اسمها. ثم في رأس الصحيفة هذا الشعار الدائم من أول عدد : «الشرق للشرقيين» تتلوه الفقرة الآتية من خطاب الرئيس ويلسن إلى الكونغريس الامريكي في يناير 1918 :

«هناك مبدأ بديهي يحكم البرنامج الذي رسمته : وهو المبدأ الذي يكفل العدالة لجميع الشعوب قويها وضعيفها. ولجميع القوميات ويعلن حقها في العيش على قدم المساواة في نطاق الحرية والأمن. إلى جانب الأمم الأخرى».

صدر العدد الأول يوم الأحد فبراير 1922 والعدد الأخير ويحمل رقم 185 يوم الأربعاء 26 مايو 1937 أي أن منبر الشرق ظلت تصدر ستة عشر عاما على وتيرة منتظمة تقريبا إلى بداية الثلاثينات ثم بكيفية متقطعة خلال سنواتها الأخيرة. وكان شكلها

شكل جريدة تحتوي على بعض الاعلانات. وكان مديرها ومحررها هو على الغياتي الذي كان يستقر بجنيف منذ 3 ديسمبر 1910، هاجر مصر فرارا من حكم صدر عليه بسبب نشر ديوان شعر وطني لم يرق الخديوي عباس حلمي الثاني والانجليز. وبعد ما تابع دراساته في جامعة جنيف قام بنشاط صحافي بصفته مراسلا لعدد من الصحف الشرقية ومحررا في جريـــدة La Tribune de Genève وفـــي افتتاحيتـــه الأولـــى في منبر الشرق أشار الغياتي إلى المساعدة التي كان يتلقاها من منبر جنيف، ثم انه كان يتمتع بتأييد كبير من مجتمع جنيف، خاصة وانه كان متزوجا من كريمة أحد وزراء مقاطعة جنيف (24). وكانت تأتيه تشجيعات بالطبع من الشرق خاصة من بعض المحسنين المصريين والسوريين واللبنانيين (25). ويبدو أن الأمير عرفه أول ممثل لفارس في عصبة الأمم كان يساعد هذه الصحيفة التي كانت تستقصي أخبار نشاطه. ولا حاجة إلى التذكير بأن المندوب الفارسي بقي فترة طويلة الممثل الوحيد للدولة الإسلامية الوحيدة العضو في عصبة الأمم. فكان بهذه المثابة المتحدث الرسمي للشرق في محافل جنيف.

وقد اجملت جريدة «منبر الشرق» في أول افتتاحية لها الهدف الأساسي الذي ترمي إليه. وجاء فيها :

«لقد أسسنا هذه الصحيفة للدفاع عن الشرق ضد الظلم والاستعمار. في جنيف مقر عصبة الأمم. وسوف تقدم لهذه العصبة المحترمة رغائب ومطالب مصر وسوريا وفلسطين والعراق وتركيا وسيرقاسيا «شمال القوقاز» وفارس وأفغانستان والهند الخ... الخ. ان برنامجنا مطابق للمبدأ الويلسوني.. الذي يكفل العدل لجميع الشعوب وينادي بحقها في العيش على قدم المساواة في ظل الحرية والآمن» (العدد الأول).

وكانت صحيفة «منبر الشرق» إلى جانب أنباء متنوعة عن الشرق تقوم باعداد ملفات عن القضايا الكبرى التي كانت مطروحة على جدول الأعمال وتحرك الرأي العام في أجزاء العالم العربي. وكانت تتابع شؤون مصر في جميع مراحلها بوجه خاص حيث كانت تنشر جميع الوثائق المتعلقة بالنظام الدولي الجديد لمصر الذي وضع سنة 1922 وكذلك النصوص المهمة المتعلقة بالنشاط الحكومي والبرلماني المصري خلال العشرينات والثلاثينات. وكانت الصحيفة تفصل القول وتعلق على المحن التي كان يعانيها القادة الوطنيون المصريون مشيرة بصورة مطردة إلى تناقض السياسة البريطانية حيال المصريين. وهكذا فإن انجلترا كانت موافقة على إعطاء مصر استقلالها لكنها ترفض لها حق الانضمام إلى عصبة الأمم. ولم تتدخل مطلقا لصالحها ليسمع صوتها

في مؤتمر لوزان الذي كان مفروضا أن يعالج مصير الامبراطورية العثمانية بصفة نهائية. على الأقل حول بنود المعاهدة التي كانت تهيأ والتي تعنى مصر. وكان الوطنيون المصريون ينشرون احتجاجاتهم باستمرار ضد المناورات البريطانية الرامية إلى فصل السودان عن وضعية مصر.

وعند قراءة «منبر الشرق» يرتسم في الذهن بوضوح أن هناك من جهة مصر التي كانت تناضل من أجل الحصول على استقلالها الذي انتهكته انجلترا. ويختلف مصيرها اختلافا بينا عن مصير الأمة العربية. حيث أن مصر كانت إذ ذاك دولة قائمة. ومن جهة أخرى هناك القضية العربية التي تعنى جميع الأقاليم العربية التي كانت داخلة في الامبراطورية العثمانية القديمة. وكانت «منبر الشرق» تخصص الجزء الأكبر من مقالاتها لشرح القضية العربية على اختلاف وجوهها. وكانت هذه القضية تنقسم إلى عدة أقسام خاصة بحسب الأقاليم : القضية السورية. القضية اللبنانية الخ.. وهكذا فإنها لم تكن تكتفي بنشر الرسائل والخطابات والتقارير والمذكرات والبرقيات التي كانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني الذي أسس في جنيف سنة 1921 (26) أو ممثلوها يوجهونها إلى عصبة الأمم. ولكنها كانت تنشر أيضا تقارير لجنة الانتداب وتدخلات الممثلين أمام مجلس عصبة

الأمم. أن جميع النصوص التي كان يوجهها الوفـد الســـوري ـ الفلسطيني في جنيف وكانت ممضاة بالمشاركة أو بانفراد من لدن الأمير شكيب أرسلان واحسان الجابري ورياض الصلح يمكن أن تشكل وحدها مجلدا ضخما. ثم ان «منبر الشرق» كانت تنشـر أحيانـا أخبـار المظاهـرات التـي ينظمهـا المقاومـون العرب للوضع المفروض من لدن انجلترا وفرنسا وإيطاليا وتعلق عليها. كما كانت تنشر قرارات المؤتمرات الدولية العربية في أوروبا وأمريكا (27).

وظلت جريدة الغياتي الناطقة باسم الوفد السوري ـ الفلسطيني وسرعان ما أصبحت مركز تجميع ونشر مطالب الشعوب العربية والإسلامية والشرقية. ومع ذلك فإن المحافل التي كانت توجه إليها لم تأخذ تدخلاتها بعين الاعتبار إلا بعد جهود لم تعرف الفتور دامت سنوات. بعث الوفد خلالها تقارير عديدة للجمعية العامة لعصبة الأمم ومجلسها والدورات التي كانت تعقدها لجنة الانتدابات. هذه المحافل التي كانت الملجأ الأخير للشعوب المستضعفة. ولأول مرة في مارس 1927 أجاب مجلس عصبة الأمم عن العرائض التي وجهها له الوفد السوري ـ الفلسطيني حول وضع الانتداب الفرنسي المرتبك في سوريا. نعم. ان قادة اللجنة السورية الفلسطينية قد دعوا قبل ذلك للتحدث مع الحكومة

الفرنسية. بينما كانت الصحافة الكبرى في باريس تنعت شكيب أرسلان وإحسان الجابري وميشال لطف الله منذ سنوات «بالمهيجين» و «رؤساء العصابة التي لاسند لها من الشعب». فأمام حالة البلبة التي وجدها المندوب السامي هنري دي جوفنيل Henry de Jouvenel في سوريا استدعى شكيب أرسلان في نوفمبر 1926 للتحدث معه في باريس. فقدم له المندوب السوري مذكرة عرض فيها مطالب سوريا في الاستقلال وحدد فيها إطارا لتعاون فرنسي - سوري ممتاز في المستقبل. وقد تجدد هذا الاتصال الرسمي خلال صيف 1926 بين المندوبين العرب في جنيف ودي جوفنيل في باريس ولكنه توقف في أعقاب استعفاء المندوب السامي من منصبه بمجرد ماتولى بوانكاري Poincaré رئاسة الحكومة. وهذه الاتصالات اسهمت في اعطاء هيبة للوفد السوري - الفلسطيني في جنيف ولم يعد يعتبر الوفد كمجرد وكيل قائم بالدعاية ومحرض على الفتن. وإنما كمحاور محتمل. وهذا بلاشك هو ما جعل عصبة الأمم تقف موقف جديدا من الوفد.

ثم ان «منبر الشرق» بنشرها مقالات الوطنيين كانت تقوم بوظيف اعلامي له أهمية كبيرة. خاصة في الأقاليم التي كانت واقعة تحت الحماية الفرنسية إذا عرفنا أن الرقابة كانت مضروبة

على الأخبار وأن عمل الوطنيين في الداخل والخارج كان محل تشويه. بينما كان كل ماينشر ويأتي من جنيف يتمتع بهالة الاحترام الذي كان يحيط بعصبة الأمم هذه المنظمة التي كانت تتعلق بها آمال المندوبين السوريين - الفلسطينيين بالرغم عن خيباتهم المتكررة. وهكذا ففي المذكرة التي نشرتها «منبر الشرق» في العدد 101 المؤرخ في 8 مارس 1928 نقرأ مايلي:

«لقد طرقنا منذ زمن طويل باب الجمعية العامة ومجلس عصبة الأمم مطالبين بإنصاف سوريا البائسة. وليس لنا هيام خاص بالكفاح. لاسيما الكفاح غير المتكافىء. وليس لنا ميل للطعن في بلاد كفرنسا التي تتمتع باحترام عام والتي لنا معها علاقات ثقافية واقتصادية. اننا لم نقم سوى بعرض مطالب السوريين ملحين في فتح تحقيق محايد ونزيه. ونود أن تنظر عصبة الأمم والعالم المتمدين في هذه الحالة بوضوح».

فهل استجابت عصبة الأمم «ملجأ جميع الشعوب المستضعفة لهذا النداء؟ ان الأحداث اللاحقة دلت على أنها لم تستجب. فلا عجب أن يبحث المقاومون العرب وكذلك الوطنيون من الشعوب الأخرى على سند لقضاياهم القومية في أماكن أخرى. فيتجه بعضهم لموسكو وبعضهم لبرلين وبعضهم لروما أو حيثما يتوقعون تأييدا ولو ضئيلا».

من هذا المنظور فحصت «منبر الشرق» من البداية الاخطار التي تكتنف عملية السلام ومستقبل الأفكار التحررية بسبب المناورات التي تلجأ إليها الدول في حظيرة عصبة الأمم. وهكذا علق الغياتي في العدد الثامن من جريدته على بحث نص مشروع الانتداب على فلسطين والذي اقترحته بريطانيا العظمى في 1922 بما يلي :

«حين نقرأ الخطابات السابقة لا نتمالك من ملاحظة افلاس جميع مبادىء ومثل أوربا. أن عصبة الأمم التي اتجهت إليها أنظار الشرق المغلوب على أمره قد ضعفت كثيرا في أعقاب هذه الجلسة العامة. وإذا كان أمل لورد بالفور قد خاب بسبب تباطؤ المجلس في الموافقة على صك الانتداب على فلسطين. فإن خطابه هو قد خيب أمل جميع أصدقاء هذه العصبة في العالم الإسلامي».

وكان الغياتي المصري يعبر عن المعطيات الأساسية للقضية الفلسطينية سواء من حيث الصيغة أو من حيث الحجة. ثم ان المصير الذي قررته الدول لفلسطين قد ساعد ـ خلال تلك السنوات ـ على جعل قضيتها قضية عربية. بل على جعلها القضية العربية بكل معنى الكلمة.

ثم ان الغياتي نصب نفسه من البداية إلى النهاية مدافعا عن المملكة العربية الحجازية وهي الدولة التي انشأها الشريف حسين

بمكة بتأييد من انجلترا وفرنسا وضماناتهما. لم تكن هذه المملكة في الواقع قصيرة العمر مثلما ظهر ذلك في بعض النصوص الأدبية. حيث لم تنهر الا في ديسمبر 1925 على يد جيوش ابن سعود بعد ما تخلت انجلترا عنها. وكانت تتمتع بالاعتراف الدولي والعضوية في عصبة الأمم باعتبارها دولة حليفة لدول الوفاق. فأقامت أول سفارة بأوروبا حيث اتخذت روما مقرا لها سنة 1923 وعينت فيها حبيب لطف الله (28) واختيار روما في ذلك الوقت قد أملاه ولا شك الاهتمام بالحصول على دعم إيطاليا التي اظهرت منذ زمن طويل اهتمامها بالقيام بدور في العالم العربي الذي بدأ ينهض (29) وذلك بعد تخلي بريطانيا عن دعم مملكة الحجاز.

ان هذه المملكة العربية قد جعلت من نفسها ناطقة باسم جميع العرب الذين تشملهم الامبراطورية العثمانية. ولا يمكننا هنا أن نذكر جميع البرقيات والرسائل والتقارير التي وجهت في هذا الصدد إلى سكرتارية عصبة الأمم وبدون شك إلى حكومات كثير من الدول. لكن تصفح «منبر الشرق» يرينا كفاح هذه الدولة المستميت. وكفاح ملكها وجميع من كانوا يعملون في خدمته لتأكيد احترام الحقوق المكتسبة بسبب انضمام العرب إلى جانب الحلفاء واراقة الدم العربي وكذلك بمقتضى التعهدات التي

أمضاها الحلفاء والمبادىء التي ما انفكوا يدينون بها وقد رفضت المملكة العربية المصادقة على معاهدة فيرساي معتبرة المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم المتعلقة بالانتدابات منافية لحقوقها المعترف بها قانونيا في مكان آخر. فرفضت الأوفاق الفرنسية ـ البريطانية. وابتعدت عن عصبة الأمم طالما لم تنصفها. وعبثا عارضت نصوص الانتدابات التي صودق عليها عام 1922. فلا عجب إذا أن يقتنع المسؤولون في الحجاز بأن أنجلترا كانت تقف من وراء العمل الحربي لابن السعود.

(يتبع)

جنيف **قاسم الزهيري**

عبد الرحمن الأديب

د. عبد السلام الهراس

بدخول عبد الرحمن بن معاوية للأندلس تكونت دولة موحدة ذات مسؤولية وهيبة وكيان. وفي ظل هذه الدولة الجديدة نلاحظ ما يلي :

1) تأسيس دولة مستقرة مستقلة عن الخلافة بالشرق في مركز قوي يجعلها جديرة بالمعاهدات والمفاوضات والعلاقات الخارجية، دولة تعتمد على جيش قوي من الموالي والبربر بعد أن قضى عبد الرحمن على كثير من مراكز القوى القبلية العربية من يمانية وقيسية.

2) ازدهارا علميا ونشاطا في الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق عبر القيروان.

3) وفود كثير من العناصر الأموية والموالية لهم إلى الأندلس وضمن هؤلاء شخصيات سياسية وأدبية.

4) بداية حقيقية لذوبان العناصر الأندلسية القديمة في مجتمع أندلسي واحد متجانس إلى حد ما.

5) قدرة الدولة على مواجهة التمردات وسحق الكثير منها أو احتواء بعضها. وقدرتها على التصدي للخطر النصراني الذي بدأ ينطلق من الشمال ومن بلاد الفرنجة مستغلا الفتن الداخلية وفراغ الأندلس من القيادة الموحدة المستمرة.

وقد بذل عبد الرحمن مجهودات جبارة ومتواصلة لتكوين هذه الدولة ذات سلطان وسطوة وهيبة وكان بجانبه مولاه بدر الذي لم يأل جهدا في النصح والخدمة الصالحة لسيده وأميره منذ بداية الفرار من سيوف العباسيين إلى دخولهم الأندلس مما أدى إلى تقويض أركان الزعامات المركزية والمحلية وإقامة دولة على أنقاضها. ومن خلال المسؤولية التي اضطلع بها بدر والنشاط الدائب الذي بذله في الأندلس يبدو أن هذا المولى كان ذا تكوين سياسي وحربي ممتاز إذ استطاع أن يختار العناصر القيادية التي يضمن بها نجاح قيام دولة عبد الرحمن. فاتصل بها في سرية تامة وهدوء مخيم دون أن يثير غبارا أو يحدث جلبة بل نأمة حتى يأخذ الأعداء على غرة ويطلع عليهم بغتة.

إن الرجلين كانا فارسين في ميدان السياسة والقتال وقد تعاونا على إرساء قواعد حكم الأمويين بالأندلس فكان اتفاقهما خير كثير لهذه الدولة وللأندلس معا ولكنهما سرعان ما دب بينهما الخلاف وساءت فيما بينهما الظنون ونشبت بين الرجلين معركة كلامية انتهت بانهزام المولى واستسلامه للمصير المحزن الذي صار إليه جل من ناصر عبد الرحمن ممن دخل معه أو رحب به. وقد تطايرت شرارات الخلاف فكان بعضها أدبا قويا دل على مكانة الرجلين في هذا الميدان أيضا. جاء في نفح الطيب(1) - ولعله قول ابن حيان كما يدل عليه السياق والأسلوب - «وأول ناصر لعبد الرحمن سائر معه في الخمول والاستخفاء مولاه المنصرم الذكر. سعى في سلطانه شرقا وغربا وبرا وبحرا فلما كمل له الأمر سلبه من كل نعمة وسجنه ثم أقصاه إلى أقصى الثغر حتى مات وحاله أسوأ حال فلعل له عذرا ويلومه من يسمع مبدأه ومآله.

ولكن بدرا لم يسكت أثناء نكبته بل رفع صوت الاحتجاج فتدفق قلمه شكوى واعتدادا وامتنانا مما عده الأمير - عبد الرحمن - تطاولا عليه وسوء أدب منه فكان أن اشتد الخلاف واحتد الحوار واهتاجت النفوس والتجأ كل فريق للكلمة ليكشف عن موقفه

1) نفح الطيب ج 3 ص 44.

بأبلغ تعبير وأدق أداء. وهذا الحوار هو الذي جعل صاحب المسهب يشيد ببلاغة عبد الرحمن ويقول عنه بأنه : «كان من البلاغة بالمكان العالي الذي يرتد عنه أكثر بني مروان حسيرا وقد جرى بينه وبين مولاه بدر ما لا يجب إهماله» لكن دون أن يشير بكلمة إلى بلاغة بدر ومكانته الأدبية !! ثم أورد تلك النصوص المتبادلة بين بدر وسيده مبتدئا بما كتب بدر الذي دخله عجب وامتنان لما بذله من سعي في إرساء قواعد دولة عبد الرحمن من البداية إلى النهاية. فلما لم يكافأ على النحو الذي كان ينتظر بدأ يخاطبه بمثل هذه الأقوال : بعنا أنفسنا وخاطرنا بها في شأن من هانت عليه لما بلغ أقصى أمله» ـ إنما تعبنا أولا لنستريح آخرا. وما أرانا إلا في أشد مما كنا» وصار يتلكأ عن الخروج للقتال ويعتاص عليه في طاعة أوامره فهجره الأمير وأعرض عنه فكتب إليه هذه القطعة الجميلة قائلا :

«أما كان جزائي في قطع البحر وجوب القفر والإقدام على تشتيت نظام مملكة وإقامة أخرى غير الهجر الذي أهانني في عيون أكفائي وأشمت بي أعدائي وأضعف أمري ونهيي عند من يلوذ بي وبتر مطامع من كان يكرمني ويحفدنى على الطمع والرجاء. وأظن أعداءنا بني العباس لو حصلت بأيديهم ما بلغوا بي أكثر من هذا فإنا لله وإنا إليه راجعون».

من هذه اللهجة نعرف أي موقع كان يحتله بدر إبان تأسيس الدولة غير أن الأحوال تغيرت ببدر. فهذه الرسالة أثارت غضب عبد الرحمن وهيجت حنقه عليه فاشتد غيظه فوقع على تلك الرقعة بقوله :

«وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك ولئيم معتقدك. والعجب أنك متى أردت أن تبني لنفسك عندنا متاتا أتيت بما يهدم كل متات مشيد بما تمن به مما قد أضجر الأسماع تكراره وقدمت في النفوس إعادته مما استخرنا الله تعالى من أجله على أمرنا باستئصال مالك وزدنا في هجرك وإبعادك وهضنا جناح إذلالك. فلعل ذلك يقمع منك ويردعك حتى نبلغ منك ما نريد إن شاء الله تعالى فنحن أولى بتأديبك من كل أحد إذ شرك مكتوب في مثالبنا وخيرك معدود في مناقبنا...».

وأتبع القول العمل فبعث من يستأصل حاله ويلزمه داره ويهتك حرمته ويذله علانية ويسلب جاهه الذي كان يدل به على الآخرين ويرفعه في أعين من يهاب السلطان. إن جواب عبد الرحمن تضمن عنصرين اثنين :

1) تقريع مولاه بدر بما يمتن به من أعمال وما يدل من خدمات سابقة وهو خلق يرفضه عبد الرحمن ويعتبره مما يهدم مكانة بدر وتقوض ما يريد إقامته وتقويته من علاقة.

2) عقابه الشديد بسلبه ماله وتجريده من جاهه واعتقاله بداره زيادة على هجرانه قياما بمسؤولية تأديبه.

وقد أدرك بدر أنه في الحقيقة غير حر ولا سيد وإنما هو ملجم بلجام العبودية والولاء يمسك برسنه ويتحكم فيه سيده وأميره عبد الرحمن الذي لم يتورع عن أخذه بقسوة وشدة بالغين وكأنما أراد أن يرتد به إلى أدنى منزلة يستحقها الموالي لاسيما إذا سولت لهم أنفسهم أمرا دفعهم للطغيان وأشعرهم بالاستغناء.

ورغم ما يتسم به كلام عبد الرحمن من لهجة صارمة ويحمل في طياته من تحذير ربما يحمل على اليأس فإن بدرا لم ير أن الأبواب كلها قد أوصدت في وجهه فلعل في قلب عبد الرحمن بقايا وفاء وزوايا عطف وحنان توقظها ذكريات لا تنسى؛ لذلك «فلم ينته بدر عن الإكثار في مخاطبة مولاه تارة يستلينه وطورا يذكره وآخر ينفث مصدورا بخط قلمه ما يلقيه عليه بلسانه. فكان مما كتب إليه مستعطفا بلهجة فيها خنوع واستسلام:

«وقد طال هجري وتضاعف همي وفكري. وأشد ما يكون علي كوني سليبا من مالي فعسى أن تأمر بإطلاق مالي واتحد به في معزل لا أشتغل بسلطان ولا أدخل في شيء من أموره ما عشت».

لكن عبد الرحمن كان لا يزال عند سوء ظنه والإصرار على تنفيذ أمره فوقع على رسالة بدر بقوله :

«إن لك من الذنوب المترادفة ما لو سلب معها روحك لكان بعض ما استوجبته. ولا سبيل إلى رد مالك؛ فإن تركك بمعزل في بلهنية الرفاهية. وسعة ذات اليد والتخلي من شغل السلطان أشبه بالنعمة منه بالنقمة. فأيأس من ذلك فإن اليأس مريح..».

فالتزم بدر الصمت مدة من الزمن ولكن مطالب الأسرة وشماتة الأعداء وحلول مناسبات الأعياد التي كان فيها وعياله يرفلون في حلل النعمة وكانت داره مقصد الزوار والمهنئين والمعترفين. ألح عليه كل ذلك ليعاود الكتابة من جديد غير متبصر بالعواقب اغترارا ببقية رجاء في سيده الذي ربما يكون قد رضي بعض الرضى عنه فقال له في رسالة :

«قد أتى هذا العيد الذي خالفت فيه أكثر من أساء إليك وسعى في خراب دولتك ممن عفوت عنه فتبنك النعمة في ذراك واقتعد ذروة العز وأنا على ضد من هذا سليبا من النعمة مطرحا في حضيض الهوان. أيأس مما يكون وأقرع السن على ما كان».

ومع ذلك فإن بدرا ما زال يعاند إذ يعاتب ويؤنب ويعيب على سيده سوء تصرفه بالعفو عمن سعى في خراب دولته والإمعان في عقاب من رام بناءها وشاد أركانها لذلك لم يشفع

عنده قرع سنه مما كان فما ينفع ندم مصحوب بلهجة فيها بعض إدلال وإثارة سخط وعتاب.

وكذلك كان فلم يلن له عبد الرحمن بل اتخذ كتابه ذاك ذريعة لأخذه بشدة أكثر ونفيه من قرطبة إلى أقصى الثغر وكتب له على ظهر رقعته :

«لتعلم أنك لم تزل بمقتك، حتى ثقلت على العين طلعتك ثم زدت إلى أن ثقل على السمع كلامك، ثم زدت إلى أن ثقل على النفس جوارك. وقد أمرنا بإقصائك إلى أقصى الثغر فبالله الا ما أقصرت ولا يبلغ بك زائد المقت إلى أن تضيق بك معي الدنيا ورأيتك تشكو لفلان وتتألم من فلان وماتقولوه عليك وما لك عدوا أكبر من لسانك فما طاح بك غيره فاقطعه قبل أن يقطعك».

وواضح أن أسلوب عبد الرحمن كان أشد أسرا وأحكم نسجا وأدق تعبيرا وبيانا وأكثر تفجرا وأقوى ترابطا واسترسالا. ويبدو أنه كان يكتب ما يكتب بنفسه أو إملاء منه على كاتبه ارتجالا دون روية أو إطالة نظر وتفكير. وقد تعود منه الناس أن يسارع بالتوقيع على رقعة ما أو يجابه بالقول بداهة من يجالسه أو يخاطبه مما أثار إعجاب الوفود التي انثالت عليه بقرطبة تهنئة بالإمارة فقد جالسهم وأكرم وفادتهم وأثناء ذلك كان يكلم

رؤساءهم ووجوههم بكلام سرهم وطيب نفوسهم فانصرفوا عنه محبورين مغتبطين يتدارسون كلامه ويتهافتون بشكره.

وفي بعض تلك المجالس كما ورد في النفح مثل بين يديه رجل من جند فنسرين يستجديه فقال له :

«يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الأكرمين إليك فررت وبك عذت في زمن ظلوم ودهر غشوم. قلل المال وكثر العيال وشعث الحال فصير إلى نداك المآل وأنت ولي الحمد والمجد المرجو للرفد». فقال له عبد الرحمن مسرعا :

«قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك وأمرنا بعونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك فلا تعودن ولا سواك لمثله. من إراقة ماء وجهك بتصريح المسألة والإلحاف بالطلبة. واذا ألم بك خطب أو حز بك أمر فارفعه إلينا في رقعة لا تعدوك كيما نستر عليك خلتك ونكف شماتة العدو عنك بعد رفعك لها إلى مالكك ومالكنا عز وجهه بإخلاص الدعاء وصدق النية».

ومن توقيعاته التي جمعت إلى الإيجاز الرائع صرامة الموقف ومنتهى التهديد ما وقع به على كتاب سليمان بن يقظان الأعرابي الذي أبدى فيه مسلك الخداع والمراوغة :

«وأما بعد فدعني من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة

الطريق لتمدن يدا إلى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة أو لأزوين بنانها عن رصف المعصية نكالا لما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد».

ولما انتهى من قمع ثورة الحسين الأنصاري المتمرد بها والتنكيل بأصحابه تقدم لتهنئته بذلك خواصه وكان ضمنهم رجل من جملة الجند لا يؤبه به فهنأه بصوت عال فرد عليه بقوله(2) :

«والله لولا أن هذا اليوم يوم أسبغ علي فيه النعمة من هو فوقي فأوجب علي ذلك أن أنعم فيه على من هو دوني لأصلينك ما تعرضت له من سوء النكال. من تكون حتى تقبل مهنئا رافعا صوتك غير متلجلج ولا متهيب لمكان الإمارة ولا عارف بقيمتها حتى كأنك تخاطب أباك أو أخاك وإن جهلك ليحملك على العود لمثلها فلا تجد مثل هذا الشافع في مثلها عقوبة».

لكن هذا الجندي لم يكن من عوام الناس بل أجابه إجابة أديب مما جعل الأمير يقدره حق قدره ويزيد في عطائه.

وإن لهذا النص زيادة على دلالته الأدبية قيمة في بيان جانب من جوانب نظام الأمير في علاقته بالناس. فلم يكن ـ حسب هذا النص إذن ـ من حق جندي عادي أن يتقدم بالتهنئة

2) نفح الطيب ص 41 ـ 42.

للأمير الذي استنكر مبدأ تهنئته وأسلوبها وأداءه لها مع أن عبد الرحمن كان أول إمارته يظهر بمظهر البساطة، إذ كان يحضر الجنائز ويصلي عليها ويصلي بالناس ـ إذا كان حاضرا ـ الجمع والأعياد ويخطب على المنبر ويعود المرضى ويكثر من مباشرة الناس والمشي بينهم.. إلى أن تصدى له متظلم عامي ومد يده إلى عنان فرسه فأوقفه بوقاحة وجرأة فترك منذ يومئذ هذه البساطة ومخالطة الناس ووكل بذلك ولده هشاما(3).

ومن روائع كلماته تلك التي تكشف عن عميق تفكيره وجميل قصده وقدرته على الصياغة الأدبية البليغة في أوجز قول مع إحكام وقوة أسر. جاء في النفح(4) :

«ولما أنحى أصحابه على أصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة. قال : «لا تستأصلوا شأفة الأعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لأشد عداوة منهم» يشير إلى استبقائهم ليستعان بهم على أعداء الدين».

---

3) نفس المرجع ج 3 ـ 37.

4) نفس المرجع ج 3 ـ 42 هذا القول هو نفسه الذي قاله بعض الاوسيين عند انتصارهم على الخزرج قال : يا معشر الأوس اسجعوا ولا تهلكوا اخوتكم فجوارهم خير من جوار الثعالب «أي اليهود بيثرب».

وهذا دليل على أنه لم يكن حاقدا ولا باغيا استئصال أعدائه السياسيين لأن همته كانت أبعد ومقصده كان أسمى.

ولعبد الرحمن قطع نثرية أخرى تدل على تمكنه من الأدب واللغة وقدرته على التصرف في فنون القول. وكان محاطا بجملة من كتابه مثل أبي عثمان. وعبد الله بن خالد. وأمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان وتلميذ خالد بن زيد كاتب يوسف الفهري.

وكان إلى جانب بلاغته في فن النثر شاعرا فذا وشعره الذي وصل إلينا يتناول موضوعين :

الموضوع الأول : الحنين إلى المشرق.

الموضوع الثاني : الفخر والحماسة وما ارتبط بهما من تسفيه الممتنين عليه من أسرته الأموية والرد عليهم .

والموضوعان من أشد هواجس عبد الرحمن وهمومه. فموضوع إعادة الخلافة الأموية ومقاومة العباسيين والثأر منهم وتقويض حكمهم كان يشغل باله وهو في الأندلس وبعد أن صفا له حكمها. ويفهم هذا من نص أورده المقري جاء فيه :

«وأشاع سنة 163 الرحيل إلى الشام لانتزاعها من بني العباس. وكاتب جماعة من أهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على

أن يستخلف ابنه سليمان بالأندلس في طائفة ويذهب بعامة من أطاعه ثم أعرض عن ذلك بسبب أمر الحسين الأنصاري الذي انتذى عليه بسرقسطة فبطل ذلك العزم(5).

ولعله عندما كان يبعث ببعض الرسل لاستقدام أهله وذويه(6) فإنه إنما كان يستقدم بعض أجزاء جسمه وروحه كما يعبر عن ذلك بقوله الذي لاشك أنه أنشأه بمناسبة من تلك المناسبات(7).

أيها الراكب الميمم أرضـي ... أقر مني بعض السلام لبعضي
إن جسمي كما علمت بأرض ... وفـؤادي ومالكيـه بـأرض
قدر البين بيننـا فافترقنـا ... وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وكان هذا الشعور يملأ جوانحه ويتردد بعد في أعماقه فيتمنى لو تسعفه الأقدار بانتقاله إلى الشام لينضم إلى بعضه فيطفىء شوقه الطاغي إلى مرابع طفولته وشبابه وينال بعضا من

---

5) نفح الطيب ج 3 ص 54.

6) أرسل معاوية بن صالح المحدث القاضي إلى الشام ليأتيه بأخته أم الأصبغ. انظر قضاة قرطبة ص 31 . وأم الأصبغ هي التي أصدته بمولاه بدر ومولاه سالم ومعهما دنانير للنفقة وقطعة من جوهر. انظر النفح ج 3 ص 28.

7) الحلة السيراء ج 1 ص 36 ونفح الطيب ج 3 ص 53.

ثمارها. ومن أطرف ما يحكى أنه لما أرسل في طلب أخته أم الأصبع عاد الرسول دونها لكنه حمل معه فيما حمل من أشياء من الشام شيئا من رمان الرصافة المنسوبة إلى هشام فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله مباهيا به وكان من الحاضرين سفر بن عبيد الكلاعي الذي استطاع بتجربة فلاحية فذة أن يحتال في غرسه وتنقيله حتى استوى شجرا أثمر وأينع(8) فأعجب عبد الرحمن أيما إعجاب بما قام به سفر الذي خلد الأندلسيون والمغاربة اسمه إذ أضافوا الرمان إليه فأصبح يعرف بالسفري لذلك عندما رأى عبد الرحمن في جنته المعروفة بـ «ربنالش Rabanales » نخلة فريدة غريبة تتمايل ـ ولعله هو الذي غرسها ـ حن إلى المشرق وتجاوب مع غربتها وخاطبها كأنها جزء منه تحكي غربته هو فقال :

يا نخل أنت غريبة مثلـي   في الغرب نائبة عن الأصـل
فابكي، وهل تبكي مكبسـة   عجماء لم تطبع على خبـل
لو أنها تبكي ، إذن لبكـت   ماء الفرات ومنبت النخـل
لكنها ذهلت وأذهلنـي   بغضي بني العباس عن أهلي

8) نفح الطيب ج 1 ص 67 و 468.

ولقد آنس السفري أو الرمان الشامي وحشته فابتهج عندما رآه منتصبا تجاهه وقد امتلأ ثمرا طيبا إلا أن النخل لا يذكره بالشام بل ترتبط ذكراها بمطاردة العباسيين له عند نهر الفرات وقد أذهله بغضه عن أهله وذويه.

وهذه الأبيات ثابتة نسبتها إليه وهناك أبيات أخرى تعبر عن نفس الشعور بالغربة والنوى فيقول :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلـــة ... تناءت بأرض الغرب عن بلدالنخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبـــة ... فمثلك في الأقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادىالمزن من صوبها الذي ... يسح ويستمرى السماكين بالوبل

فالحاج عبد الرحمن على ذكر وتكرار ألفاظ : المنتأى والبين والإقصاء والتغرب والنوى والافتراق وانشطار الذات بين المشرق والمغرب والذهول خلال مقطوعات ثلاث ليكشف عـــن مدى تعلقه بالمشرق وعن عمق المرارة التي يعانيها من التشرد الذي قدر عليه وهو في ريعان الشباب وظل هذا الشعور قويا في أعماقه رغم ما أدركه من مجد وشاده من ملك.

أما الموضوع الثاني فيتصل بذاته وشخصيته أيضا،ذلك أن المغامرة الخطيرة التي أقدم عليها واستطاع فيها أن يفلت من براثن الأخطار المحدقة انتهت بتأسيس ملك جديد في هذا

الركن النائي وإقامة أمجاد الأمويين بعد أن تهاوت تحت ضربات بني العباس القاسية بالمشرق. ولقد حرص عبد الرحمن على أن يشرك في دولته أفرادا من أسرته استجلب بعضهم ورحب بمن وفد عليه منهم. لكن بعض هؤلاء تآمر عليه كما أن آخرين أشادوا ذات يوم في مجلس من مجالسه بما كان من الغمر بن يزيد بن عبد الملك في مواجهة السفاح والإشادة بمجاهد الأمويين وتعرضه للقتل بسبب ذلك فشعر عبد الرحمن أن ذلك يقصد به الغض من قدره والغمز في بطولته فقال :

شتان من قام ذا امتعاض منتضي الشفرتين نصلا
ومن غدا مصلتا لعزم مجردا للعداة نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا مساميا لجة ومحلا
فشاد مجدا وبز ملكا ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى ومصر المصر حين أخلى
ثم دعا أهله جميعا حين انتأوا أن هلم أهلا
فجاء هذا طريد جوع شديد سيف أباد قتلا
فنال أمنا ونال شبعا وحاز مالا وضم شملا
ألم يكن حق ذا على ذا أعظم من منعم ومولى

إذن فالبطولة هي تلك المغامرة الرائعة التي بدأت باقتحام الأخطار وجوب الفيافي والقفار وقطع البر والبحر والضرب في

الأرض والإفلات من عيون الرقباء والعملاء والنزول في أرض غريبة وتدبير الأمور على أحسن الوجوه وتكوين الجيش حتى إذا ما استقرت الأمور دعا بأهله فآواهم وأطعمهم وأمتهم فنالوا في ظله العز والمال والجاه والسلطان.

ولقد تصدى لأولائك الذين عزوا انتصاراته إلى الحظ لا إلى التدبير وربما عرضوا بامتنانهم عليه وإعانته على إقامة دولته فقال(9)

لا يلف ممتن علينا قائل | لولاي ما ملك الانام الداخل
سعدي وحزمي والمهند والقنا | ومقادر بلغت وحال حائل

إلى أن يقول:

ويقول قوم سعده لاعقله | خير السعادة ما حماها العاقل
أبني أمية قد جبرنا صدعكم | بالضرب رغما والسعود قبائل

إن الهم الذي كان يستحوذ على مشاعره هو بعث الدولة الأموية والإبقاء على حكمها والتشبث بملكها ولو كان ذلك في أقصى ولاية من ولاياتها ولم يدع له هذا الاهتمام بقية في عواطفه ومشاعره فلا نفسه تطرب لكأس ولا تهفو لحب ولا تميل للهو لذلك فعندما خرج من البحر أول نزوله أرض الأندلس قدم له

9) نفح الطيب ج 3 ص 42.

الخمر فقال : «إني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه» ثم تقدم له بعض الأندلسيين بجارية جميلة فنظر إليها وقال : «إن هذه من القلب والعين بمكان وإن اشتغلت عنها بمهمتي فيما أطلبه ظلمتها. وإن اشتغلت بها عما أطلبه ظلمت همتي ولا حاجة لي بها الآن» وردها على صاحبه (10).

وكان ذات يوم متجها إلى الثغر في بعض غزواته وصادف العسكر طيور الغرانق واقفة في بعض الجوانب فهرع إليه أحدهم ـ وقد كان يعرف كلف عبد الرحمن بالصيد ـ يعلمه بمكانها ويحثه على اصطيادها لكن همة عبد الرحمن كانت أبعد من اصطياد طيور أو متابعة حيوان فأطرق وأجابه قائلا :

دعني وحيد وقع الفرانـــق
فإن همي في اصطياد المارق
في نفق إن كان أو حالـــق
إذا التظت هواجر الطرائـق
كان لفاعي ظل نبد خافـق
غنيت عن روض وقصر شاهق
بالقفر والايطان بالسرادق

10) نفح الطيب ج 3 ص 42.

فقل لمن نام على النمارق
إن العلا شدت بهم طـــارق
فاركب إليها ثبج المضائـق
أو لا فأنت أرذل الخلائـــق

لقد اختصر غاياته وأهدافه من الحياة والوسائل التي يستعملها لتحقيق تلك الغايات والوصول لتلك الأهداف فهو لم يقصد الأندلس بعد خوض الأهوال واجتياز القارات تلبية لأهداف النفس وشهوات الذات فيبدد وقته في العبث أو يجرد سلاحه للصيد. إذن لكانت الحياة أهون من أن يحتمل من أجلها أقسى الشدائد ويرقى إليها أصعب المراكب. إن همته متعلقة بأسمى من تلك المطامع التافهة والآمال الهشة إنما يتجاوز ذلك كله بل أكثر من ذلك كله ليحلق في عنان السماء أو يغوص في أعماق الأرض لذلك التفت غاضبا إلى من سعى إليه مغريا بالصيد صادا له عن قصده الذي إليه عقد البنود ونشر الألوية وشحذ السيوف وقد تفجر غضبه شعرا متدفق المعاني متراص المباني ملتهب القافية وكأنما القطعة كلها كتلة لظى قذف بها لبركان هادر في هالة من الحمم والشرر.

وإذا كانت القطع الأولى ذات نغمة حزينة آسية لارتباطها بذكريات مؤلمة وبآمال شاحبة وبأمان تكاد تكون مستحيلة فإن

هذه القطعة تختلف عنها وعما يليها من القطعتين المرتبطتين بنزعة الفخر والحماسة. وهذا الاختلاف بارز في المبنى والمعنى في الوزن والقافية فالقصيدة صيغت في قالب عروضي دفعة واحدة إذ ارتجلها عبد الرحمن ارتجالا في سهولة وعفوية ويسر ولكن تدفقها كان مصحوبا بالتوتر والهدير النفسي لأنه كان مهتاج العاطفة لصدمة المفاجأة التي هزت كيانه هزا وهي من مشطور الرجز وتكرار تفعيلاته الثلاث تناسب تدفق القول وغليان المشاعر وطغيانها وكانت بداية الأبيات ووسطها سريعة الحركة متواثية الإيقاع متنوعة النبرات والجرس وتتابعت هناك الحروف بين قوة ولين وانفجاروانسياب أما القافية فمؤسسة دخيلة تنتهي بدوي قلما يجيد فيه الشعراء وهو القاف ولكن عبد الرحمن قد أجاد بمساعدة عناصر أخرى منها اقتصاره على نظم أبيات قليلة. ومقطوعات القاف الجيدة أكثر من طوالها الجيدة»(11).

فذاك كله يتبني أن أدب عبد الرحمن الداخل يعبر عن حياته وأحاسيسه وتفاعله مع الواقع الذي يلازمه والذكريات الحية التي تموج في داخله بقوة وعنف فكان أدبه أدب واقعه بكل صدق ووضوح وصراحة ودقة : ارتباط بحنين إلى الماضي وإعداد

---

11) المرشد إلى فهم أشعار العرب ج 1 ص 49.

لاسترداد أمجاد أسرته هنالك بدمشق والتجاء لأقصى الثغور الغربية للخلافة الأموية لترميم شعتها ورأب صدع جموعها وتكوين دولة قوية من قبائل وطوائف متناحرة وزعامات مهترئة متشاكسة متحاقدة وانعكاس لآرائه الصارمة وإجراءاته الحاسمة وردود أفعاله الخاطفة الصادقة وتصحيحاته الصامدة ومقاصده المحددة ونفسيته الطموحة الواثبة وسياسته الثابتة التي لا ترحم قريبا أساء أو بعيدا تمرد أو قائدا تردد أو جنديا تجرأ.

ولعل ما قدمنا من بقايا أدبه يجعلنا نكون صورة صادقة للأمير عبد الرحمن الذي حقق شخصيته وطموحه من خلال السنان والبيان فكان الأمير فيهما معا.

فاس **د. عبد السلام الهراس**

الطيرة والفأل
في موروثنا العربي
-2-

د. ابتسام مرهون الصفار

وفي اللسان (مادة طير) : إنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانـوا يعتقدون أن الطير تجلب نفعا وتدفع عنهم ضررا إذا عملوا بموجبه فكأنهم اشركوا مع الله في ذلك. وقوله ولكن الله يذهبه بالتوكل معناه إذا خطر له عارض بالتطير فتوكل على الله وسلم إليه، ولم يعمل بذلك الخاطر غفره الله له، ولم يؤاخذه عليه. وعندي أن المسألة ليست مسألة غفران من توهم الشرك بقدر ماهي توجيه لطيف لدفع ما يخطر في النفس من مشاعر تعيق الإنسان عن العمل والتقدم، وان هذا الاعتقاد الذي قد يوقع بالشرك إذا دفعه الإنسان، وتمالك نفسه، ومضى على ما أقدم عليه من نية وعمل متوكلا على الله فإنه سرعان ما يتخلص من هذه الأوهام والأساطير التي تعيقه عن العمل في الحياة.

وإضافة إلى هذا فإن الحديث الكريم يوضح لنا مفهوم التوكل على الله في الإسلام، وانه ليس كما يدعي المغرضون توكلا بمعنى التكاسل والتجاهل والاستكانة، بل يعني أن الإنسان يجب ألا يشغل باله بالتفكير المبالغ بما سيحدث له في المستقبل، وبشكل يتعارض مع قدرة العقل الإنساني، فعقل الإنسان محدود لا يستطيع أن يتنبأ بما يحدث له من احداث مفاجئة في المستقبل، فإن شغل ذهنه بالخوف مما قد يتوقع شلت حياته وتفكيره، وصار إنسانا مريضا موسوسا لاثقة له بنفسه ولا بالاخرين.

وهناك توجيه نفسي آخر يوجه به الرسول (ص) نفوس المسلمين إذا اعتراها هاجس الشر والتطير، وذلك بأن ينصحهم إذا إصابهم مثل هذا الهاجس بالا يلتفتوا إليه، ولا يذعنوا له، ولا يجعلوه يصدهم عما ازمعوا القيام به فقد روى الصنعاني المتوفي سنة 211 هـ عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن معاوية بن الحكم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله : منا رجال يتطيرون قال : ذاك شيء تجدونه في أنفسكم فلا يصدنكم (وفي إحدى نسخ الكتاب كما ذكر المحقق) فلا يضرنكم. قالوا : ومنا رجال يأتون الكهان، قال : فلا تأتوا كاهنا (41).

41) المصنف ج 10/ 401.

أما الترمذي فقد علق على واحد من الأحاديث النبوية التي تعالج موضوع الطيرة علق تعليقا لطيفا فيه نظرة إنسانية، وذلك أنه بدأ بشرح الطيرة بقوله (الطيرة ان تسمع صوت طائر في أول النهار، وفي ابتداء عمل أو استقبلك رجل ناقص الخلق أو أعمى أو مشوه فتتشاءم، وتترك ذلك الوجه فهذا قد ساء ظنه بربه من غير أصل، معقول، ثم يفر من قدره فيها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما بصر الطيرة من تطير وإذا رأيتم ذلك فامضوا الأمر)، فهذا المتطير قد ساء ظنه بربه، ونفر من ذلك الأمر، وتركه فالضرر حال به لأنه فار من ربه، سيء الظن به، فادركه بذلك الذي ظن، وعالجه كي يعلم ان ربه غير معجز (42).

ويحمل الحديث النبوي الكريم معالجة نفسية رائعة أكثر من كون التطير يدل على الشرك كما ذكر الترمذي، وذلك ما نفهمه من الحديث في ان من يوطن نفسه على وقوع البشر لا بد ان يجده أمامه، لأنه سيصبغ كل ما يراه في يومه من مظاهر، وحركات بصبغة الشر والشؤم ويعلل كل ما يصادفه من شر أو أذى بما لقيه أول النهار، وبذلك يفسر قول الرسول الكريم السابق (إنما بصر بالطيرة من تطير، وإذا رأيتم ذلك فامضوا الأمر) والفقرة الأخيرة من الحديث تبين كيفية تخلص الإنسان من وساوس التطير بأن لا يعبأ بما يصادفه من أمور يتطير منها ويسير

42) مخطوط المنهيات في دار الكتب المصرية رقم 21816/ب وقد فاتني تسجيل رقم الورقة.

في نيته، وبذلك تقوى عزيمته، ويعتمد على إرادته في عمله لا على شيء آخر من الأساطير والخرافات.

وفي نفس هذا المعنى قوله (ص) ثلاثة لا يسلم منهن أحد : الطيرة والظن والحسد. قيل ما المخرج منهن يا رسول الله ؟ قال : إذا تطيرت فلا ترجع (وفي لسان العرب فامضى) وإذا ظننت فلا تحقق (وفي اللسان فلا تصحح) وإذا حسدت فلا تبغ (43).

ومن معالجات الرسول (ص) في دفع اعتقاد كثير من الناس بالتشاؤم ما ورد في حديث نبوي كريم قد يفهم من ظاهره أنه يقر بالتطير، وخاصة التطير من الدار، ولكن قراءة الأخبار المتعلقة به تعطينا فكرة أخرى غير فكرة اقرار التطير. وذلك ان رجلا قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : انا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا، وكثرت فيها أموالنا ثم تحولنا منها الى أخرى فقلّت فيها أموالنا، وقل فيها عددنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذروها فانها ذميمة (44).

فهل وصف الدار بأنها ذميمة يدل على اقرار الرسول صلى الله عليه وسلم بالتطير وأنها هي السبب في جلب الشر على هؤلاء القوم فقل عددهم، وقلت أموالهم . ! ! أم ان الحديث يحمل مفهوما آخر، ومعالجة نفسية لحالة القوم ؟ !

---

43) عيون الأخبار 2/8، أدب الدنيا والدين 213 اللسان طير.
44) عيون الأخبار 1/150.

الجواب على هذا التساؤل يوضحه حديث آخر يقول فيه الرسول (ص) ان كان لأحدكم دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس لا تعجبه فليفارقها بأن ينتقل عن الدار، ويطلق المرأة، ويبيع الفرس حتى يزول عنه ما يجده في نفسه من الكراهة (45). نعم قد ينغص عيش الإنسان شعور بالضيق والخوف والتعاسة لسبب من الأسباب، ثم يفسر ذلك بأن الدار التي حل فيها هي السبب في هذه المشاعر فماذا يعمل ؟ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم نصح صاحب هذه الوساوس بالتحول عنها، وبذلك يدرأ الشكوك عن نفسه، ويخلصها من الشعور بالقلق والتعاسة ليبدأ حياة جديدة. أما مفارقة المرأة فلا يفهم منه تشجيع الرسول صلى الله عليه وسلم على الطلاق دون سبب، لأن موقف الرسول (ص) منه، وموقف الإسلام واضح كل الوضوح في أن أبغض الحلال إلى الله هو الطلاق، ولكن حين تستحيل حياة الإنسان مع زوجته، ولا يكون بينهما من التوافق والإنسجام اللذين يبرران استمرار الحياة الزوجية فإن الانفصال والطلاق يكون أفضل بكثير من حياة تنعدم فيها الألفة والمحبة، ولا يسودها الا الكدر والكراهية. وتلك أحد الأسباب في إباحة الإسلام للطلاق. وكذلك الأمر مع الفرس التي تمثل عدة العربي آنذاك وقد رد الترمذي الحديث السابق بتأويل آخر هو قوله (وليس هذا القول منه (ص) على وجه الطيرة، ولكن على طريق التبرك بما فارق وترك،

45) ارشاد الساري 5/73.

ما استوحش منه إلى ما أنس إليه) (46). أي أن بعض الناس قد يألفون الحياة في مساكنهم حتى إذا تحولوا عنها أخذتهم الوحشة من سكناهم الجديد وراحوا يفسرون حياتهم بالشر بسببها فنصحهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتركها لشعورهم فيها بالضيق.

إقرار الرسول (ص) بالفأل :

وقد يعترض معترض على سبب إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم للفأل، ومنعه ونهيه للتطير، وكلاهما لا أثر له في حياة الإنسان، لأنه إذا اعتقد بأن ما رآه من مظاهر أو أمور مجلبة للخير تفاؤلا فيلزم أن تكون المظاهر الأخرى مجلبة للشر، وهذا أمر لم يقره الرسول (ص) وقد دافع الجاحظ عن هذا الموقف بقوله إنه إذا كان (ليس لقائل القول يا هالك وأنت باغ وجه ولا تحقيق، فكذلك إذا قال يا واجد ليس له تحقيق، وليس لقوله يا مضل ويا مهلك أحق بأن يكون لا يوجب ضلالا ولا هلاكا في قوله يا واجد، ويا ظافر من أن لا يكون يوجب ظفرا ولا وجودا فاما أن يكونا جميعا يوجبان، وأما أن يكونا جميعا لا يوجبان قيل لهم ليس التأويل ما إليه ذهبتم لو أن الناس أملوا فائدة الله عز وجل ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف وقوي لكانوا على خير، ولو غلطوا

---

46) أدب الدنيا والدين 247.

في جهة الرجاء لكان لهم بنفس الرجاء خير، ولو أنهم بذلك قضوا أملهم ورجاءهم من الله تعالى لكان ذلك على الشر) (47).

إن رد الجاحظ هنا منطلق من معرفته الواسعة بكوامن النفس الإنسانية وهواجسها، وأثر مشاعر الإنسان ونفسيته على سلوكه وتصرفه فمجرد اعتقاده بأن ما سيقدم عليه مآله الفشل والخيبة فإن مطامحه وهمته ستقصر عن الوصول إلى هدفه، ولكنه إن جعل الجد سبيله ولم يعر أي اهتمام لظاهرة تعيقه عن عمله فإن العامل النفسي القوي في العزيمة والثبات سيكون فعالا ومهما في انجاح مشروعه وحتى في حالة فشله فإن المدة التي يقضيها الإنسان وهو في طريقه لتحقيق أهدافه مستشعرا بالأمل والجد تختلف تماما عن وضعه إذا سادته الشكوك والمخاوف، وشتان ما بين الحالين من فروق وبذا يكون الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد داعب نفسية المسلمين، وعالجها لغرض دفعهم نحو العمل والبناء، وخلق روح العزيمة والمثابرة والصبر.

الرؤيا والتطير :

ومن باب المعالجات النفسية لدفع الشعور بالشؤم ما ذكر من أحاديث نبوية كريمة تتعلق فيما يراه النائم من أحلام تكدر عليه صفو

47) الحيوان 3/ 46.

حياته لشعوره بالضيق أو الخوف منها من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : الرؤيا على الرجل طائر فإذا حلم أحدكم حلما يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثا. وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره (48). وفي حديث آخر (فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فلا يحدث بها أحدا وليقم وليصل (49).

وفي أحاديث أخرى نصح الرسول (ص) المسلمين إذا رأوا ما يزعجهم في منامهم الا يحدثوا بها الا من يعرفون صدق مودته لهم. وفي ذلك منتهى الذكاء والفطنة في معالجة شعور الإنسان بالحزن والتشاؤم من حلم يراه. ذلك أنه إذا أخبر به من لا يحبه ربما حمله البغض على تفسيرها بما يزعج صاحب الحلم. وحتى في حالة عدم صدق تأويلها فيكفي صاحب الرؤيا النكد والخوف مما أول له رؤياه بالشؤم والشر. أما إذا كانت الرؤيا حسنة لا تثير وساوس ولا مخاوف صاحبها فإن الرسول (ص) أوصى بالتحديث بها لأنها تحمل على التفاؤل والاستبشار قال (ص) (الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن هي جزء من تسعة وأربعين جزء من النبوة. من رأى ذلك فليخبر بها. ومن رأى سوى ذلك فإنما هو من الشيطان ليحزنه... الخ) (50).

---

48) شرح النووي على صحيح مسلم 108/9.

49) مسند الإمام أحمد 269/2.

50) مسند الإمام أحمد 219/2.

وبغض النظر عما تحمله الأحلام والرؤى من تأويلات فصل واطنب فيها علماء النفس، وما استنتجوه من علاقتها باللا شعور أو الكبت أو طموح الإنسان، أقول بغض النظر عن دلالة الأحلام هذه فإن معالجة الرسول (ص) وتوجيهه المسلمين بشأنها تعطينا هذه الصورة الرائعة في قصد إشاعة الأمل والسرور في نفوس المسلمين ونزع كل ما يعيق حياتهم، ولتحل صورة التفاؤل والاستبشار محل صورة التشاؤم.

الخيل والفأل الحسن :

ومما يستدل به أيضا على اعتراف الرسول الكريم (ص) بالفأل وتشجيع المسلمين عليه ما روي من أنه كان يتفاءل من نوع الخيل الدهم المحجلة. فقد روى موسى بن علي بن رباح اللخمي عن أبيه أنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن أعد فرسا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتره إذن أدهم أو كميتا، اقرح ارثم أو محجلا، مطلق اليمين. وفي رواية أخرى فإنها ميامين الخيل، ثم أغز تسلم، وتغنم إن شاء الله (51). وأتمت رواية أخرى الحديث بـ (ولو ان خيل العرب جمعت في صعيد واحد ما سبقتها الا الدهم) (52).

---

51) عيون الأخبار 153/1.

52) الأنوار 133، نهاية الأرب 362/.

وهذه الإضافة تعلل سبب تفضيله هذا النوع من الخيل، وتفاؤله به؛ لأنه من الجياد التي يتوقع فوزها وسبقها فهي بذلك مفيدة في الحروب في كرها وفرها. كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) (53). وهذا تيمن بالخيل عامة دون تخصيص نوع منها. وقد نظم أعرابي هذا المعنى بالبيت التالي :

الخير ما طلعت شمس وما غربـــــت

موكل بنواصي الخير معصـــــوب (54)

ويبرر تفاؤل الرسول (ص) بالخيل، وحبه لها بأنها كانت عماد حياة العرب، ووسيلتهم في الدفاع عن أنفسهم، وبالتالي الدفاع عن عقيدتهم بعد ظهور الإسلام (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل ترهبون به عدد الله وعدوكم...) فالفرس الجيدة الأصيلة تبشر بالخير؛ لأنها تعين على النصر والفوز، فيتيمن بها قبل أن تجرب، لأنه يتوقع منها الخير. ونجد مثل هذا في شعر زهير بن مسعود الضبي الذي يصف فرسه بأنها محبوبة ميمونة، ويعلل ذلك بصلاحها :

ياليت شعري والمنى ضلـــــة والمـرء مـا يأمـل مكـــذوب

هل تذعرن الوحش بي فيالضحى كبداء كالصعـــدة سرحــــــوب

---

53) عيون الأخبار 1/153، الأنوار 133.

54) حليه الفرسان 184/الأنوار 136.

مجفـرة الجنبيـن يمنـى لهـــا هاد كجذع النخل يعبــــــوب
ميمونـــة الطائـــر محبوبـــة والفـرس الصالـح محبـــوب (55)

ومن هنا نقول بأن تفاؤل الرسول (ص) بالخيل وبصفات معينة منها، لا يعني أنه يصدق بالطيرة التي هي ضد الفأل، وإنما يتفاءل بالخير، ويضعه نصب عينيه، ويحاول أن يرفع الناس إلى هذه الروح المستبشرة المتفائلة.

التسمية والفأل :

ومن الروايات التي يستدل بها على تفاؤله صلى الله عليه وسلم من أشياء معينة، ما ذكر من أنه (ص) كتب إلى أمرائه : إذا ا بردتم الي بريدا فاجعلوه حسن الوجه، حسن الإسم (56).

إن اختيار الأسماء الحسنة ذات المدلولات الطيبة من السبل التي اعتمد عليها الرسول (ص) ليحول بين نفوس المسلمين وبين التشاؤم، فعمد إلى تغيير أسماء بعض المسلمين الذين سموا بأسماء قبيحة توحي بالشؤم أو بمعان غير جميلة فغيرها الى دلالات حسنة وما ذلك إلا لدفع ما قد تحدث هذه الأسماء من صدى سيء عند بعض النفوس التي اعتادت على

---

55) الوحشيات /87.

56) عيون الأخبار 1/148.

التشاؤم. فقد روي أن زينب ابنة جحش أم المؤمنين أو زينب بنت أم سلمة ربيبته صلى الله عليه وسلم كان إسمها بره فقيل تزكي نفسها؛ لأن لفظ برة مشتق من البر. فسماها الرسول (ص) زينب، وقد وقع مثل هذا لجويرية بنت الحارث، وكان إسمها برة أيضا (57) وقد ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي سمى أبا بكر الصديق بعبد الله، وكان اسمه القديم عبد الكعبة، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، واختلفوا في عتيق فقيل كان إسمه في الجاهلية، وقيل بل سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم (58).

وقد غير الرسول صلى الله عليه وسلم أسماء بعض الصحابة تفاؤلا أو إكراما لهم، من ذلك ما يروى في غزوة الخندق حين كان المسلمون يعملون بالخندق ارتجز المسلمون برجز يشير الى تغييره صلى الله عليه وسلم لإسم واحد من الصحابة الذي كان إسمه جعيلا فسماه صلى الله عليه وسلم عمرا فقالوا :

سماه من بعد جعيل عمـــرا   وكان للبائس يوما ظهـــــرا (59)

ومن ذلك أيضا ما روته السيدة عائشة أنها قالت بأن عجوزا قدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها من أنت ؟ قالت أنا جثامة

57) إرشاد الأريب 112/6.

58) شرح نهج البلاغة 37/1.

59) تاريخ الطبري 45/3 وراجع أيضا كتاب الكافي 17/6 وفيه الأسماء والكنى.

المدينة. فقال صلى الله عليه وسلم : بلى أنت حسانة المدينة. كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت : تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ قال : انها كانت تأتينا أيام خديجة، وان حسن العهد من الإيمان.

وهذه الرواية لا تدل على تغيير الرسول (ص) إسم المرأة بقدر ما تدل على ملاطفته عليه الصلاة والسلام للمرأة. على أن تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة لم تكن ملزمة لهم أي أنه لم يحرم استعمال الأسماء التي لا توحي بالتفاؤل، ولكنه حبذها وحببها إلى نفوسهم. فقد روى سعيد بن المسيب أن جده قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : ما اسمك ؟ قال حزن. قل بل أنت سهل. قال : ما أنا بمغير اسما سمانيه أبي، قال ابن المسيب فما زالت فينا الحزونة. وفي الحديث أن التغيير ليس على وجه المنع من التسمي بالقبيح بل على وجه الإختيار فيجوز تسمية القبيح بحسن، والفاسق بصالح، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يلزم حزنا لما امتنع من تحويل اسمه إلى سهل بذلك. ولو كان لذلك لازما لما أقره على قوله ما أنا بمغير إسما سمانيه أبي (60).

وتغيير الرسول (ص) لبعض الأسماء يجرنا إلى الحديث عن الأسماء نفسها وكيف كانت العرب تتفاءل بها. فالكتب القديمة زاخرة بأسماء

60) شرح صحيح البخاري 112/9.

أبناء العرب الغريبة والخشنة كحجر، وصخر، أو أسماء حيوانات شرسة، كأسد، وليث، وذئب، وسيد وعملس، وضرغام وما إلى ذلك. يقول الجاحظ (والعرب إنما كانت تسمي بكلب وحمار وحجر، وجعل، وحنظلة، وقرد على التفاؤل بذلك، وكان الرجل إذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل، فإن سمع إنسانا يقول حجرا أو رأى حجرا سمى ابنه به، وتفاءل فيه الشدة والصلابة، والبقاء والصبر، وانه يحطم مالقي، وكذلك إن سمع إنسانا يقول ذئبا أو رأى ذئبا تأول فيه الفطنة والخبّ والمكر والكسب، وإن كان حمارا تأول فيه طول العمر والوقاحة والقوة والجلد، وإن كان كلبا تأول فيه الحراسة واليقظة وبعد الصوت والكسب وغير ذلك (61).

ويقول العسكري في هذا الباب أيضا (ومنها ما كانوا يسمونه أبناءهم به تفاؤلا على أعدائهم مثل غالب وغلاب، وظالم، ومنازل، ومقاتل، ومعارك، ونحوه، ومنها ما تفاءلوا به للأبناء نحو نائل ووائل، وناج، ومدرك، وسالم وسليم وسعد وما أشبهه... ومنه ما سمي بالسباع نزهيبا لأعدائهم نحو أسد وليث (62).

وقيل للعتبي : ما بال العرب سمت أبناءها بالأسماء المستشنعة،

---

61) الحيوان 324/1.

62) شرح ما يقع فيه التصحيف : 504.

وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة فقال : إنها سمت أبناءها لأعدائها، وسمت عبيدها لأنفسها (63).

ويبدو أن ظاهرة وجود أسماء قبيحة في اللغة العربية دفعت الشعوبية إلى الطعن بالعرب، والغمز في أذواقهم، وأفكارهم، واستشنعوا ذلك إما جهلا وإما تجاهلا، مما دفع بعلماء العربية ومحبيها إلى التصدي لهم، وتأليف الكتب لتوضيح هذه المسألة اللغوية المهمة فكان هذا السبب هو الدافع الذي دفع ابن دريد لتأليف كتابه الإشتقاق فيقول في مقدمة كتابه المذكور (وكان الذي حدانا إلى إنشاء هذا الكتاب أن قوما ممن يطعن على اللسان العربي، وينسب أهله إلى التسمية بما لا أصل له في لغتهم، وإلى ادعاء مالم يقع عليه اصطلاح من أوليتهم، وعدوا أسماء جهلوا اشتقاقها، ولم ينفذ علمهم في الفحص عنها، فعارضوا بالأفكار، واحتجوا بما ذكره الخليل بزعمهم أنه سأل أبا الرقيمش ما الرقيمش ؟ فقال : لا أدري إنما هي أسماء نسمعها ولا نعرف معانيها) (64). ثم يناقش ابن دريد الخبر الأخير ليبين أن العرب ما كانت تسمي أبناءها عبثا دون دلالة معينة، وأنهم في جاهليتهم مع اميتهم كان لهم مذاهب معينة معروفة في تسمية أبنائهم وعبيدهم. ثم يعدد ابن دريد مذاهب العرب في التسمية.

---

(63) شرح ما يقع فيه التصحيف 502، الاشتقاق : 4.

(64) الاشتقاق : 4.

1 ـ منها ما سموه تفاؤلا على أعدائهم نحو غالب وغلاب وظالم وعارم ومنازل ومقاتل، ومعارك، وثابت ونحو ذلك، وسموا في مثل هذا الباب مسهرا ومؤرقا، ومصحبا، ومنبها، وطارقا.

2 ـ ومنها ما تفاءلوا به للأبناء نحو نائل ووائل وناج ومدرك، ودرك، وسالم وسليم، ومالك، وعامر، وسعد وسعيد، وسعدة وأسعد، وما أشبه ذلك.

3 ـ ومنها ما سمي بما غلظ، وخشن من الشجر تفاؤلا أيضا نحو طلحة، وسمرة وسلحة، وقتادة، وهراسة كل ذلك شجر له شوك وعضاه.

4 ـ ومنها ما سمي بالسباع ترهيبا لأعدائهم نحو أسد، وليث، وفراس وذئب، وسيد، وعملس، وضرغام وما أشبه ذلك.

5 ـ ومنه ما سمي بما غلظ من الأرض وخشن لمسه، وموطئه مثل حجر، وحجير وصخر، وفهد، وجندل، وجزول، وحزن، وحزم.

6 ـ ومنها أن الرجل كان يخرج من منزله وامرأته تمخض فيسمي ابنه أول ما يلقاه من ذلك نحو ثعلبة، وثعلب، وضب وضبة، وحزز وضبيعة، وكلب وكليب، وحمار، وقرد، وخنزير وجحش، وكذلك تسمي أيضا بأول ما يسنح أو يبرح لها من الطير نحو غراب، وصرد، وما أشبه ذلك (65).

---

65) ن. م 5.

وقد فصل ابن فارس في تعليل هذه الأسماء بقوله (فإن رأى حجرا أو سمعه تأول فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر، وإن رأى ذئبا تأول فيه الفطنة والفكر والكسب، وإن رأى حمارا تأول فيه طول العمر والوقاحة، وإن رأى كلبا تأول فيه الحراسة، وبعد الصوت والإلف، وعلى هذا يكون جميع مالم نذكره من الأسماء (66). وواضح ان تعليله هذا هو تكرار لما ورد عند الجاحظ في حيوانه.

وقد سمت العرب هذه العادة في التسمية بلفظ التنفير، وقد ذكر عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي أنه نقل قول بعض العرب لأبيه : إذا ولد لك ولد فنفر عنه فقال له : يا أبي وما التنفير ؟ قال : غرب إسمه. فولد له ولد فسماه قنفذا، وكناه أبو العدا (67) فالمتحدث هنا لم يجعل معنى التنفير مقترنا بطلب الأسماء من خلال ما يعرض للإنسان بعد خروجه من الدار، بل جاوزها إلى تقصد اختيار الأسماء الغريبة ولم يعلل سببها. ومع أن الأسماء التي كان العرب في الجاهلية يختارونها ويتفاءلون بها لأنفسهم وعلى أعدائهم فإنهم سموا أسماء جميلة تفاؤلا أيضا

---

66) الصاحبي / ابن فارس 62 وقد سمت العرب أسماء لأسباب عديدة قد تكون غير الذي ذكرت أعلاه فاسم احد الصحابة مثلا ابي اللحم ووصفه ابن الأثير بأنه قديم الصحبة، وأنه قيل له ابي اللحم لأنه كان لا يأكل ما ذبح على الأصنام. وقيل كان لا يأكل اللحم. انظر اسد الغابة 34.

67) بلوغ الارب 2/ 324.

مثل اكثارهم من التسمية بالربيع، وبارق، ورباب، (68) كما أنهم سموا أبناءهم لغير هذه الأسباب فقد تكون هناك تجربة شخصية أو حادثة خاصة تحدث لشخص معين فيولد له مولود فيسميه باسم له دلالة على ما حدث، يصدق هذا في الأسماء والكنى والألقاب، وقد تكون التسمية لكبير وليس لمولود ولارتباطها أيضا بحادثة معينة نذكر لهذا مثلا تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عمه الإمام علي بن أبي طالب ـ بأبي تراب ـ وذلك أنه سأل عنه يوما فقيل إنه مضطجع في المسجد فجاءه صلى الله عليه وسلم فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره، ويقول : اجلس أبا تراب. وقد ذكر بأن اسم أبي تراب كان من أحب الأسماء إليه من بعد (69).

وقد يغلب لقب على إسم صاحبه لصفة فيه فعمرو بن الأهتم الشاعر سمي بالمكحل لجماله (70).

وتبقى قضية الأسماء في العربية مرتبطة بظاهرة التطير والفأل إذا عرفنا بأن التسمية بأسماء الحيوان أو النبات في الجاهلية خاصة هي ظاهرة أكثر شمولا من غيرها، وهي تسميات استمرت إلى حد ما بعد

---

68) شرح ما يقع فيه التصحيف 459، وانظر الإشتقاق لابن دريد وجمهرة انساب العرب لابن حزم.

69) تاريخ الطبري 2 : 262.

70) شرح ما يقع فيه التصحيف 459.

الإسلام لذا فهي تحتاج إلى تتبع الآراء التي قيلت فيها، وقد ذكرنا من قبل آراء اللغويين العرب القدماء ونعرض الآن إلى رأي باحث محدث حاول أن يحلل ظاهرة التسمية بالحيوان أو النبات وذلك حين قال ،

لقد حاول الدكتور محمد عبد المعين إعطاء تفسير جديد لأسماء العرب هذه فنقل عن بعضهم بأنها ليست أسماء بل ألقاب لوحظ في أصحابها التشابه بينهم وبين الحيوان (71). ولم نجد لهذا الرأي أساسا من الصحة في مصادرنا القديمة، ثم أن المقارنة بين المولود الجديد، وغيره من الحيوانات مثلا لغرض إطلاق التسمية أو بالأحرى لاختيار إسم له تكاد تكون مستحيلة لان شبه بعض الناس ببعض الحيوان لا يمكن أن يميز إلا بعد أن يشب الطفل، ويكبر. ويستنتج الباحث بعد ذلك بأن التسمية باسم الحيوان والنباتات تعتبر مظهرا من مظاهر الطوطمية، وان العرب إذا كانت تريد بتلك التسمية تفاؤلا تارة واستعاذة تارة أخرى فهذا يدل على تقديس الحيوان وهو أيضا من مزايا الطوتمية. ويبني على هذا الإستنتاج فكرة أخرى ان هذه الأسماء التي تنسب إليها بعض القبائل كانت في الأصل معبودة عندهم (72) وان الحيوان كان يحمي العرب كما كان الطوتم يحمي أهله (73). ثم يقول في خاتمة المطاف في

---

71) الأساطير العربية 68.

72) ن. م 66.

73) ن. م 79.

المقارنة بين الطوطمية وبين تسمية العرب بأسماء الحيوان فيقول ، (كانت العرب تقدس الحيوان وتعبده كما يقدسه، ويعبده أهل الطوتم، إذ كان أهل الطوتم يرمون بعبادة الحيوان إلى إجلال الآباء وإكرامهم فكانوا مدينين للطوتم بحياتهم وحمايتهم، ولكن العرب لم تعتقد إن حياتها هبة من هبات اله حيواني، ولا رأوا صلة رحم بينهم وبين الحيوان الطوتمي كما هي عقيدة المتوحشين، بل كان العربي يقدس الحيوان ويعبده لتحصل له البركة، وشكرا لإستفادته منه على مجرى عادة الرعاة جميعا) (74). والحقيقة كما تبدو لنا أن هذا الإستنتاج لا يعتمد على أسس علمية لأنه لا دليل لدى المؤلف يؤكد عبادة العرب للحيوان، والقرآن الكريم نفسه نعى على عرب الجاهلية وثنيتهم وشركهم، ولم يشر أبدا إلى عبادتهم الحيوان. ولا يكفي أن نعتبر حماية الحيوان للعربي كالكلب مثلا دليلا على وجود الطوطمية، لأن سكان البادية والريف والمناطق النائية في جميع أنحاء العالم ما يزالون يستعملون الكلاب للحراسة، فهل نقول بأن هذا المظهر الموجود حاليا في معظم بلاد العالم هو بقايا طوطمية لدى جميع الشعوب ! ! إن الإعتماد على الفرضيات وحدها دون استقصاء الادلة منهج يرفضه العلم والبحث والتحقيق، ولجرجي زيدان كتاب باسم (الطوطمية) رفض فيه فكرة كون العرب عبدة حيوان أو نبات في الجاهلية.

---

(74) ن. م 81.

ونعود إلى الأسماء العربية وقضية الطيرة والفأل فتقول ان العرب حين اختارت كثيرا من الأسماء على سبيل التفاؤل فإنهم تشاءموا من أسماء بعضهم إذا كانت قبيحة، وهذا ما يبرر تغيير الرسول (ص) لبعض الأسماء كما مر بنا وقد ذكروا رواية عن الخليفة عمر بن الخطاب من أنه خرج يوما الى حرة واقم فلقي رجلا من جهينة فقال له ، ما اسمك قال : شهاب، قال ، ابن من ؟ قال ، ابن جمرة، قال ، وممن أنت ؟ قال : من الحرقة، ثم قال ، ممن ؟ قال من بني ضرام، فقال له عمر ، أدرك أهلك، وما أراك تدركهم الا وقد احترقوا ! ! فأتاهم وقد أحاطت النار بهم (75).

ومع ان روح المبالغة والافتعال والوضع واضحة في هذا الخبر إلا أن واضعه دل على تصور العرب لدلالة بعض الأسماء، وشعورهم تجاهها، فلما جمعت هذه الأسماء وصيغ منها خبر واحد فكانت منه هذه القصة الطريفة والا فإن تسمية الرجل بشهاب من التسميات المشهورة والسائدة الا أنها ذكرت مجتمعة مع الألفاظ والأسماء الأخرى التي تدل على الحريق والنار فشكلت حكاية نستدل منها شيئا من دلالة الأسماء.

وقد رووا أيضا أن عمر سأل رجلا أراد أن يستعين به على أمر عن اسمه، وإسم أبيه فقال ، ظالم بن سراق، فقال عمر ، تظلم أنت، ويسرق

75) عيون الأخبار 148/1.

أبوك، ولم يستعن به (76). كما ذكر بأن القاضي شريحا رد شهادة رجل لا لشيء إلا لأنه كان يدعى أبا الكويفر قائلا له ، لو كنت عدلا لم ترض بهذا ـ أي بهذه الكنية التي لا يستسيغها ولا يقبلها المجتمع الإسلامي.

على أن عادة التسمية بالأسماء الجميلة شاعت بشكل واضح بعد ظهور الإسلام لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الأسماء القبيحة وتحبيبه الأسماء الجميلة التي تبعث السرور والرضى في نفس المولود وأهله وهكذا شاع إسم محمد تيمنا بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى شاعت تسمية الابن البكر من الأبناء بمحمد أو أحمد، ومن الطريف أن نروي خبرا عن الجاحظ يصف فيه أحد المغفلين أو الأغبياء في الكوفة ممن كان يحاول أن يتفلسف أو يعلل، ذلك انه حدث هذا الرجل وكان يسمى الفضل بن مروان صاحبا له، ونصحه بالتسمية بمحمد فبالغ حين قال ، ان ولد لك مائة ذكر فسمهم كلهم محمدا، وكنهم محمدا، فإنك سترى فيهم البركة،أو تدري لأي شيء كثر مالي؟ قلت لا والله ما أدري، قال ، إنما كثر مالي لأني سميت نفسي فيما بيني وبين الله محمدا، وإذا كان إسمي عند الله محمدا فما أبالي ما قال الناس (77). ومع أن الجاحظ أورد

76) الشعر والشعراء : 17.

77) الحيوان 27/1.

هذا الخبر على سبيل التظرف والنكته فإن له دلالته في شيوع إسم محمد أو أحمد في المجتمع الإسلامي وتيمن الناس به.

وشاعت بعض أسماء الصحابة ممن عرفت لهم مواقف مشرفة في الإسلام أو ممن ارتبطت أسماؤهم بفرقة من الفرق الإسلامية. وقد ذكر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز سمع رجلا يدعو رجلا ، يا أبا العمرين فقال له ، لو كان له عقل كفاه احدهما (78).

وهكذا يستمر نهج التسمية عند العرب بشكل عام يميل نحو التفاؤل بالأسماء، وقد نسبوا لنصر بن سيار وصية يقول منها ، (لا تسم غلامك إلا باسم يخف على لسانك (79). ولذلك هجي بعض الأشخاص بسبب أسمائهم أو فلنقل استفلت أسماؤهم في هجائهم. يقول الاخطل في هجاء رجل إسمه خنجر ،

أمن عوز الأسماء سميت خنجـــرا

وشر سلاح المسلمين الخناجـــــر (80)

كل هذه الأقوال التي ذكرناها في تسمية العرب أبناءها، ودوافع الفأل على اختلافها ما يزال الكثير منها متداولا أو بالأحرى ما تزال كثير من الدوافع حية في مجتمعاتنا مثل استمرار شيوع إسم النبي محمد

---

78) الشعر والشعراء : 17.

79) البيان والتبيين 2/211.

80) شعر الاخطل 31.

صلى الله عليه وسلم وإسم أحمد، ففي المغرب العربي يكاد لا يخلو دار من إسم محمد حتى ليتكرر الإسم في العائلة الواحدة، وما ذلك الا تيمنا بإسم النبي الكريم أو أسماء بعض الصحابة على اختلاف البلدان العربية والإسلامية مع كون هذا الاسم من أكثر الأسماء شيوعا عند العرب والمسلمين.

واستجدت أسماء أخرى بجدة الأحداث المعاصرة مثل شيوع أسماء الملوك الذي تعاقبوا الحكم في المغرب الأقصى مثل ادريس أو مولاي ادريس والحسن للبنين وكنزة وفاطمة للبنات، ومثلها ظهور أسماء جديدة في المشرق العربي لم تكن موجودة من قبل ولكنها ارتبطت بحدث سياسي، مثل شيوع إسم ناصر أو عبد الناصر أو جمال حين برز الرئيس جمال عبد الناصر في مصر، وشيوع أسماء في العراق بعد ثورة 14 تموز لم تكن معروفة من قبل مثل ثائر ومناضل وناصر للبنين وثورة وانتصار ونضال للبنات. وقد يرتبط حدث طارىء في بلد عربي باسم الإنسان أو البلد الذي حدث فيه الحدث ويمثلها ظهور أسماء لبنات على مسميات مدن عربية وخاصة بعد حرب 1948 حيث أطلق إسم نابلس وغزة للبنات، كما شاع إسم جميلة تيمنا بجميلة بوحيرد في حرب التحرير الجزائرية، واغادير لبنت وافق ولادتها زلزال أغادير المشهور وهكذا...

فاس د. ابتسام مرهون الصفار

أيّام في مُرّاكش

عبد العلي الوزاني

اسلمتني فاس إلى مراكش نصف مجنون.. واستردتني منها مجنونا كاملا... يزعم للناس أن تحت ثيابه عناقيد البلح الأحمر.. وان في جيوبه رسائل من مئذنة الكتبيين.. وتقارير عن لقاءات شعرية مشتبه فيها كانت تتم على أرصفة (صهريج لمنارة).. واعترافات بخط يد الشاعر الرقيق المعتمد بن عباد.. ضاعت منه وهو يعبر المدينة إلى مقره جنوبا بأغمات..

بمجرد ما عشت فيها أياما. وللمرة الأولى. حرضتني على ترك مائدة الأسرة.. لاتناول طعامي في ضيافة العصافير تحت أشجار (الداوديات).. وعلمتني الاستغناء عن ساعة يدي.. واعتماد ظلال النخيل مقياسا لمعرفة الوقت.. وأغرتني بأن يكون ابتداء يومي العملي أحيانا هو الثانية عشرة ليلا..

مراكش كانت تملك من سعة الأفق والتسامح في معاملة البراعم مالم تكن تملكه فاس.. لذلك كان انتقالي إلى أحضان مراكش إيذانا بانعتاقي من محفوظاتي الفاسية.. والشروع في كتابة إنشائي الأول.. نقشا على حائط قديم.. هناك أحسست بمولد وتر في حنجرتي.. وانضمام نغمة إلى صوتي.. وحدوث جموع في أصابعي.. وبشيء من انحراف في كلماتي.. جريت كثيرا.. وعرقت كثيرا... وتفتحت كل مسامي للافراز... وتهيأ لي أني كنت داخل بيت من زجاج.. فخرجت منه إلى عنفوان الطبيعة.. لا أسوار من حولي.. الأفق كله مفتوح.. حيثما كنت تطل عليك نخلة.. ويداهمك عصفور.. وتمسك بك أشعة الشمس.. الحياة بعرقها الطبيعي.. لاتحاول إلغاءه بمستحضرات العطور.. لون البيت من لون الأرض.. من لون الفضاء المزحوم.. الفوار الطبيعة والإنسان شيء واحد.. الفطرة النقية الصادقة سيدة الجميع.. الزهور تكبر بسرعة خارقة الأطفال تظهر براعم رجولتهم في وقت مبكر.. الفتاة تستحق زوجا فور إسقاطها لاسنان الحليب.. يفاجئها دور المرأة ولما تنته من دور الطفلة.. لا يدري أهلها ماذا يصنعون.. أيمسكونها في الأحضان.. أم يعرضونها لأنظار العرسان.. حيرة بين صدر الأم الدافىء.. وقلب الزوج الخافق.. عندما تزف إليه يكمل التربية التي بدأها الوالد.. ويشرع في ممارسة حقوق الزوج.. مهمة مزدوجة.. ما أشق الجمع بين طرفيها..

الحب هناك متمرد على السلطة.. على استعداد للصراع في أية لحظة.. يود أن يكون سلطة ثانية.. تستمد مشروعيتها من نفسها.. التاريخ كائن حي.. يعيش الحاضر ويطمح إلى المستقبل.. وليس له أدنى تفكير في التخلي عن معترك الحياة.. ليتفرج من بعيد.. الأولياء في المدينة ممسكون بسلطتهم الروحية كاملة.. يواظبون على حضور حلقات الذكر كل يوم.. مزاراتهم آهلة بشكل دائم مراكز هامة في الحياة الاجتماعية.. الزحام من حولها قائم دائما على قدم وساق...

دخلت مراكش للمرة الأولى ولما يخضر شاربي بعد.. فتحولت إلى رجل في بعضة أيام.. تحت جلدي عوامل تتدافع.. براعم تبحث عن منافذ للانبثاق.. في حلقي عطش من نوعي لم أشعر به من قبل.. عطش فاس يتميز بالصبر.. وطول النفس.. كعطش أرض تملك احتياطيا يساعدها على الاستمرار في الإنبات ريثما يأتي موسم الأمطار.. أما عطش مراكش فعنيف.. ولا يحتمل الانتظار.. متجدد بين لحظة وأخرى.. لا يرتوي أبدا.. هو صديق ملازم على الطريق.. لا بد أن تكون مصادر الري على مقربة.. لإطفاء ناره بين حين وحين.. العطش هناك ضرب من الجفاف المصحوب بسخونة الدم.. والرغبة في النهم الذي لا يعرف الحدود.. ومن يتحول إلى هذه المدينة الرائعة لا يبق معتدلا في

أي شيء.. الاعتدال ومناخ البلد لا ينسجمان.. الافراط هو الطريقة المفروضة على الجميع.. وما أروعه من إفراط يشد الإنسان روحا وجسدا إلى الأشياء المحيطة به.. ويبعث ثورة متجددة في الخلايا والحواس.. لاقناعة هناك في التعامل مع الطبيعة.. لأن الطبيعة نفسها لاترضى من الناس بأقل من النخاع..

اللون الأسمر في مراكش سيد الألوان.. نقي وعميق.. مظهر صحة وعافية.. مزيج بارع من رحيق الزهر الأبيض.. وذوب العنب الأحمر.. تراه زاهيا على بشرته، وكأنما غطس في مياه البحر.. ثم أخذ حمام شمس فوق رمال الصحراء.. ثم صعد لشم الهواء على قمة الأطلس الكبير.. عندما يدخل اللون الأبيض مناخ مراكش المكوث به ولو بضعة أيام، يزحف نحوه اللون الأسمر على مهل.. ثم يبدأ في مغازلته من بعد مناسب.. لينتهي إلى احتوائه.. وأخذه بالتدفئة اللازمة.. حتى يتوهج، وتنضج طبقته الخارجية...

المجيء من فاس إلى مراكش كان بالنسبة لي تحولا عميقا.. انتقلت بواسطته من مرحلة الدعة إلى مرحلة الاجهاد.. كمن كان مستلقيا في الظل.. واضعا كلتا يديه في الماء.. تأخذه الغفوة بين حين وآخر.. تسترخي مفاصله وتلين.. والظلال من حوله عميقة إلى درجة التعتيم أحيانا.. لحد ان الشمس تضطر أحيانا إلى الهجوم.. لانتزاع الهيمنة من الظل.. ولو إلى حين.. ثم

انتقل فجأة إلى معترك الضوء والدفء والعرق.. العين الغافية أحست باليقظة الكاملة.. المفاصل المسترخية شدت عضلاتها واخشوشنت بشرتها.. وفي وهج الشمس تطير الأحلام.. وتتبخر الأوهام.. ويبدأ التفاعل العميق الحي مع الطبيعة.. الشمس حينئذ تقوم بدور البطولة.. تهرب الظلال منها إلى بعض الزوايا... الظل ترتفع درجة حرارته أحيانا حتى يعود شمسا أخرى مطفأة.. انطفأت فيها الأشعة واستمر الحر والعرق والإلحاح.. النسيم حينئذ يكون مقدمه السعيد كمقدم ريح الصبا التي هام بها الشعر العربي القديم.. فعندما يداعب أطراف النخيل.. ويباغت فارعات القدود.. ويغازل ناعسات الأزهار.. ويناغي ساجعات الأطيار.. يرق حس المدينة.. ويروق منها المزاج.. وينتشر فيها المرح.. ويصبح الشعر سيد الموقف.. يتفجر من العيون المشرقة بالأماني.. ومن الأصوات الشادية بغذب الأغاني.. ومن الوجوه الطافحة برقيق المعاني..

والربيع في مراكش فتى غض الاهاب. متوثب الشباب. جميل القسمات. مفتول العضلات. يتسلق قامات النخيل فيثبت ما يعلوها من تيجان. ويمسح بيده على الشجر العتيق فيعيد إليه نضارةِ الشباب. ويستلقي بجوار بعض السواقي فيوشي حواشيها بالزهر. ويشير إلى العصافير فيغريها بالغناء. ويلاعب الأطفال

فيرميهم بالجنون. و يتأ بط اذرع الشبان فيز ين لهم الصبوات.. فتى يهوى الجمال بلا تبرج.. و يحب الوسامة بغير ميوعة.. و يروم الامتاع بدون تدليل.. يجهد عشاقه و يحملهم من العناء الشيء الكثير.. لا يعرفون الراحة في حبه أبدا.. لأنه حب قائم على المعاناة والمكابدة.. لا ينام على وسائد من حر ير.. وانما يهيم في الحقول.. يقطف الزهور البر ية الحادة الأشواك.. الخطرة الدعابة.. وما ظنك بفتى انحدر من الأطلس الكبير.. وأخذ تمار ينه الر ياضية في العراء وتحت شواظ الشمس.. اشتق رجولته من زوا يع الصحراء.. واقتبس جماله من طبيعة الأرض.. واستمد ذوقه من شاعر ية الجو..

في مراكش كان لي غرام بشق في حائط قد يم.. تطلع منه الزهور طلوع الأنغام من آلة موسيقية عتيقة.. أو كما تطلع الخواطر المحببة من ذكرى باهتة من قدم.. وطلوع زهرة من شق في حائط قد يم لا يخلو من مغامرة.. كمغامرة الكلمات إذ تصدر عن شفتين محاصرتين بالموت.. ومغامرة الماء إذ ينبع من بين حجر ين يؤولان إلى الانطباق.. طول النهار يظل الحائط مصهورا تحت أشعة الشمس المحرقة. كاثر روماني في عراء إفر يقي.. تتوغل الأشعة الوقحة في عظامه توغل لهب النار في خشب عتيق.. لكن ما ان تلبس الشمس ثياب العشي الورد ية. وتبدأ

أجواق العصافير في عزفها الجماعي. وتشرع النسمات العليلة في تمشيط سوالف النخيل الطويلة الذؤابات. حتى يتحول الحائط القديم إلى لوحة رائعة من عصر الكلاسيكية العظيم.. بعد ان حفت بها المكاره.. ونالها من تعاقب الأزمان أذى كثير.. ما أروع الحائط اللوحة حين يكون نصفه في الظل. ونصفه مذهبا بأشعة الشمس الرقيقة المؤذنة بالمغيب..! جانب منه يستعد لاستقبال المساء. وجانب يستعد لتوديع النهار.. جزء منه يبدو حزينا عليه مسحة من كآبة. وجزء يستخلص نفسه من أشعة الشمس الواهنة وهي تسحب نفسها خيطا بعد خيط.. هذا بينما تكون أسراب الحمائم تستقبل شاعرية هذه اللحظات الرقيقة بتصفيق الأجنحة وأناشيد الهديل وتبادل القبلات والرقص المرفوع فوق موجات الهواء.. في حين أن الزهرات الوديعات تبدو وقد اشرأبت بأعناقها إلى فوق. منتعشة بلمسات النسيم اللطيفة المنعشة.. كآنسات رقيقات فضلن الظهور ضمن ديكور من تصميم الطبيعة. فبرزن من بين الشقوق المنهارة نتيجة تصدع. بروز معان عصرية من بين كلمات نص أدبي قديم.. أو بروز وجه صبوح من شملة اعرابية قادمة من غبار البادية

كان يفتنني في هذا الحائط احتضانه للزهور وهو المهجور من زمن بعيد.. حريصا على حقه في تجميل طبيعة مراكش وأخذ

هندامها بالتوشية.. شيخ طاعن في السن.. ولكن ما زال به حنين إلى أيام الشباب.. يحتفظ في قلبه بإشعاع سحري ضنينا به على الضياع.. يشتق من شيخوخته الوقور قدرة على مواصلة الحوار مع الجمال والوداعة والصور الاخاذة.. عشايا جميلة قضيتها أمامه.. تجمع بين عراقته وحداثتي وردة زاهية اللون. طويلة العنق. ممشوقة القوام. تطل من بين بعض شقوقه في حشد من صويحباتها الوديعات.. لكنها تمتاز منهن بهيف القد. وسحر الجاذبية وتبرج مفضوح النوايا.. من أية ناحية واجهتها توهمت انها ترنو إلي.. كالخاطر الشعري المتعدد أوجه الايحاء.. كان بيني وبينها أكثر من مناسبة.. كل منا يحب الحياة وسط ظروف صعبة للغاية.. وكل منا يبني قصورا من الأحلام على أرض منهارة.. وكل منا يضع الدنيا وما فيها في كفة. ويضع نسمة هواء رقيقة في الكفة الثانية.. انا ابرز للدنيا من خلال يفاعة مرهقة.. وهي تبرز للدنيا من خلال حائط يوشك أن يتداعى.. أنا أغني وطعم التعاسة في فمي.. وهي تتأرج عطرا. وتتوهج لونا والجفاف يحاصرها من كل جانب.. كنت يومئذ أعيش أكذوبة من وحي الظنون والتصورات.. وكانت هي تعيش مسحوقة أصولها تحت التربة المنهارة.. حريصة على أناقة الشكل والرقص مع الهواء رغم ذلك.. دلني عليها طبع يحيا على مثل حد السيف.. وذوق مغرم بالتقاط النواحي المهملة من جمال الأشياء... وعين ولوع بتصيد

المشاهد العابرة في مجرى الحياة الطويل الواسع.. رصدت نفسي لها.. لاتكاد تفوتني طبقة شفافة وردية تعلو محياها.. أو هاجس رقيق يداعب معناها.. أو وازع باطني يدفع قامتها أصبعا إلى فوق.. أو ينزل بها اصبعا إلى تحت.. وكنا أنا وهي نتقابل كل عشية. دون أن تمتد يدي نحوها مرة واحدة.. لأني عاشق يومن بسخافة الامتلاك في الحب.. ولم تلبث صروف الدهر أن قامت بيني وبينها قيام حجب بين النوايا الطيبة.. أو قيام جسم غريب بين الشمس والقمر.. حيث يحدث الخسوف.. أو الكسوف.. وبقيت بعدها اجتر ذكرياتي.. احيا على أوهامي وأحلامي كما يحيا المجاز على حطام الحقيقة.. أو كما يحيا الفارس المهزوم على ذكرى الانتصارات القديمة.. ودائما كنت إثر كل تجربة جميلة أجد يدي فارغة لاتقبض إلا على رماد .. فأكون كعصفور يحلق فوق أرض مضروبة بزلزال مدمر.. وبقدر ما كان الحلم يرتفع بي كانت الحقائق تهرب من بين أصابعي.. لأن يدي كانت أضعف من أن تمسك بها.. أو تحتفظ بها مدة طويلة.. يدي من النوع الذي يحسن الملامسة.. ولا يحسن الامساك.. فيضيع في لحظة ما تنهمك الأيدي في محاولة إلقاء القبض عليه دون هوادة.. كان الحلم في مراكش يكون بالنسبة لي ثروة لاتقدر.. ثروة يمكن تكديسها في لحظة.. وفقدانها في اللحظة الموالية.. يمكن أن تحصل بنبضة قلب.. بومضة عين.. ويمكن أن تتلاشى بمجرد

طائف من ضيق.. أو عبور سحابة صيف.. كثيرا ما كنت أغمض عيني على ذخائر من لؤلؤ ومرجان.. لافتحهما بعد حين على خرائب واطلال.. معلقا باستمرار بصراط فاصل بين يمين الجنة ويسار النار.. صراط أرق من شعرة وأمضى من سيف.. جنتي وناري كانتا متجاورتين.. على حافتي الشعور.. كل منهما تطور للأخرى وامتداد لها على نحو من الإنحاء..

تائه أنا بين قامات النخيل الفارعة.. كعمالقة ذاهبة هاماتهم في الفضاء.. نهضت إلى السماء قدر ما تستطيع.. يخيل اليك أنها تكبرت على الأرض الواقعة تحت سموقها الرفيع.. أو أنها تطاولت لسرقة قبلة من جبين الشمس. فعوقبت بأن أصيبت بالعجز عن العودة إلى منطلقها الأول.. أو انها استطابت قبلات الشمس. فما تني تأخذها دون هوادة.. فإذا غابت عذبها انتظار يوم جديد.. أنا بينها موزع النظرات بين الرؤوس والأقدام.. تارة أسعى بين قواعد آلهة خرافية.. قاعدة تسلمني لأخرى.. واحدة آكل عند قدميها عنقود عنب.. وواحدة أقرأ حول أصلها قصيدة شعر.. وواحدة أتمدد في ظلها داخلا في ملكوت النوم.. وتارة اشرئب بعيني إلى رؤوسها المعقودة فوقها منظومة تيجان.. وقد تدلت منها عناقيد البلح الأصفر.. وما افتأ اشرئب حتى أصاب بالدوار.. فأعود

بناظري إلى الأرض. فاحصا إياها بقدمي.. كاني أود التأكد من كوني أقف على مستقر.. كنا نطلق على بعض أشجار النخيل أسماء الإناث من البشر.. فهذه نخلة إسمها خديجة.. وتلك نخلة إسمها فاطمة.. وثالثة إسمها عفيفة.. ولا ندري بالضبط ما المناسبة.. لإن الإيحاء كان أكبر من عقولنا.. ولأن صدق الطبع. وصفاء الفطرة وتلقائية الإستجابة كانت كلها تغنينا عن أي شيء آخر.. خديجة كانت نحيلة.. تظنها لنحافتها ستنقصف لدى هبوب ريح تأتي في عجلة من أمرها.. مال أعلاها قليلا لتغازل ذؤابات نخلة مجاورة.. وفاطمة كانت مقوسة الخاصرة.. ضخمة العجيزة.. نتخذ من وسطها الواطيء أريكة نتسلق إليها السبل. كي نتمدد عليها في نشوة ومراح.. بينما تكون عناقيدها في مواجهة عيوننا المصوبة إليها في طموح وشوق.. أما عفيفة فكانت تقف وحيدة في بقعة جرداء.. متبتلة منقطعة عن أي تواصل.. يحيطها صمت رهيب.. وتنحرف عنها الظلال.. ويطبق عليها جو ثقيل من الانقباض.. كأنها امرأة مهجورة بعد وصال.. فرضت عليها الوحدة والكآبة ما تعاقب الليل والنهار..

يدرك هذه الأمور ويتجاوب معها من استمتع بصداقة النخيل.. لعب بمقربة منه طفلا.. وحاوره شابا.. وأشهده فصلا أو فصولا من حياته ذات شؤون وأشجان.. وفي مراكش تكون فرص

صداقة النخيل موفورة بشكل عجيب.. لأن النخيل في مراكش يقع تحت مراقبة البلدية مباشرة.. مثله مثل المباني والحدائق وأعمدة التلفون والكهرباء.. فهو يصعد من جوانب الساحات ومن أوساطها.. وما من دار إلا وتطل عليها نخلة.. أو تراقبها نخلة.. أو تحرسها نخلة.. وعندما تمر سيارة يقف النخيل صفوفا جميلة على جانبي الطريق في حفاوة ظاهرة.. وما من حب إلا وشهدت مولده نخلة.. وتدرج في مراحل العمر بين أحضان النخيل.. هذه البقعة من الأرض كانت قبل تحضرها مسكونة بالنخيل.. استوطنها منذ عهود موغلة في القدم.. وأنجب فيها أجيالا أثر أجيال.. وما فتىء يتناسل حتى أوشك على الشكوى من التفجر الديموغرافي.. ومن أزمة السكن.. لدرجة أن عائلات كبيرة تسكن رقعة شديدة الضيق.. وفي ذات الوقت تشغل بضع نخيلات مساحة واسعة.. تزيد كثيرا عن حاجتها الضرورية.. والكمالية.. ولما طلعت المباني بعد ذلك. داست أشجار النخيل وازاحتها بالمناكب وطاولتها في التناسل.. ولولا تمسك البعض منها ـ أي أشجار النخيل ـ بحقها في الوجود على أرض الوطن.. لكانت المباني قد اكتسحتها كلها.. لذلك ترى وحدات منها تتخلل المنازل.. وتقف بالساحات.. ولو حوصرت بالاسمنت والحديد والأعمدة الكهربائية.. مضطرة إلى التنازل عن بعض حقوقها الطبيعية.. والنخيل في مراكش وحيثما وجد. حزين دائما.. وذو كبرياء.. صبور كجمال الصحراء.. كصخور الشواطىء..

كحراس الحدود.. كأعمدة قصور من العصر الكلاسيكي.. وقور إلى حد الرهبنة.. عندما يقترب المرح منه قد يضطر إلى التخلي عن اللعب.. والتخلق بشيء من أخلاق الرجال.. خاشع دائما لله. يؤدي صلاته وقوفا كما تؤد يها الجبال.. وتؤد يها سنا بل القمح.. وتؤد يها السنة اللهب.. و يؤد يها شجر الصفصاف.. وتؤد يها المآذن.. كتوم.. مخطوف إلى أعلى امعانا في الرغبة عن كل حوار مفتوح.. أو تبسط في الحد يث.. لحمه سميك.. له مثل ظهر السلحفاة.. وقشرة الد يناصور.. يتعذب ولا يعبر عن عذا به.. و يشعر بالعطش القاتل. ولا يتشقق له جلد من جفاف.. قامته على امتدادها مزروعة بأسنان حادة كأنها المخالب.. متار يس يتقي بها العبث مهما كان.. لكنها قد تتحول إلى درج.. كما تتحول أشواك القنفود إلى معوان لاحبولة الصياد.. أو تتحول زعانف سمك القرش إلى نقط ضعف لدى المطاردة.. أو تتحول أحجار الجبل المسنونة إلى سلام للمغامر ين من المتسلقين.. وشجر النخيل يبدع ثماره في الأعالي. ولا يطرحها إلا مكرها و بتثاقل كبير.. وثماره من النوع الذي يصمد حتى بعد سقوطه.. فلا يتعفن بسرعة كغيره من الثمار.. فيه صلا بة وقدرة على المقاومة.. عناقيده رائعة الضخامة.. ثقيلة الوزن. غذاء للفقراء. فاكهة يستقبل بها الضيف. وتزدان بها أجمل الموائد.

صغار الطير لاتجرؤ على السكن في أعاليه.. التيار هناك قوى.. أرعن. جموح.. والبيوت التي تبنى فيها لا بد أن تكون من النوع القوي.. كالهوائيات المرفوعة فوق سطوح العمارات.. وحيثما وجدت نخلة حملت معها شيئا من طبيعة الصحراء.. وبعض المدن الحديثة تتخذ من النخيل زينة الشوارع لأنها تتشبه بالبادية.. تستعير شيئا من أزيائها.. كسيدة متحضرة ترشق في ضفيرتها سنبلة قمح.. أو تتكىء على سنام بعير في جولة سياحية.. فالنخيل ارتفع حول ملاعب للرياضة. والتف حول فنادق عصرية الخدمات. ووقف لاستقبال الضيوف في مداخل مغان واستراحات فاخرة بالشرق والغرب.. لكنه في مراكش ليس للزينة.. ولا تنويعا على إبداع الطبيعة.. ولا احتيالا على المدينة لإعطائها ملامح بدوية.. من باب التظرف وتنويع الهوية.. وإنما هو ابن الأرض الأصيل.. افتض بكارتها وطلع منذ أقدم العصور..شق مسامها ليكون لها كالشعر للجلد.. وجاء من قابليتها للأخصاب منذ إحساسها بأول جنين اتخذ منها شكل الرحم.. أول بيت بنى في مراكش اغتصب موضعه بن نخلتين متعانقتين.. فحال بينهما متوسعا في حدود الإثنتين.. وفصل بعضهما عن بعض كما تفصل الجملة الاعتراضية بين المبتدأ والخبر.. ولما صعدت بيوت أخرى كانت وحدات من النخيل قد لقيت مصرعها.. كأنها الهنود الحمر بعد اكتشاف العالم الجديد.. مستوطنات حديثة تقام على إنقاض

بيوت القماري وعائلات الثمار.. لاشك أن النخيل كان يواجه المؤامرة بشجاعة.. ويلقى الموت بروح فدائية.. ينقصف على نفسه فوق تربة مصابة بالشلل.. صدرها متصدع تنتزع أضلاعه ضلعا بعد ضلع.. لتغرس فيه قطع الصخر..ومع ذلك استطاع النخيل أن يبقى أروع ما يكون البقاء في مدينة مراكش الجميلة. شاهدا على قوة الطبع.. وارادة البقاء.. وتحدي كل عوامل الإبادة.. منتخلا البيوت.. مقيما بينها.. متعايشا معها.. محاصرا لها أحيانا.. يشاركها في الإيواء.. وفي الإنتاج.. وفي طرح الظلال.. وفي تغذية الأجيال.. سكنت خلاله وسكن خلالها كما تسكن الأمشاط رأسا حافلا.. حتى يخيل إليك وأنت في عرض الشارع أن النخيل ينهض من قلب البيوت.. وحتى من حجرات النوم وغرف الطعام.. نهوض المآذن من قلب الجوامع.. ونهوض القباب من داخل قصر منيف.. هو دائما يطل من عليائه على الحياة الممتدة أنهارها عن يمين وشمال.. تجرف في تيارها الناس والأشياء.. تذيب الثواني في الدقائق.. وتغتال الدقائق في الساعات.. وتمسخ الساعات في الأيام.. وتختزل الأيام في الشهور.. في السنين..

حضرت مرة تحطيم نخلة.. كانت ذات كبرياء وشموخ.. مضربة عن أي تفاهم.. مترفعة إلى حد الغطرسة.. يخيل إليك انها تنظر من عليائها باحتقار إلى هذا العالم.. ولها من الثقة بالنفس

ما يكفي لتبقى شامخة عشرات السنين.. مسرفة في الطول.. كتبية أخرى.. يعلوها تاج.. لا رأس مؤذن.. تقاطعت في منتصفها بأسلاك التلفون.. كآلة موسيقية ذات أوتار.. تعزف عليها المردة لدى هبوب العاصفة.. لفرط طولها تبدو كأنها تتناول غذاءها مباشرة من السماء.. لا من الأرض.. خصوصا وان أسفلها قاتم.. وأعلاها بهيج..كمارد ركز رجله في الطين.. وذهب برأسه بعيدا يشرب من السحب.. ويلتقم سابحات العقبان.. كانت على حافة طريق مسلفت لا تكاد تنقطع فيه حركة السيارات والشاحنات والعربات ذات الأحصنة.. الطريق إزاءها كالخط المتمدد في راحة بودا.. وتحت أصبعه الوسطى الرفيعة.. حيث اتخذت بعض القرود ملعبها المفضل.. كما جاء في أساطير الهند.. التقت في هذا الطريق مصالح كثيرة.. فاشتدت به حركة المرور.. بينما توجد بالقرب منه طرق أخرى تنحرف عنها العجلات غالبا.. ساءت أخلاقه لشدة الزحام.. وضيق المجال.. فكثرت فيه المبارزة والمصادمة والملاكمة بين الحديد والحديد.. متوجا ذلك بمنظومات طويلة من الشتائم الممزوجة بالتوابل الشعبية الحادة الطعم.. المحرقة للحلوق التي تبتلعها مع معاناة مجهدة.. لهذا ارتأت بلدية مراكش أن توسع الطريق.. ان تعطى رئته دفعة إضافية من الهواء.. وكان ذلك لسوء الحظ على حساب بعض أشجار النخيل المجاورة.. يبدو عليها أنها متقدمة في السن.. ربما

أكل يوسف بن تاشفين من بلح أمهاتها المباشرات.. ربما حمل شيء من تمارها إلى حريم الأمراء في إشبيلية أو غرناطة.. تقدمتها خطوات نحو حافة الطريق نخلتنا سالفة الذكر.. فكانت المرشحة الأولى لعملية الإبادة.. كزعيمة تتقدم الصفوف في حركة عصيان وتمرد.. جاءت الإطاحة بالنخلة حدثا توقفت بسببه حركة السير.. وتجمهر عدد كبير من الناس.. وبدأ هذا الجزء من المدينة وكأنه في حالة طوارىء.. وامتلأ الجو برائحة جريمة وشيكة الوقوع.. وما هي إلا لحظات. حتى كانت النخلة مشدودة من جهاتها الأربع بحبال غليظة تمسك برقبتها الهائلة.. تشنقها بوحشية.. الممسكون بالحبال مضطربون رعبا.. كأنهم يقبضون على وحش خطير.. يكاد ينقض عليهم انقضاض جدار من جبل.. لكنهم يصرون على التشبث بالحبال.. بينما يعمل منشار ضخم في قاعدة النخلة.. جيئة وذهابا.. تحركه أذرع مفتولة العضلات.. وانهارت النخلة الجبارة محدثة ضجة عالية.. كما لو انهارت ناطحة سحاب.. وأعقب ذلك صمت عميق.. لأن الدوي الهائل أخرس كل الأصوات.. ملأ الاسماع كأنه النفخة في الصور.. وخلا موضع النخلة إلا من بقايا عظامها المحطمة.. والا من قاعدتها المتحولة إلى مقعد صالح للجلوس المريح.. وبعد أيام اختفى المقعد هو الآخر.. وزحف الطريق إلى مسرح الجريمة.. مغطيا كل أثر لها.. من أول ذراع

احتله في هذا الموقع اضطر إلى الإجرام لكي يوجد.. ورافقته الجريمة في بقية الخطوات.. طاويا تحته عروقا نابضة بالحياة.. هذه الحادثة زادتني كلفا بالنخيل..

وتعاطفا معه.. لأنه جزء من المضطهدين في الأرض.. مع ثبات وسط متغيرات كثيرة.. عمره لا يحسب بالشهور والسنين.. كأعمارنا نحن الآدميين.. وانما بالعصور.. كأعمار الجبال.. وأعمار تضاريس الأرض..

يخيل إلى أن الذين نصبوا مئذنة الكتبيين ورفعوها ذلك الإرتفاع الشاهق. كانوا يطاولون النخيل.. كما ترتفع ناطحة سحاب في مدينة مأهولة بالعمارات.. رغبة أكيدة في التفوق.. وتحطيم الرقم القياسي.. والإحتفاظ بمسافة معقولة بين المستويات.. فمن صمم المئذنة ربما كان يريد تجاوز نخلة مسرفة الطول.. كما كان مصمم الطائرة الأولى يتمثل أجنحة طائر ضخم.. والمآذن في كل بلاد المسلمين تريد عنان السماء بأي ثمن.. لأنها تمثل بيوت الله. وتنطق باسم الله. وتدعو إلى الله.. فلا بد من علو مناسب لتكون الدعوة عامة.. يسمعها البشر والحجر والشجر.. هابطة من فوق.. هبوط المطر من سحابة.. أول ما يطالعك من كل مدينة إسلامية تدخلها المآذن.. كرؤوس الجبال عند السياحة في الأرض.. كالإعلام الوطنية فوق أرفع البنايات

كانت تنمو بنمو العمارة.. فكلما ارتفعت قامة البيوت ارتفعت فوقها المآذن.. لتبقى المسافة اللازمة بين صوت السماء.. وأصوات الأرض.. بالنسبة إلى مراكش لم تجد مئذنة الكتبيين أول نهوضها بيوتا مسرفة العلو.. ولكن وجدت النخيل.. فقاست نفسها على أطول نخلة في البلد.. وتجاوزتها.. لدرجة إنعدام كل أمل في الإلتحاق بها.. وكان النخيل يومها قد استكمل شخصيته.. بأن وصل إلى السن التي يتوقف فيها عن النمو.. وأعطى الناس فكرة عن المدى الذي يمكن أن يرتفع إليه.. في أحسن الحالات.. ورغم أن المئذنة الهائلة أطول. وأدل على الرغبة في الإمتياز.. نقطة ضعف الممتازين دائما.. موطن عجزهم عن الكمال.. فإن كثرة النخيل العددية عوضته عن قصوره الشكلي.. كالجنود بالقياس إلى الضابط الكبير.. ورد أن هذه الأرض عندما اشتراها يوسف بن تاشفين ليجعل منها عاصمة دولته اللمتونية. كانت مليئة بالشجر الكثيف.. النخيل.. ومليئة باللصوص أيضا.. ربما كان خلف كل نخلة لص.. وفوقها لص.. يوسف كمن اشترى غابة.. وملكية الغابات أمر مرهق للغاية.. لأن الإنتفاع بها عسير.. ولا يخلو من أخطار وآفات.. لكن المالك الجديد كان خبيرا بنزوات الغابات.. وقادرا على امتلاكها بكفاءة عالية.. وظهرت العاصمة.. واستمر النخيل ينجب.. إذا خلا منها أفراد قام آخرون.. لا يعترف بقانون تحديد النسل.. لا يعرف أمرا إسمه الهجرة..

ذهب عصر وجاء آخر وهو مستمر.. لا يترك موطنه إلا جثة هامدة.. يتم الفتك بها عن عمد وسبق أصرار.. حتى إذا سقطت من طولها انتشرت بذورها في الأرض الطيبة.. وشمت التربة رائحة الجسد المنهار.. محتفظة بذكراها حية نابضة.. متطوعة لرعاية الأطفال اليتامى وتربيتهم..حتى يصيروا زينة الدنيا وأملها العذب..

وارتبط مصير مراكش بمصير نخيلها.. فاذا ألزمت التضحية كانت منوطة به وحده.. يتحملها بشجاعة.. من حين لآخر يتعرض لمضايقات ويصبر.. يشتت شمل عائلاته ويصبر.. ترى الأخت مصرع أختها وترفع شكواها إلى الله.. يفرق بين زوجين تعانقت أصولهما في باطن الأرض.. وازدوج رأساهما في الفضاء.. بعمود يمرق بينهما نحو الجو.. أو بنفق يخترقهما غائرا في الأعماق.. ويحمدان الله على أن العاقبة كانت أخف ضررا.. يقف النخيل كالرماح لحماية المدينة من شراسة الرياح.. تجلده بقساوة.. حتى ليسمع له نواح رهيب.. يشغل الزوابع المندفعة نحو المدينة.. يعترض سبيلها سادا أمامها أغلب المسالك.. تلف من حوله..وتدور وتدور.. تود تحطيمه لتجد نفسها مطلقة اليد.. حرة التصرف.. فلا تقوى على التخلص منه إلا بعد أن يستنفذ نصف طاقتها.. وقدرتها على الإتلاف.. يمتص الكثير مما تسوقه أمامها

من رمل.. يملأ منه الجيوب.. ويعبيء الأكياس.. فلا يتساقط منه على الدروب والمنازل والساحات إلا ما أتى من علو شاهق..أو ما هرب من خلال المردة الواقفين بالمرصاد.. هذا إلى أن النخيل يوسع رقعة الظل.. يتحمل عن الناس جزءا هاما من متاعب الشمس.. يواجهها بسقف من جريد.. يضع حدا لانصبابها فلا تصل إلى ما يليه من الأرض إلا بقعا صغيرة وخيوطا مهزومة اللهيب.. والظل في مراكش كثيرا ما يكون نعمة منه تعالى.. يغمر بها السعداء من عباده.. تزحف نحوه الأجساد.. تتباهى به بعض الزوايا والأركان.. يقاس بالسنتمتر.. ويحسب عمره بالدقائق لا بالساعات.. برده مدخول الطوية.. نسماته قصيرة المدى.. رواده مهزوزو الآمال..

وظل النخيل يقتطع من فلذات كبده ويطعم السكان.. متى لم يصعد إليه أحد لملء يديه من التمر ألقى به هو إلى الأرض.. لا يطيق الإحتفاظ به بعد أن يبلغ مستوى معينا من النضج.. ينفصل عنه حينئذ.. وقد يقع الإنفصال في سن مبكرة.. قبل الأوان المنتظر.. فيفارق الرحم قبل استكمال الدورة اللازمة.. الثمار تزين المائدة المراكشية.. تضاف إلى غذاء ونستون تشرشل في نزل المأمونية.. تعتبر نفسها مطالبة بتغذية الفقراء على قارعة الطريق.. تشترك مع الحليب في استقبال أعز الضيوف.. تعلب

قصد هدائها الى المائدة الفرنسية خارج الوطن.. للأطفال منذ نعومة أظفارهم لا يكاد البلح يفارق طعمه أفواههم.. يحشون به بطونهم الى حد التخمة.. تنمو عليه أجسامهم صلبة متينة.. يهبها حصانة طبيعية ضد الانحلال تلازمها عددا طويلا من السنين.. تلاميذ المدارس يحملون البلح في محافظهم.. يزدردونه في الفصول.. وأثناء فترات الإستراحة.. حتى الطفل الرضيع عندما يبكي يلقمونه ثمرة.. بعد انتزاع نواتها.. فيسكت صراخه لما يبدأ مخدر العسل ينساب في اللهاة الرخوة.. حينما يشعر بعض الناس بالوهن في الجسم ينصح له بتناول كمية كبيرة من التمر.. لأنه يشد المتن.. و يجدد النشاط..

وجدت مراكش أعرابية متحضرة.. فيها كل فضائل البادية.. مع شيء من نقائصها.. سبق أن انغمس لسانها في شهد العربية.. وجلست الى مؤدبين.. فعلموها معنى أن يغلق الإنسان على نفسه داخل ديوان من الشعر.. فلا يخرج منه إلا اذا حوله الى ذوب خالص.. بعض بيوتها تكاد تفر من زخرفها الزهور الى الخمائل.. والعصافير الى الفضاء.. والرقة الى الصبح.. والشاعرية الى المساء.. تانقت في اختيار التصميم الجميل.. وتلطفت في اصطفاء الحلية النفيسة.. وتعطفت فسمحت للنجار بحفر الخشب.. وللبناء برفع الأقواس.. وللذهاب بتمويه المقاصير.. وللنقاش بمغازلة الحيطان..

وللزلليج بانتقاء مفارشه عبر مساحات واسعة.. ومع ذلك فمراكش لم تفرط في الخيمة والقيطون.. عرفت منهما نوعين : النوع الشعبي. والنوع الممتاز.. تنصبهما في ظلال النخيل.. وفي ملاعب الفروسية.. وفي مجالي الصيد.. وفوق رؤوس الروابي تدق أوتادها إلى عمق عميق.. وترفع قبابها إلى فضاء شاهق.. وتوسع أنحاءها إلى مدى بعيد.. تحتها استراح مبثوث الزرابي.. وانتظمت أواني الشاي.. وداخت رؤوس تحت عمائم ضخمة من اثر (العيطة) المجروحة النداء..

كأن خضاب مراكش الحناء.. وعطرها النظافة ورياضتها ركوب الخيل.. وغناؤها كل أهازيج الحوز.. وغزل المتيمين من شعرائه الشعبيين المجهولين.. ضاعت أسماؤهم.. وبقيت كلماتهم الجميلة.. بقاء الأسطورة بعد اختفاء الحقيقة.. بقاء الحرارة عقب انطفاء النيران.. بينما امتدت نحوها أصابع الحضارة الحديثة تعيد صياغة ذوقها بطريقتها الخاصة.. وهي أصابع تعرف شغلها جيدا. تعلمته في المدرسة.. ونالت فيه الشهادات.. فاشتدت الرغبة في استيرادها هنا وهناك.. استوردها شيوخ القبائل قصد إعدادهم لدخول القرن العشرين.. وبغية تجميل نسائهم ليتلاءمن مع الصالونات الحديثة.. واستوردها المتحضرون القدماء.. بعد أن مرت حضارتهم بسكرات الموت.. واحتاجوا إلى بعث جديد.. هذه

الأصابع السحرية لم تستورد إلى مراكش وأخواتها في أول الأمر طبقا لاتفاق مسبق مع شركات العطور والثلاجات والأزياء والسيارات الفرنسية.. ولا استجابة لرغبة تلقائية محلية.. وانما جاءت هذه الأصابع ضاغطة على الزناد أولا.. ولم تكد تنتهي من عملية التطويع.. وكسر العمود الفقري.. وإعادة تنظيم الدورة الدموية طبقا لمعدل في السرعة جديد.. حتى اغتسلت من الدماء.. والبارود.. وتداوت من الجراح.. وعالجت الحروق بوضع مرهم سريع المفعول.. فبدت بيضاء نقية ناعمة أشبه بأصابع النساء المترفات.. لتشرع في عملية التجميل الباهظة التكاليف.. واندست الكلمات الفرنسية في لسان مراكش الرقيق.. وتشجعت المكتبة الفرنسية ففتحت لها فرعا صغيرا بعاصمة المرابطين.. أخذ يتودد إلى الزبناء الوطنيين بكل ما في موسيقى اللغة الفرنسية من أنوثة وقدرة على الإغراء.. بين قوم يضعفون أمام الأنوثة بقدر ما يقدرون عليها.. بينهم وبينها مثل ما بين الغصن وقطرات الندى.. يمتصها فتشيع في خلاياه.. وتصنع له المزاج والقابلية.. وانتدبت الفرنسية مربيات.. يتولين تعهدها في منابتها الجديدة عرفت اثنتين منهن.. واحدة اسمها (......) لم أتحدث إليها إلا نجوى.. كان بيني وبينها حاجز لم يقو أي واحد منا على اجتيازه.. لكننا كنا نتحرك في مجال مشترك.. مع اختلاف المواقع.. كل منا ينتمي إلى أسرة كبيرة.. انا امت إليها بالقرابة

العائلية.. وهي تمت إليها بالمهمة الوظيفية.. فدخلت في نطاق تجربتي.. وربما دخلت في نطاق تجربتها.. كما يدخل الورد في تجربة النسيم.. رغم اختلاف وجهتيهما.. أو كما تدخل أشعة الشمس في تجربة خدود التفاح.. وكل منهما كائن مختلف.. كانت آنسة.. اعذروني إذا لم أكن دقيق المعاني غالبا.. فالفاظي كثيرا ما تتسع للمدلول ونقيضه.. اتساع جراب الصياد لاحتمالي الربح والخسارة.. تركت الآنسة ضفاف نهر السين إلى جوار الصحراء الإفريقية.. متراجعة عن القرن العشرين.. نازلة سلم طائرة.. لتحط قدمها على سنام جمل.. متحولة من مجتمع يقبل أيدي النساء.. إلى مجتمع يجلدهن.. خارجة من قوم جردوا المرأة من كل ثيابها.. حتى لم يبق في جسدها موضع لعورة.. داخلة في قوم يرون المرأة عورة كلها.. حتى الصوت.. حتى الصدى.. أولئك يثبتون كفاءتهم أمامها بقوة الشخصية..

وهؤلاء يثبتونها أمامها بالفحولة.. من أروع الآداب عند الأولين تقديمها لدى كل خطوة.. ومن أوجبها عند الآخرين ضربها لدى أبسط جفوة.. ومن ثم كان الرجل عندهم يتقرب إلى المرأة بالغزل.. وكانت المرأة عندنا تتقرب إلى الرجل بالطاعة.. هم فتحوا لها الأبواب.. وأعطوها ورقة التعريف الشخصية.. وأعدوا لاستقبالها الشوارع.. وأوصوا بحسن ضيافتها كل مطارات وفنادق

أوروبا.. ونحن أوصينا على صنع أقفال من الوزن الثقيل.. لها الكفاءة اللازمة لصيانة الثروة الموضوعة خلفها.. النساء.. المرأة عندنا إما عفيفة وإما فاجرة.. في حين أن مجتمع الآنسة (.....) لا يعترف بهذا الفرق.. ولا يضع المعايير الخلقية بهذه الثنائية الحادة.. فعنده ان بين العفة والفجور مستويات كثيرا ما تجعل هذا الطرف يقترب من الطرف الآخر.. إنه المجتمع الذي أبدع نموذج (البغي الفاضلة).. كان عمل (....) هو تغريب السلوك المغربي.. إحلال الشوكة والسكين محل الأصابع عند الأكل.. اخلاء المائدة من كل الدهنيات الوطنية.. وأخذها بنظام صارم للرجيم.. افتتاح تناول الطعام بنكتة تفتح الشهية.. عوض باسم الله. اختتامه بفنجان قهوة ساخن قليل السكر.. عوض الحمد لله.. جعل الأم وابنتها مجرد صديقتين.. غرس خلق الصراحة والدخول في الموضوع رأسا.. دون لف أو دوران.. ولا معنى لخفت وندمت وخجلت.. وسائر مشاعر الضعف والهزيمة.. الغاء كل رغبة انثوية في الطراوة والبضاضة والإمتلاء.. وسائر الصفات المرشحة من طرف الرجل المغربي لتكون زينة المرأة.. التنقل بين نعم ولا بأسلوب ذكي.. فنعم دائما بلادة.. ولا دائما تصلب.. إعطاء انطباع بأن الإنتقال من استخدام العربية إلى استخدام الفرنسية صعود إلى قمم المجد.. وإن العكس هبوط من الشانزيلزيه إلى (جامع لفنا).. ومن غابة بولونيا إلى (خطارات) الداوديات ولم تنجح (.....) في

مهمتها.. ظلت الأصابع تمتد نحو الطعام ما ارتفعت عنها المراقبة.. واستمرت باسم الله والحمد لله تقالان سرا.. إذا تعذر قولهما في العلن.. كما ظلت الأم أما.. والبنت بنتا.. ولم تتذوقا هذه الصداقة الغريبة المصطنعة.. وباختصار. انتصرت أخيرا الشخصية المحلية.. وحزمت (....) حقيبتها ورحلت.. لكن كان من الطبيعي أن تترك أثرا.. وتحمل معها آثارا.. لا يمكن أن تنساها أبدا.. وربما كانت أعمق مما يتصور.. تحتاج في التنقيب عنها إلى عملية تشريح.. فالداخل إلى مراكش لا يمكن أن يخرج منها كما دخل.. سيما إذا كان امرأة قادمة من ثلوج الغرب.. مشوقة إلى شمس افريقيا وسمرتها الدافئة.. فتاة الغرب استلقت ساعات القيلولة تحت الخيام..وجرت طويلا في رحلات الصيد.. وذاقت متعة المطاردة.. وراء حجلة أو أرنب مليئة الوركين.. ذهبت داخل سيارة. وعادت على صهوة فرس يقوده فتى مقدام.. وقطفت الزهور البرية من الحقول.. لترمي بها بعد حين.. بينما تعود بها العربة ذات الحصان الواحد.. والبسها (عياطات) الحوز الزي المغربي الجميل.. ودفعن بها إلى حلبة الرقص الشعبي.. فبدت رائعة وهي تطوع خصرها لأنغام من إفريقيا مذبوحة الانين.. جاءت لتهذيب مراكش.. فأهدتها المدينة المغربية لونها الخمري.. واغنت تجاربها الحسية.. وارتها كيف يكون الاغفاء بين أذرع النخيل امرا ممتعا.. وكيف يمكن الجمع بين إذلال الشعوب المستعمرة. وقبول رعونتها

في لحظات منعشة.. لماذا فشلت المربية ؟ لأنها اختارت أن تعمل على تخوم الصحراء.. حيث تزحف الرمال باصرار.. ويعيش المجتمع قريبا من أصوله التي صعد من أمواجها الرملية.. ويحتفظ الناس بأنسابهم متسلسلة لاتنقصها حلقة واحدة.. وسلمت لنا مراكش الاعرابية.. بصدقها.. وعفويتها.. وشهامتها.. فلم نخسر فيها أية خصلة جميلة.. ولم نفقد في حبنا لها أي مبرر من المبررات.. ولم نضع خدودنا على راحاتنا اسفا لتفريطها في هويتها الوطنية.. ظلت نفس المدينة القائمة على صيانة تراث يوسف بن تاشفين.. وخليق بالمدينة المؤتمنة على هذا التراث أن تتمسك بأهليتها لاحتضانه.. وأول مؤهلاتها لذلك أن تجعل منه واجهتها الأمامية.. وقد فعلت.. فلم يعان التراث فيها أي مركب نقص.. ولم يندم قط على أن جعل منها قاعدته العتيدة.. ولم يشك الإغتراب في بيئته العريقة.. نازلا اضطرارا عن بعض حقوقه للدخلاء.. وإنما استمر يقنع مراكش دائما بأنها بوابة المغرب الضخمة.. ويجعلها لا تنسى لحظة انها كانت عاصمة لاسبانيا.. تحكم أوروبا من فوق سنام بعيز.. وتخطط لسياستها تحت خيمة عظيمة الأوتاد.. ومراكش تراث كلها.. من الوشم الأخضر في أقدام النساء.. إلى ضريح زعيم المرابطين.. معرض كامل لفنوننا القومية.. استمر فاتحا أبوابه مئات السنين.. موزعا نفسه على طول المدينة وعرضها.. معرض تدخله السيارات.. وتجوس خلاله الحافلات

مأهول بالسكان.. منذ القرن الخامس الهجري وهو يستقبل الزوار والسائحين.. متكفلا لهم بالمأوى والطعام وسائر الخدمات الأخرى.. وقد يزوجهم ويدبر معاشهم إذاهم استحبوا الإقامة فيه.. وجل من زوجهم بعض بناته أمسك بهم وحولهم فيه إلى سكان.. نساؤه طويلات الضفائر إلى حد مذهل.. مرابطات.. لا يلائمهن الا مرابطون.. عاكفات على التربة التي طلعن منها.. لأنها سر قوتهن.. وكفاءتهن.. فوقها تبرز أهم مؤهلاتهن المحلية.. ومن ثم يجيىء الإنتاج أجود وأمتن.. بعيدا عن الزيف.. ابن الأرض الطيبة.. منها يستمد اللون والغذاء والأخلاق.. وعليها يرسم الخطوط.. ليقرأ الطالع..

خضت تجربتي في مراكش بإمكانيات متواضعة.. أقل من المستوى المطلوب.. لدرجة شعوري بالخجل.. خصوصا عندما أقيس نفسي إلى نظرائي في السن.. فأجدهم تجاوزوا الأشياء التي ما زالت بالنسبة لي مجرد حلم.. كثيرا ما أهرب من مواجهته.. أو التفكير في تحقيقه.. كانت فيهم جرأة رأيتها غريبة.. المجاز في لغتهم نادر.. يسمون بعض الأشياء وكأنهم يمسكون بها.. ويرفعونها أمام الأعين.. ولو كانت بطبيعتها تميل إلى الغموض.. وتخجلها التعرية الكاملة.. المسافة عندهم بين الأسماء ومدلولاتها تكاد تكون منعدمة.. حتى ليخيل إلى أن اللفظ هو الشيء نفسه..

بحجمه الطبيعي.. بنكهته الخاصة.. بوظيفته العضوية.. خلت بعض الألفاظ لو قذف به إلى الأرض لربما انشطر.. أو ارتطم.. أو سمع له رنين.. أو ارتفع منه أنين.. وأخذت أقارن بين لغتي ولغتهم.. فوجدت كثيرا من معاني كلماتي يحتاج إلى رفع استار بعد استار.. وغلائل اثر غلائل.. كي تبرز واضحة للذهن.. أو ماثلة للعين.. فلم أعرفها جيدا.. عرفتها ظنونا فقط.. قام الظن عندي مقام الحقيقة.. مجرد ظل لها.. واحدا من إيحاءاتها العديدة.. كنت أحيا على معان غير مضبوطة.. أما هم فمعاني كلماتهم موضوعة تحت المجهر منذ اللحظة الأولى للحديث.. قاموسهم اللغوي لا يحتاج إلى شروح.. الكلمات فيه لا تعتذر للمعاني.. لا تستأذنها في الدلالة عليها بطريق غير مباشر.. ولهذا فلما اقتربت كلماتي من كلماتهم توارت من خجل.. مشيعة بسيل من الهزء والسخرية.. بدت عاجزة قاصرة غير طبيعية.. تحمر وجوهها خجلا.. شاعرة بأنها تحمل خطايا وذنوبا لا تجرؤ على البوح بها.. لأنها خارجة من المحفوظات.. تلقت تعليمات وأوامر مشددة.. وزرع في أهابها ضمير.. وربيت على طاعة الوالدين.. والخوف من أية مناقشة.. ومن التنقيب في أعماق الذات.. وأكثر من هذا أن الكلام عند لداتي المراكشيين لم يكن أحيانا إلا ملأ للفراغ عندما يتعذر الفعل.. الفعل أولا.. والكلام ثانيا.. فليست للكلام أية قيمة ذاتية.. لا معنى لأن يتخذ ميدانا للممارسة.. لأن مجالها الطبيعي هو

الواقع.. بلحمه وشحمه وعظمه.. وأبعاده الحسية.. سخيف أن تتكلم إذا كان في الإمكان أن تفعل.. اقتصد في الكلام وبذر في الأفعال.. ولا حاجة للطواف حول اللفظ ما دمت ممسكا بما يدل عليه.. أما أنا فكنت كثير الطواف حول الألفاظ.. أترنم بها.. أناجيها.. أعتبرها كائنا قائما بذاته.. يمكن الإستغناء به عما عداه.. جائز أن نصنع منه أشياء جميلة.. لذلك كنت أنمو لغويا.. وكانوا ينمون عمليا.. فحين يظفرون بالأشياء ذاتها.. أكون أنا ساعيا نحوها على بعد خمسمائة كيلومتر.. المسافة الفاصلة بين فاس ومراكش.. لكن العدوى لم تلبث أن أصابتني.. فوق طاقتي - مثلا - أن أرى لداتي يطاردون حمامة ثم يشوونها ويأكلونها.. وأنا أكتفي بالفرجة.. واستحضر جناح حمامة ورد في بيت شعر عربي.. وربما كانت معدتي تتضور جوعا.. وربما مرت على مدة طويلة لم أذق خلالها لحم الحمام..

خصوصا وأن مطاردة الحمام مما يتلاءم مع سني.. يومئذ أستطيع القفز والمراوغة والمباغتة.. وذراعي ليست من الضعف بحيث تعجز عن تسديد الرمي.. حق أن المطاردة تحتاج مني إلى بعض الوقت.. للتدرب عليها.. واكتساب الخبرة اللازمة لها.. وهذا ليس خارجا عن طاقتي.. بدليل أن المحاولة الثانية أثبتت أن إمكانياتي قابلة للنمو.. تحت تأثير التجربة المتواصلة..

وصارت محفوظاتي تمنى بالفشل بعد الفشل.. من حيث كان أهلي يعتقدون أنهم قد حصنوني بها.. وها أنا قد بدأت أتحول من قوارير الكلمات المهشمة إلى جسم الواقع.. إلى الفعل الذي يبدأ من أطراف الجسد.. وينتهي إلى صميم الأشياء الواقعية.. ومع كوني أخذت أشارك قرعائي بعض معاناتهم العملية. فإن مسافة كانت دائما تمتد بيني وبينهم.. لم أستطع مجاراتهم في الأشواط كلها.. فباستمرار كانوا يفاجئونني بأمور مدهشة.. مرة رأيت أحدهم ممسكا بثعبان ضخم حي.. فوليت عنه رعبا.. وولى عني ازدراء.. ومرة شاهدت بعضهم يقفز من فوق حائط متوسط الإرتفاع.. ليقف بعد القفز منتصبا على قدميه.. وقد ظننته هالكا محطم الأضلاع.. وراعني ارتفاع أفراد منهم إلى ظهور الخيل وانحدارهم منها بمهارة عجيبة.. أما أنا فلم أعرف بعض الزواحف السامة إلا في قصائد الشعراء الصعاليك.. والفرس الوحيد الذي جريت وراءه هو فرس امرىء القيس.. على حين أن الجدار الوحيد الذي قفزت من فوقه هو جدار عاداتي الفاسية.. وكدت أفقد توازني.. لتنجم عن سقطتي اوخم العواقب.. ويصير ترميمي أمرا بعيدا عن التحقيق.. لولا أن يدا نبيلة تقدمت مني في الوقت المناسب.. فأوقفتني على قدمي.. ولكن تكون عندي انطباع بأن من غير الممكن أن أعود إلى تاريخ ما قبل السقوط.. بعد أن دخلت في عصر النهضة.. ونزل خوفي من بعض الأشياء بنسبة

مشجعة.. وزادت خطواتي اتساعا وتمكنا.. ومالت لغتي إلى شيء من الواقعية.. واكتسبت جرأة على نفسي.. مارستها أول عهدي بها وأنا خائف.. كمن توكل إليه سلطة أكبر من طاقته.. ليتحمل مسؤوليتها للمرة الأولى.. إلا أن توقعاتي باءت بالفشل.. إثر رجوعي إلى فاس.. حيث أجهضت تجربتي.. وفرضت على العودة إلى المحفوظات.. فصرت أهذي أحيانا.. سارقا نفسي من محفوظاتي.. كي أحيا مراكش حلما.. بعد أن عشتها حقيقة.. الفرق بين الحقيقة والحلم أحيانا هو الفرق بين القدرة والعجز.. القدرة تنفي الحلم.. والعجز ينفي الحقيقة.. إذا ولت الحقيقة الأدبار صارت حلما.. وربما أسطورة..

ودخلت ذات يوم إلى (الحضار) (المسيد) بلغة فاس.. هما شيء واحد.. تحفيظ كتاب الله بالإرهاب.. تلقين مبادىء العربية من باطن القدمين المرفوعتين.. اغراق الصراخ في القراءة الجماعية.. التدريب على رياضة اليوجا بقلب الأجسام رأسا على عقب.. التقرب إلى الآباء بسلخ جلود أبنائهم.. خدمة للقرآن العظيم.. اجبار الحافظة على ألا تنسى حرفا.. وألا تهفو عن ضمة أو فتحة أو كسرة.. فور تعبئتها لدرجة الاكتظاظ.. التعبئة متلوة حتما بالاستعادة.. الشريط المسجل يجب أن يلتف على نفسه عكسيا بسرعة.. وبدقة.. ودون أدنى توقف.. وألا تمزق.. وربما

تعرض للاتلاف.. ومع وجود هذه الخصال الحميدة بينهما.. فإن (لحضار) كان مجزرة بالمعنى الكامل.. ضمت إلى اليوجا الكاراطي.. والكاطش.. والكونكفو.. والتكواندو.. والملاكمة.. والمصارعة الحرة.. إضافة إلى الجلد على الطريقة العربية.. وطريقة الروس في العهد القيصري.. وكلها تمارس من طرف واحد ضد الأطراف الأخرى.. التي لم تعط حق الدفاع عن النفس.. كان (لحضار) جامعة لاشق أنواع الرياضة وأقربها إلى المجازفة.. بالحياة طبعا.. خريجها اما بطل.. أو شهيد.. الاستشهاد هو الموت شرعا.. وعلى مبدإ راسخ.. وربما كان الشهيد هو الميت الوحيد الذي لا يعترف بموته.. وإذن ففقيه (الحضار) ليس له ضحايا. وإنما له شهداء.. يجب تقبيل اليد التي أوردتهم.. موارد الشهادة.. وجعلتهم يستحقون جنة الخلد.. كان تلاميذ لحضار كلهم مراهقين.. يمرون بالمرحلة المكهربة من العمر.. يبدو عليهم العياء والاجهاد.. فلا شك انهم مروا بعدة أحداث جسام.. كل حدث منها يفصل بين حفظ سورة والشروع في حفظ أخرى.. نفس ماحدث خلال نزول الوحي.. مع وجود الفارق طبعا.. لم أكن أتوقع أن أجد فقيه لحضار مؤدبا بالمعنى الحضاري للكلمة.. فكل الكتاتيب القرآنية تهز العصا.. وتمارس الإرهاب.. ولكن لم أكن أتوقع أيضا أن أجد فقيه لحضار يقذف تلاميذه بصم الحجارة.. وبقوالب السكر.. وبقطع الحديد.. ويجلدهم بحبال مبرمة باحكام.. بعد

تركها داخل الماء فترة كافية.. يعتبر قضيب (المسيد) الفاسي بالمقارنة غصن ياسمين.. لطيف الدعابة.. جميل المباسم.. ميمون الفواتح والخواتم.. كم كنت له ظالما.. ولجماله شاتما.. ادعو غزله حرقة نار.. ورقته وصمة عار.. من لي به الساعة لارفعه عود ند.. وأمازحه بالشفة والخد.. لعلني أنصفه من نفسي.. وأبرئه من أسباب تعسي ونحسي..

كان (الحضار) عبارة عن منزل صغير. يحتوي على دورين. وبه عدة حجرات. القرآن الكريم يلقن في الدور السفلي وقواعد النحو ونصوص الأدب تدرس في الدور العلوي. وكان أمرا بشعا أن يقترن إنشاد الشعر بتلقي الضربات والطعنات واللعنات.. وأن يراق الدم بين أبيات قصيدة فيها حب وغزل واستعطاف.. وأن تدمى الشفاه عندما تنبثق عنها الكلمات ذات الإيقاع الجميل.. وأن تدق الرؤوس لحظة تجاوبها باحد بحور الشعر.. ما كنت أظن مراكش الجميلة المتسامحة مع البراعم. يمكن أن يوجد بها موضع لذبح الخراف الآدمية.. ثم تشييعها بالدعوات والرحمات.. متلوا ذلك بتقدم الذابح لاستلام الجائزة.. مكافأة له على تحمله عناء الذبح.. والسلخ.. وتعرضه لرشاش الدماء.. أما عن نفسي. فلم يكن يعنيني مما يجري حولي وأمامي إلا الجانب الإنساني.. أنا مجرد ضيف في هذه المجزرة.. كطالب طب في حجرة

العمليات.. عليه أن يشاهد شق البطون.. والعبث بالقلوب والأكباد والأمعاء.. ولاحق له في التدخل.. أو الملاحظة.. وربما كان له الحق في مغادرة المكان لحظة احساسه بالغثيان.. المعركة حولي محتدمة.. كثيرا ما أزيغ عن حجر موجه إلى رأس.. أو عن قالب سكر مقذوف تجاه جبين.. بين شظايا الأبيات الشعرية المتناثرة.. وقواعد النحو الممزقة بوحشية.. ترددت بضعة أيام على هذا المكان المخيف.. وبعدها كانت القطيعة بيني وبينه.. وعدت إلى حبيبتي مراكش.. في جوانبها المشرقة الجميلة.. لأجد في انتظاري كل معارفي وأصدقائي من النخيل والزهور والاصائل.. وبعد أن اقنعتني تجربة لحضار أن تلاميذه يكونون على حق. إذا هم حطموا أبوابه.. وداسوا على الفاعل.. والمبتدأ.. والفعل المتعدي.. وتمردوا على قواعد الحساب.. من ضرب.. وطرح.. وجمع.. وقسمة.. وجروا خارج المعتقل.. كالمحكومين بالأشغال الشاقة المؤبدة.. يفرون أثناء عملية انتحارية.. ورغم قساوة التجربة ومرارتها فإن منزلة مراكش عندي ظلت تفرض احترامها علي.. فلا يعيب حديقة أن يوجد بها عش للزنابير.. ولا خميلة أن يستوطنها جحر ثعبان.. ولا ديوان شعر أن تقتحمه جمل سيئة الأدب.. على انه ربما كان للحضار مبرراته الخاصة ... يجوز أن يكون منتقما لما يجري في الخارج.. وهو ليس بالشيء القليل.. لكأني به يعاقب المجتمع.. عندما يحتجز بعض فتيانه.. مادة

الفضائح المنتشرة هنا وهناك.. يواخذهم حتى على المعاصي التي لم يرتكبوها بعد.. ماداموا مؤهلين لارتكابها.. اندادا لها وأكثر.. يمكنهم أن يتفننوا فيها لدرجة الإبداع.. في وسعهم تطويرها لتصير أشد ادهاشا.. فلديهم جميع المؤهلات.. وفي هذه الحالة يعتبر لحضار مجرد رد فعل.. وبالدرجة المناسبة من العنف.. وكثيرا ما تكون ردود الأفعال أشد ضراوة من الأفعال نفسها.. وقد تكون جهنم عقاب مرتكب بعض الصغائر.. كمقدمة للكبائر.. وتمهيد لها.. ربما لم تكن كل الكتاتيب القرآنية في مراكش ارهابية الى هذا الحد.. ربما قدر لي أن الج أشدها غضبا.. وأسوأها طبعا.. كمن يدخل مدينة فتجره المصادفة إلى حي يتعامل بالعصي والسكاكين..

ومراكش لاتخيب الظن أبدا.. ولو أن بشرتها غير ناعمة.. لما يتساقط عليها من رمال الزوابع.. ولو أن حبها خطير.. كحب الغجر في البادية الاسبانية.. لا يقنع من الحبيب بأقل من روحه.. ولو أن دعابتها وقحة.. لأنها تداعب أحيانا بجريد النخل.. ولو أن لهوها جد كل الجد.. لاموضع فيه للتهرب من المسؤولية.. حين يلهو الإنسان ليتهرب منها فقط.. هي ذات قلب كبير.. حيز صغير منه للمال.. والباقي كله للعواطف.. كذلك عرفتها.. فعندما توشك على الإفلاس. قدم نفسك باسم المحبة.. أو باسم الصداقة.. تجد

نفسك محبوبا.. أو صديقا.. سيما إذا كان في مزاياك الذاتية بعض الخصال الطيبة.. اما إذا لم تكن. ففي تقديم نفسك الخير والبركة.. أنا نفسي دخلت مراكش راجيا عطف الزاوية.. زاوية سيدي بلعباس.. وليس معي إلا إمكانيات شخصية ضئيلة.. تكفلت مراكش بتطويرها.. محيطة إياها بالعطف اللازم.. ولما تبلورت. اعطتني جزءا من قلبها لاتصرف فيه.. كأنه ملك خاص.. ونحفت.. لأن مطالب مراكش الغرامية أكبر من قدرتي.. وصدقت توقعاتي.. فحين أميل أنا إلى الهمس تميل هي إلى الفضيحة.. وحين أتوارى أنا على الناس تجنح هي إلى تحديهم.. وعندما ارتب حسابات المستقبل تمزق كل ترتيباتي.. وتبعثر حساباتي.. وتدعوني إلى الاستغراق في الحاضر.. ولما أقف لأفكر وأتامل.. تغريني بالاستلقاء.. وإطفاء مصباح الفكر.. فغفوة لذيذة حنون اثمن من جميع الأفكار.. والحب بهذا الأسلوب أمر لم أتعود عليه.. نشأت بعيدا عنه.. مقدار المسافة الممتدة بين سهول سايس والمدخل الصحراوي الكبير. بين طبع جبل زلاغ وطبع جبل درن.. وتعذبت.. تعذبت داخل الجنة.. لأني لست كفؤا لها.. فتحولت الجنة إلى جحيم.. وتحولت أنا إلى حطبة تحترق.. أحرقتني الجنة التي لم أعرف كيف استمتع بها.. حاولت الفرار من الجحيم الرائع.. لكن كيف.. كل الطرق مسدودة ومحاصرة.. الأمر يتطلب مخاطرة.. ولست قادرا عليها.. كانت الحبيبة مراكش بريئة من

كل ماحصل.. طيبة رغم ذلك.. وفية لطبعها في جميع الأحوال.. من الظلم أن تعيب أنثى النسر.. حين تحب ذكرها على ارتفاع شاهق.. وفي ملعب الرياح الهوج.. وأن تعيب الحيتان حين تمارس الجنس تحت جبال الثلوج العائمة.. وأن تعيب أنثى الأسد.. حين تغازله بالعراك الدموي.. قبل أن تمكنه من نفسها.. وأن تعيب مراكش إذا هي آثرت الحب قريبا من حافة الهاوية.. كنت أود البقاء في قلب مراكش الكبير.. إلا أن نبضه الهائل أقامني وأقعدني.. أجهدني.. جعلني أعوم في عرقي.. لم يعطني فرصة لالتقاط الأنفاس.. اللهاث هو طريقتي في التنفس.. وصرت أفضل مغادرة هذا القلب.. لأقيم بجواره فقط.. تحت نوافذه مباشرة.. أتتبع أخباره.. أرجو لطائفه واتقي غضبته وأواره.. ففي ضواحيه الكفاية..

وخلال مداخله خير كثير.. لكنه أمسكني.. يسأل أصابعي أن تقدم بيانا عن حبها الأول.. يستحث عيني أن تبوحا بسر شرودهما المفاجيء.. يشجع فمي على التصريح بالمناسبة الأولى لامتلائه برحيق المحبة.. يود تفتيش كل جيوبي العاطفية.. أملا في العثور على دليل واحد يستخدم ضدي.. لإدانتي بحب سابق.. وعندما لا يجد شيئا يتهمني بالتكتم.. ويشرع في استنطاقي من جديد .. كان يعلم اني قادم من فاس.. المدينة الرقيقة.. ذات

البساتين والعرصات المرهفة الحس.. الماهولة بالحور.. ولم أكذب على مراكش.. فأحاول إنكار تاريخ قلبي بفاس.. ومحو كافة ارتباطاتي العاطفية بها.. والزعم بأني لم أكن ذات يوم ضيفا على غلالة من حرير.. لكنها كانت تريد معلومات أدق.. الأسماء.. العناوين.. التواريخ المضبوطة.. معدل درجة الحرارة.. مدى عمق الإصابة.. دون أن يكون في استطاعتي إعطاء كل هذه البيانات.. لأني أعتقد أن من حقي الاحتفاظ بجانب من نفسي.. يستحسن أن يبقى بعيدا عن الأنظار.. وأخيرا أدركت مراكش اني دون الكفاءة المطلوبة.. واني وقفت عند الحد الذي أوصلتني إليه مؤهلاتي.. واني لا أدخر احتياطيا من طاقتي بخلت به.. فاعفتني من التزاماتي.. وتحررت من التزاماتها نحوي هي الأخرى.. وخلي سبيلي كمحب فاشل.. وأقمت قرب القلب الكبير.. وأحسست بارتياح.. وسادنا جو من حسن التفاهم.. ولم أكف لحظة عن حب مراكش.. كنت أحبها على طريقتي.. وحسب درجة استعدادي.. وطبقا لمعدل ضربات قلبي.. ورضيت الحبيبة بذلك.. مع إقامتها على الاعتقاد بأن هذا الحب المتحرر من الالتزامات حب غريب.. أقرب إلى اللهو منه إلى الجد.. فاللعب بالعواطف في رأيها مجرد مسخرة.. لاتليق بأخلاق الرجال.. ولا بأخلاق النساء.. حلال على المرأة ذبح حبيبها اذا هو سخر من عواطفها.. وكان هازلا بينما هي جادة.. لكنها تعلم أني مجرد ضيف.. غريب.. ربما أدركت

ذلَكَ مؤخرا.. لا ينبغي أن أوخذ بأعراف البلد كلها.. فلم تلبث أن تساهلت في معاملتي.. وأحلت لي ما تحرمه على غيري.. بيد انها اشترطت على الحد الأدنى للشرف.. الشرف كما تعرفه هي.. وقبلت ضمنيا.. وسارت علاقتنا على هذا النحو.. وخيل إلي أحيانا انها نسيتني.. كما ينسى احدنا أثر جرح قديم مقيم في جزء من جسده.. فاكتئب.. وأشعر بالمرارة.. وأمد يدي لهز ذراعها... أو مداعبة ظفائرها.. قصد تذكيرها بوجودي.. حيث أنا من حاشيتها الكبيرة.. فترد علي بنظرة عطف.. أو ببسمة حنان.. وأتألم.. لأن النظرات والبسمات التي تمنحني إياها كانت مجرد إحســـان... وأنا أرفض الإحسان في الحب.. وأعتبره إهانة.. خير منه الاساءة.. لأنها على الأقل ترفع الطرف الآخر إلى مستوى استحقاق البغض والمخاصمة.. وداخلني الإحساس بأني صرت عاطلا عن العمل.. أتفرج على المعركة ولا أقوى على خوضها.. ودرت في فراغ مخيف.. يقبض النفس.. وجاءت وسيلة الإنقاذ.. الكتاب.. جمعتني به الصدفة التي جمعتني به في فاس من قبل.. لم اعرفه إلا عن هذا الطريق.. طريق الصدفة.. والبحث عن وسيلة لملء الفراغ.. الكتاب المدرسي لم يستقر بين أصابعي إلا مدة يسيرة.. ثم رميته.. لأنه كان في نظري سمجا ثقيلا.. ولا يخلو من بلادة.. دليل سماجته انه مفروض.. يفرض نفسه بقوة.. ويحرص على احتلال مساحة الذهن كلها.. منفردا بتمشيطها كلها.. من أقصاها..

إلى أقصاها.. لا يطيق التمرد على سلطته.. أية فكرة عارضته يتهمها بالجهل.. وقلة الحياء.. أي فهم لا يسمح به هو يكون غير مشروع.. تجب مطاردته.. ورميه خارج أسوار الاهتمام.. جميع وجهات النظر الآتية من غير جهته خائنة.. تجب معاقبتها.. بالإضراب عنها كلية.. جملة وتفصيلا.. وسرني اني اخترت كتابي.. وأخذت أجرى على الصفحات.. والتهم الكلمات.. كما يلتهم جائع حبات الكرز.. السطور تبتلع السطور.. كما تبتلع الخطوط بعضها في سباق طويل النفس.. كتب انتهيت منها ولا الحاد أصدق.. كتب قطعت الرحلة فيها لاهت الأنفاس.. لاستأنف الرحلة من جديد.. وجدتني مفلسا داخل بنك عامر الخزائن.. ثروة موضوعة باسم مثر كبير اسمه طهٔ حسين.. وأخرى باسم احد زارعي حقول الفكر في بلاد العروبة يدعى العقاد.. وثالثة باسم أكبر جواهري مصدر لجميع المدن العربية يدعونه الزيات.. ورابعة.. وخامسة.. وسادسة.. إلى جانبها بعض الحسابات الصغيرة.. الخجولة.. الواعدة بالنمو.. ولم يطبق على نظام أبناك العلم والأدب في مواعيد الفتح والاغلاق.. وطريقة السحب.. وبطاقات إثبات الهوية.. لأني كنت مقيما داخل البنك نفسه.. فيه أتناول طعامي.. وفيه أنام.. وفيه أمارس أخطائي.. ومفتاحه.. لا يفارق جيبي.. وانقطعت عن مراكش وأنا بين أحضانها..

مختصرا الدنيا كلها في هذا البنك.. وحياة الأبناك دائما انعزالية.. هادئة.. بعيدة عن ضوضاء الشارع.. لايتكلم فيها إلا همســـــا.... أفصح ناطق فيها الأوراق.. وما تحمله من علامات.. وفكرت ان أضع في البنك وديعة لحسابي الخاص.. فكتبت شيئا.. ثم عدت فمزقته.. لأنه كان تافها.. لايصح وضعه إلى جانب الثروات الضخمة.. ولا حتى الحسابات الصغيرة.. واقتنعت باني مدعو إلى نضال طويل قاس أخوضه قبل أن أصبح من ذوي الأرصدة المحترمة.. ومرت أيام وأيام.. خرجت بعدها إلى الدنيا مثقلا.. مغرورا.. أمن على الحياة بنظرة عطف.. كمن ينزل من قمم شاهقة ليتجول بين أكواخ متواضعة.. ولم البث ان عدت إلى حجمي العادي.. واستردتني الشوارع وأشجار النخيل والأصائل الجميلة.. وكنت هذه المرة مرهقا تحت هموم الفكر.. مضافة إلى هموم القلب.. مضافة إلى هموم الواقع.. وتوالت أيامي بطيئة لاجديد فيها.. لو كانت ماء لالقيت فيه بحجر.. ولو كانت جهازا لفككته ثم اعدت تركيبه.. ولو كانت بناء لنقضته ثم جددت اعلاءه.. أو كتابا لنثرت صفحاته ثم شرعت في ترتيبها ثانية.. أو شجرة لهززت أغصانها.. وطرحت أوراقها أملا في موسم انبات جديد.. ضقت ذرعا ببلاهة العادة.. والعادة في مراكش ونظائرها تتحرك في موضعها ببطء شديد.. متميزة بالعمر الطويل..

بفضلها يكرر الابن حياة أبيه.. وتلبس البنت الشابة ملابس أمها العجوز.. وتصلح عمامة الشيخ لأن توضع على رأس الفتى.. ويستقبل البيت جيلا بعد جيل وهو هو.. لا يريد التخلي عن نفس الهيئة.. وذات الوقفة الصبور العتيقة ولم يطرأ جديد يجعلني أقلب الصفحة التي سئمت النظر فيها.. كانت القراءة قد هيأتني لاتمحور حول نفسي.. كما تتمحور بركة حول ما يملأ أعماقها من أسماك..

وتهيأ لي أن كل معنى أفكر فيه يملك استعدادا للاخصاب.. وان كل المعاني اناث.. ما دام من طبيعتهن الحمل والولادة.. وفعلا. فإن بعض المعاني قد حملت ووضعت في ذهني.. ولا خبرة لي بتربية المعاني الوليدة.. إلى أن تقف على سوقها.. وتواصل حياتها بنفسها.. فماعت تلك المعاني.. أو ذابت.. ذهبت ضحية سوء التغذية.. والأحوال الجوية غير المناسبة.. ابتلعت مزيدا منها.. حولتها إلى مخزون روحي أخذ يتضخم مع مرور الأيام.. خفت أن ينفجر يوما.. فيتلفني.. أحسن طريقة لتجنب ذلك هي تحويل المخزون إلى الخارج.. مدقناة موصلة بينه وبين مستوى سطح الأرض.. وهذا أمر لا أحسنه.. ولا أملك وسائل تحقيقه.. الأمر يحتاج إلى تقنية ذات أصول.. أنا دون امتلاكها يومئذ.. ولم يحدث ما توقعت.. لأن مخزوني أخذ يتناقص

تلقائيا.. يتسرب من ثقوب أجهلها.. إلا أنني أحس بوجودها.. انقطاعي عن القراءة كان طوق نجاة.. بمثابة نزع الفتيل.. أو تفريغ القنينة من الغاز.. خشية حدوث الإنفجار.. بعد أن أفسدت القراءة بساطتي.. حتى مع تسرب أكثر الغاز المخزون.. عقدتني.. جعلت شروطي على الحياة أكثر.. بعد أن كنت أعيش دون شروط متشددة مسبقة.. أو بشروط ضئيلة.. لا أهمية لها.. وليس هناك أدنى تناسب بين هذا وبين بساطة الحياة من حولي.. أعني أن كل شروطي الطارئة مرفوضة.. غير مفهومة.. لا بد من التخلص منها.. وأظن أن هذا غير ممكن.. لأن ما أصبح مزاجا وقابلية لا سبيل إلى استئصاله من النفس.. كما يستأصل غصن من شجرة.. وعندما جئت من فاس لم أكن بسيطا جدا.. بساطة الماء حين يتدفق اينما اتفق.. بساطة أشعة الشمس إذ تسقط على كل شيء.. كانت بساطتي من نوع مختلف.. كبساطة الطير حين يفضل العيش قرب المياه.. وبساطة الماء نفسه إذا هو تسلق قامات الشجر.. وبساطة الثلوج إذ تتماسك في انتظار أحوال جوية خاصة.. قبل الشروع في الذوبان.. لكن مجيئي إلى مراكش عمق تجربتي.. ووسع مساحتها.. ونوع مصادرها.. فخبرت جيدا مزايا عيني وأذني وأصابعي وطرف لساني.. وأنا أمضغ تمار المدينة.. وآكل من أطباقها الشعبية.. وأتصنع الخشونة المهذبة التي تحبها.. وأتمايل على أنغام الحوز الشجية المثقلة بالمواجع.. مع تعرض

لساني أحيانا للإلتهاب.. وأصابعي للإحتراق.. وضلوعي للوهن.. وأطرافي للعياء.. ثم انفتحت لي دفتا الكتاب.. فدخلته فرارا من ضيقي ومللي.. فلم أخرج منه إلا بعد أن شعرب بالإمتلاء.. وبالتفجر الديمغرافي بين سكاني الباطنيين.. فاضفت بعدا إلى مدى رؤيتي. وصارت العربية في ذائقتي تعد بإتقان عدة لغات.. لغة الندى إذ يتنزل على أوراق الزهر.. ولغة الماء إذ تتشقق عنه جلاميد الصخر.. ولغة الساعد إذ يحكي صلابة الحديد.. ولغة الزمرد إذ يسطع في العقد الفريد.. ولغات أخرى لا حصر لها..

بهذه الرؤية المزدوجة للأشياء دخلت عالم الموسيقى والغناء في مراكش.. فوضعت أصبعي على موضع الجرح القديم.. والأوجاع التاريخية.. والروح الحزين الساكن أعماق الأغنية المراكشية.. مراكش لا تغني لتطرب فقط.. ولكنها تغني لتحرك الوجع العميق أيضا.. ومن ثم كان غناؤها في أكثر مقاطعة نواحا موجعا.. وتقلبا بين جمرات الأسى الدفين.. تسمعه فتوقن أن هذه المدينة ذات حزن كبير.. أكبر من أن يبيده الزمن.. أو تذهب بلوعته الأيام.. موضعي من هذا الغناء هو موضع الشفة من المرشف.. والقدم من المقصف.. لا موضع المقص من الثوب.. والتقطيع من أبيات الشعر.. من اللحظات الأولى شعرت أني جزء من سياق مقاطعه.. قطرة في مجراه.. نسمة في مسراه.. حركة في بيئته العاطفية..

ومتذوق الفن يدخل المجال الإنفعالي لعمل فني ممتع ليشارك في إبداعه.. بينه و بين الفنان ما لو جسمته لبدا منهلا مشتركا يكرع منه الطرفان.. أو جسدا واحدا يرتفع به جناحان.. اخجلتني الكلمات أحيانا.. كشفت سوءتي.. أوقفتني أمام حيوانيتي وجها لوجه.. كانت تغني عذاب البشر.. الجزء الهام من متاعبهم الوجودية.. من صراعهم الأبدي.. من نزيفهم السرمدي.. وبين الكلمات الجنسية ذات السمعة السيئة كانت تمرح كلمات ذات شفوف ورقة وشاعرية.. مشهيات أعقبت الوجبة الدسمة.. دعابة لطيفة تخلفت عن هجمة شرسة.. دفء خفيف تبقى بعد نار ملتهبة.. تلطف الصيف ليحاكي الربيع.. تباطؤ الريح لتماثل النسيم.. تلكؤ العجلات لتقارب التجول الممتع.. سيرا على الأقدام.. هذه الكلمات كانت تفتنني.. تعيدني الى الظل.. بعد المعاناة تحت أشعة الشمس.. تسمح لي بأن أمد يدي الى جبين مراكش فازيح خصلة من شعر.. أو إلى عقدها فالأمس حبة من جوهر.. أو إلى ثوبها فألقى مظهرا على مخبر.. وما هي إلا لحظات حتى تعود الكلمات الأخرى لاحتلال الموقف.. لاذكاء النار في الأعواد الخابية.. وايقاظ الوجع في الجروح الدامية.. واعادة الحدة الى الأكف التي أدركها شيء من كسل.. الضجة تغمر حرجي.. تعطيني فرصة لإصلاح ارتباكي.. يخيل الي أن العيون كلها تراقبني.. تضبطني وأنا كمن يبحث عن مكان أمين.. يختبيء

فيه.. وأتشبث بموضعي رغم كل شيء.. فما ألبث أن أعود إلى الإنسجام. وأتمكن من نسيان مراقبتي لنفسي.. وأندمج في الجو.. شاعرا بأن درجة حرارتي أخذت في الارتفاع.. وبنسبة غير معتادة.. لتتراجع بعد حين تراجع الماء الزئبقي في ميزان الحرارة.. هبط بها التكرار والتعود.. أكبر متآمرين على الأشياء ذات الطموح والحدة.. ولم تفقد حرارتي قابليتها للإرتفاع.. متى تجددت الأحوال والمناسبات..

وهذا أمر طمأنني.. فالأجسام التي خمدت جذوتها ماتت.. وأكلت الأغنام الحشائش النابتة فوق قبورها.. مصدر الحرج الذي كان يفقدني توازني هو قلة تجاربي.. وكون المغني امرأة وقحة.. وجميلة الصوت.. وذات قدرة على امتلاك المبادرة.. تتغنى بلغة مرخاة العنان.. وجسمها طرف فيها أيضا.. يكون الجمل الإيقاعية بإتقان.. يدعونها (العياطة) والعياط في اللغة هو رفع الصوت عند النداء.. أي الصراخ.. وفعلا فإن العياطة كانت تصرخ بكل ما في طاقتها.. ربما كان ذلك بقية الغناء في العراء.. وبين النخيل في أيام خلت.. ورغم أن صوتها صار له سياج من حيطان فقد استمر يصرخ.. ينقلك إلى العراء.. الى رحاب الطبيعة الواسعة.. صاحبة الصوت أتقنت صنعتها.. وخرجت بها من محيط النساء الى محيط الرجال.. خيل الى أن غناءها للرجال أحسن.. وأقرب إلى الجودة..

جل الرجال الذين يسمعونها لا يحترمونها.. وإن كانوا فيما يبدو معجبين بها.. قد أقاموا فاصلا بين أعجابهم واحترامهم بالنسبة لها على الأقل.. فهي متعة حرام.. نالت الإعجاب لكونها تمتع.. وفقدت الإحترام لأنها محظورة شرعا.. وعرفا.. وقد عرفت - أي العياطة - كيف تنتزع منهم الإعجاب.. إذا اعوزها أن تفرض عليهم الإحترام.. وتملك جميع الأسلحة لتحقيق ذلك والإعجاب عندهم ليس مجرد عاطفة.. فكثيرا ما يترجم إلى عمل.. إنفاق.. هدايا.. تضحية بالإلتزامات.. مواجهة المجتمع.. والكل يحملها مسؤولية ما قد يحدث من فضائح.. حين تكون هذه الفضائح ذات عطر يحن اليه الكثيرون من الناهين عن المنكر.. اهانة المجتمع لها لا تحدث لها مشكلة.. ولا تمنعها من مزاولة عملها.. لأنها تجاوزت الشعور بالحرج.. واستعاضت عن الإحترام بالإعجاب.. بل بالإفتتان والهيام في بعض الحالات.. وتمكنت من إحالة كثير من الزوجات الى كم مهمل.. كيف كان شعوري نحوها يومئذ..؟ أخشى أن أخطىء في تشخيص حقيقة انفعالي.. بيد اني لا ابرىء نفسي من الاعجاب.. وإذا كان إعجاب من حولي مقرونا بالجرأة.. فإن اعجابي كان مقرونا بالخوف والإشفاق.. الخوف من وقاحة المرأة.. والاشفاق على الذات.. ذاتي طبعا.. لأني آت من مجتمع غرس في نفوسنا أن الولد الخائف لا تخاف عليه أمه.. وخوفي من المرأة العياطة أفسد علي متعة الاعجاب بفنها.. صرت

أبتعد عن متناول يدها.. لأبقى فقط في متناول صوتها.. كلماتها.. رقصاتها.. فيدها خبيرة.. وأنا غشيم.. لا أعرف بالضبط ما يكون مصيري لو أنها أمسكت بي.. وما إذا كان في مقدوري استعادة حريتي منها أولا.. وما إذا كانت ستحتجزني لمدة طويلة أو قصيرة.. ولا أدعي أني يومها كنت أنظر إلى شؤون الناس نظرة مصلح اجتماعي أو واعظ.. فأزعم أني رأيت العياطة خطرا على المجتمع.. وباء يجب القضاء عليه.. كما يقضى على وباء الجذري مثلا.. لو زعمت هذا لما استحققت من قارئي أدنى اهتمام.. لأنه كذب.. كان على أن أنتظر سنين عديدة قبل أن يكون عندي تقييم عام لهذه الظاهرة.. وأظن أني في منجاة من المؤاخذة.. لأن سني حينئذ كانت دون المسؤولية..

ومهما يكن من أمر. فإني تحدثت عن هذه الفنانة بوصفي متلقيا متذوقا.. يتجاوب بصدق .وتلقائية.. وليس من شأني احتجازها في مركز الشرطة الأدبية.. ولا ادانتها بالإساءة إلى الآداب العامة.. ولا إصدار التعليمات بمراقبة سلوكها.. أعتقد أن هذه المهمة لها رجالها المختصون.. المستعدون لها مهنيا.. أما أنا فلوجاءتني هاربة من مطاردة لربما خبأتها.. وأعطيتها الحماية.. وأنكرت أن لي صلة بها.. في حالة اقتراب الشبهة مني.. لأني

أحب الفن الجميل.. ولا أحاسب الفنان على هفواته.. فقد تكون ثمن النبوغ.. أو ثمن الشهرة..

لما خصتني مراكش بموضع من قلبها وكان دافئا وكبيرا رجوت الله أن يأذن لي بالبقاء فيه إلى آخر العمر.. ليكون شبابي أكثر رونقا.. وتتألق رجولتي المقبلة مفعمة من غبطة وسعادة.. لم أجرؤ على مغازلتها في البداية.. ولو أني فتنت بها من النظرة الأولى.. لشدة انبهاري تهيأ لي أن عندي قصورا في الأداة.. يجعلها لا تكفي في التواصل.. أخشى أن تفشل خطتي لو قررت المكاشفة بما لدى.. أن تكون كالقناة القصيرة.. تعيا بحمل المياه من طرف إلى طرف آخر.. فيتساقط أكثرها قبل البلوغ بها إلى الهدف.. هذا إلى سر في طبعي يسلبني الجرأة بعد أن يعدني لها.. دفعة إلى أمام.. ثم جذبة إلى وراء.. بنفس القوة والفاعلية.. كطائر يدفع به نحو مساقط الحب ومنابع الماء.. فما أن يوشك على الإقتراب منها حتى تسحبه موجة من ريح إلى بعيد.. لكن مدينة كمراكش لا تستطيع الإنتظار.. وضبط النفس وكبح الإنفعالات.. حتى يتقدم منها العشاق والمعجبون لاسماعها نشيد الغزل.. ودعوتها إلى مطارحة الهوى.. يكفي أن تريده هي.. لتوضع إرادتها موضع التطبيق.. في طبعها الكثير من خصال الرجولة.. وميلها إلى الغزو والإغتصاب.. غالبا ما تحتقر الحب عن

طريق الإستسلام والتبعية.. حين يكونان من نصيبها.. وجل محبيها أخذوا على غرة.. قبل أن تتاح لهم الفرصة لاتخاذ أي قرار.. أو الوقوع على اختيار.. وكنت واحدا منهم.. اعتبرت نفسها مسؤولة عني منذ الأيام الأولى.. ضمت عواطفي إلى مملكة أحلامها.. أعطت قلبي وظيفة كاتم السر.. فهام بأسراره كما تهيم الأصداف بلآلئها.. ولم تنس يدي.. فقد أوجدت لها عملا.. هو استلام الطف الهدايا.. ولا ذوقي.. فقد أناطت به مهمة.. هي البحث عن الصلات السرية بين العصافير وأبراج الحمام.. ولا كلامي.. فقد خلقت له مزاجا.. هو الشرود بين المعاني وأسمائها.. ولا ومضات عيني.. فقد استحدثت لها مسرة.. هي التجسس على قلوب الورد.. من خلال الأوراق ذات الشفوف.. واخضرت أيامي فوق الأرض الحمراء القاسية.

وتذهبت أحلامي فراقت بها آدابي الفاسية.. ولم يكن ما بيني وبينها حبا عذريا.. ولا ماجنا.. كان حبا إنسانيا.. وانسانيا فقط.. عندما تتحاور فيه الأرواح. تكون اللغة المشخصة المعاني وسيطا في هذا الحوار.. تظاهرها على ذلك اللمسات المسروقة من خلف الظهور.. والهمسات الحائرة خلف الآذان.. وكان حبا بدون هدف.. كان هدفا في حد ذاته.. يتغذى من اللحظة.. ويعيش على الصدفة.. حين يتحرك لا يحسب حسابا لحوادث السير.. وعندما

يتجول لا يفكر في تغير أحوال الطقس.. قابل لأن يبقى لسنين.. أو لأيام.. أو للحظات.. لا يملك ضمانا واحدا للإستمرار.. أو خطة للتمسك بالبقاء.. لكنه رغم ذلك أعطاني انطباعا بأنني لم أكن بالنسبة لهذه المدينة مجرد عابر سبيل.. حيث تمكنت من إدماجي.. ووهبتني حق اللجوء العاطفي.. ووضعت بعض حجراتها تحت تصرفي.. وأوصت بإكرامي.. والسهر على راحتي.. وأوشكت أن تخلع علي الشخصية المحلية أيضا.. لولا أن فاس كانت قائمة من ورائي.. بكل سحرها وروائها.. تشد ثوبي إذا نسيت.. وتدير وجهي إذا أغفلت.. وتدعوني إلى قطع الزيارة والعودة إلى الأحضان من جديد.. كنت حائرا بين هاتين.. لإحداهما على حق الميلاد والتربية والكفالة.. وللثانية على حق الإيواء والضيافة والامتاع.. كانت فاس أعقل وأنضج.. وكانت مراكش اجرأ وأخطر.. وكنت أضعف من أن أبقى خارج منطقة الجرأة والخطر.. فلم تلبث الجرأة أن أخذتني.. ولم يلبث الخطر أن داهمني.. وخسرتني فاس أياما عديدة.. لدرجة أنها أنكرتني بعد العودة.. وعشت الخطر وأحببته بشكل جارف.. ودوختني الجرأة ولم تعطني فرصة لمراجعة الموقف أتخيل الآن أني كنت أعيش قصة رائعة ذهبت وقائعها وبقيت ذكراها مليئة بالشجن. باعثة على الأسى.. مرت على تاريخ حصولها ثلاثة عقود من السنين. وما زلت أحملها في دمي.. وألفها في خاطري.. واستمد منها أحزاني بين

الحين والحين.. ولا يمكن أن أنسى أبدا أن مراكش أعطتني يدها ذات يوم.. فلم أعرف ما أصنع بها.. لم أجرب الإمساك بيد مثلها من قبل.. ليست لي خبرة كافية بمعنى وضع يد جميلة في يد مرغوب فيها.. احتفظت بها فعلا.. ونقلتها بين إبطي وراحتي.. وتأملت بشرتها الخمرية.. وهممت بلثمها.. ولم يكن هذا كافيا لاستمرار صداقتها.. فانسحبت من بين أصابعي.. انسحاب سمكة من ماء غير صالح للغوص.. تعقبت آثارها.. سألت عنها افنان الورد.. ورسل النسيم.. وأصداء الأغاني.. فلم يدلني عليها أحد.. وعدت بعد اليأس إلى إبداعها بطريقتي الخاصة.. نقلا عن تصميمها الماثل في خيالي..

(يتبع)

فاس **عبد العلي الوزاني**

تراجم في تسمية فقهاء الأندلس وتاريخ وفاتهم

مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي

(2)

دراسة وتحقيق
د. محمد عبد الوهاب خلاف

التعليقات والحواشي

1) انظر ترجمته في القاضي عياض : ترتيب المدارك : 2/ 810 ـ 813، ابن بشكوال : الصلة ترجمة رقم 1194، ابن فرحون : الديباج المذهب : ص 274 ـ 275؛ د. محمد خلاف : وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس : حاشية رقم 222.

2) عبد الرحمن : هو عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن، كان من أهل الفضل والحكم والتواضع له كتاب سماه «شفاء الصدور» شوور في الأحكام بعد أبيه. توفى 520 هـ انظر ترجمته في : ابن بشكوال : رقم 749، ابن فرحون : الديباج المذهب : ص 150.

3) المعتمد على الله محمد بن عباد : برع في الشعر والأدب ولد سنة 431 هـ وحكم اشبيلية 461 هـ وحكم قرطبة بعد خلع بني جهور سنة 462 هـ توفى سنة 488 هـ بأغمات بالمغرب. انظر ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : 2/1/32 ـ 67، ابن الأبار : الحلة السيراء 2/52 ـ 67، الضبي بغية الملتمس : ترجمة 248، المراكشي : المعجب : 101 ـ 103، 136 ـ 149، ابن خلكان وفيات الأعيان : ترجمة 686.

4) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس : ترجمة رقم 235، الحميدي : جذوة المقتبس : ترجمة رقم 305، الضبي : بغية الملتمس ترجمة رقم 551.

5) ترتيب المدارك : 4/813، ابن بشكوال : ترجمة 130، الديباج المذهب ص 40.

6) أبو محمد الشقاق : أبو محمد عبد الله بن سعيد بن عبد الله الأموي ستأتي ترجمته فيما بعد، انظر حاشية 108، وما ورد فيها من مصادر.

7) ابن دحون : ستأتي ترجمته فيما بعد انظر حاشية رقم 62 وما ورد فيها من مصادر.

8) باغة : (بالاسبانية : (PRIEGO)
مدينة صغيرة القدر لكنها في غاية الحسن لكثرة مياهها والماء يشق بلدها وعليه الأرحاء داخل المدينة. انظر : الإدريسي : صفة

المغرب وأرض السودان ومصر الأندلس : ص : 214.

9) ترتيب المدارك : 4/813 ـ 815، ابن بشكوال : ترجمة 670.

10) ترتيب المدارك : 4/821 ـ 822، ابن بشكوال : ترجمة 732.

11) ترتيب المدارك : 4/649 ـ 650، ابن بشكوال : ترجمة 21، الديباج المذهب : ص : 38.

12) قاسم بن أصبغ : قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ بن محمد ابن يوسف بن ناصح بن عطاء البياني : من أهل قرطبة، يكنى : أبا محمد. روى عن جده قاسم بن أصبغ، وكان أديبا، حسن الخلق، استقضاه الحكم على كورة تدمير، واستقضاه المؤيد بالله على مدينة الفرج. توفى 388 هـ. انظر : ابن الفرضي : ترجمة : 1079.

13) القاضي أحمد بن ذكوان : أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الأموي قاضي الجماعة بقرطبة وخطيبها، وآخر القضاة بها بعهد الجماعة، يكنى أبا العباس، توفى سنة 413 هـ انظر في ترجمته : الحميدي : ترجمة 223، ابن بشكوال : ترجمة : 65، الضبي : ترجمة : 425.

14) انظر ترجمته في الحميدي ترجمة رقم 448، ترتيب المدارك : 4/748، ابن بشكوال : ترجمة رقم 445، الضبي : ترجمة رقم 762، الديباج المذهب ص 120.

15) أبو عبد الله بن أبي زمنين : ستأتي ترجمته فيما بعد انظر حاشية رقم 57 وما ورد فيها من مصادر.

16) أبو عمر بن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى إمام عصره وواحد دهره : ألف من الموطأ

كتبا مفيدة. وله كتاب الاستيعاب في أسماء الصحابة انظر ترجمته في ترتيب المدارك : 4/ 808 ـ 810، ابن بشكوال : 1501، الديباج ص : 357.

17) ابن الفرضي : ترجمة رقم 1363، الحميدي : 170، ترتيب المدارك : ٤ـ٦٢٠ ـ 622، الضبي : ترجمة : 325، النباهي : المرقبة العليا : ص : 77 ـ 82 الديباج المذهب : ص 268.

18) قاضي الجماعة : لقب قاضي قرطبة «بقاضي الجماعة» نسبة إلى جماعة القضاة وظل هذا اللقب حتى نهاية القرن الرابع الهجري. وفي عهد عبد الرحمن شنجول تغير هذا اللقب وحل مكانه لقب «قاضي القضاة» ولعل هذا نتيجة للتأثر بالمشرق، وبعد انقراض دولة بن عامر وقيام الخليفة المهدي أول ملوك الفتنة غير اسم خطة القضاء إلى «قاضي الجماعة» واستمر هذا اللقب أيضا يطلق على قضاة قرطبة طوال القرن الخامس الهجري على الرغم من تمزق الخلافة الأموية وقيام ممالك الطوائف. انظر بحثنا عن «القضاء في قرطبة الإسلامية» تحت النشر.

19) ابن الفرضي : ترجمة 1570.

20) عبيد الله بن يحيى بن يحيى : سنتعرض لترجمته فيما بعد. انظر حاشية رقم 60 وما ورد فيها من مصادر.

21) الشافعي : محمد بن إدريس (150 ـ 204 هـ) صاحب المذهب الذي ينسب إليه وهو أشهر عن أن نترجم له ويعد كتابه «الأم» أساس مذهبه.

22) في جذوة المقتبس : خمير.

23) انظر ترجمته في جذوة المقتبس ترجمة رقم 469، الديباج المذهب : ص : 123 ـ 124.

24) يحيى بن مزين : يحيى بن إبراهيم بن مزين مولى رملة بنت عثمان بن عفان من أهل قرطبة، وأصله من طليلطة: يكنى : أبا زكرياء، كان حافظا للموطأ فقيها فيه وكان مشاورا مع العتبي وابن خالد توفى 259 هـ انظر ترجمته في ابن الفرضي رقم 1558، الديباج المذهب : ص 354، 355.

25) محمد بن أيمن : محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج وسنتعرض لترجمته فيما بعد، انظر حاشية رقم 45 وما ورد فيها من مصادر.

26) انظر ترجمته في : الخشني : قضاة قرطبة : ص : 83 ـ 157، ابن الفرضي : ترجمة 537، الحميدي : ترجمة 462، الضبي : ترجمة 786، الديباج المذهب : ص 125.

27) محمد بن عبد الحكم : مّحمد بن عبد الله بن عبد الحكم أبو عبد الله سمع ابن وهب والشافعي وربما مال إلى مذهبه توفى حوالى 268 هـ

انظر في ترجمته : ترتيب المدارك 3/ 62 ـ 70 «بذكر تاريخ وفاته» 282 هـ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ترجمة رقم 571 وما وما ورد فيها من مصادر، الديباج المذهب : 231 ـ 232.

28) ابن الفرضي : ترجمة 1189، الحميدي : ترجمة 110، الضبي : ترجمة 222، الديباج المذهب ص : 245 ـ 246.

29) في الأصل : الله والمذكور في دب.

30) أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة : من أهل قرطبة، يكنى : أبا عمر سمع من أبيه وغيره وكان حافظا للرأي متقدما فيه، وتوفى 325 هـ انظر ترجمته في ابن الفرضي : رقم 115.

31) ابن الفرضي : ترجمة 1581.

32) ابن الفرضي : ترجمة : 1148، الحميدي : ترجمة 127، الضبي : ترجمة : 249، الديباج المذهب : ص 267.

33) أحمد بن محمد بن غالب بن الصفار : من أهل قرطبة؛ يكنى : أبا الوليد. كان يبصر الشروط، ويميز الفتيا : على مذهب أصحاب مالك. توفي 301 هـ ابن الفرضي : ترجمة : 69.

34) ابن الفرضي : ترجمة 1180، الحميدي : ترجمة : 153، الديباج المذهب ص : 264.

35) القاضي أحمد بن محمد بن زياد : ستأتي ترجمته فيما بعد انظر حاشية رقم 52 وما ورد فيها من مصادر.

36) الأمير عبد الله : عبد الله بن محمد ولد سنة 230 هـ ويكنى : أبا محمد. امتلأت في عهده الأندلس بالفتن. ومات في مستهل ربيع الأول سنة 300 هـ . انظرالحميدي : ص 12، الضبي : ص 16.

37) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين : ص 296، ابن الفرضي : ترجمة : رقم 267، الحميدي : ترجمة 314، الضبي : ترجمة : 561. الديباج المذهب : ص 98.

38) جيان : (بالاسپانية : (JAÉN)
مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة ستون ميلا، وهي كثيرة الخضب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل وهي على سفح جبل عال.
انظر في وصفها : الإدريسي : ص : 174، 302 ـ 303، 314، الروض المعطار : 70 ـ 72.

39) الزبيدي : ص 297.
ابن الفرضي : ترجمة 619، الحميدي : ترجمة : 157.
الضبي : ترجمة 861.

40) بقى بن مخلد : من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الرحمن. كان ورعا فاضلا زاهدا. وله «تفسير القرآن» و «سند النبي صلى الله عليه وسلم» توفى 276 هـ
انظر ترجمته في ابن الفرضي : رقم 283، الحميدي : ترجمة : 331.

41) انظر في ترجمته : ابن الفرضي رقم 77، الديباج المذهب : ص 33.

42) ابن وضاح : محمد بن وضاح بن بزيغ مولى الإمام عبد الرحمن بن معاوية. من أهل قرطبة ، يكنى : أبا عبد الله. روى بالأندلس عن محمد بن عيسى الأعشى وغيره وبمحمد بن وضاح وبقى بن مخلد صارت الأندلس دار حديث . توفى 287 هـ. انظر ترجمته في ابن الفرضي : رقم 1136. الديباج المذهب : ص 239 ـ 241.

تذكرة الحفاظ : ترجمة 670.

43) محمد بن يوسف بن مطروح : من أهل قرطبة؛ يكنى : أبا عبد الله. ولاه الأمير محمد المصلاة، وكانت الفتيا دائرة عليه مع أصبغ بن خليل، وعبد الأعلى بن وهب، وتوفى 271 انظر: ابن الفرضي : ترجمة 1113، الحميدي : ترجمة 158 «ذكر تاريخ وفاته 261 هـ»، الديباج المذهب ص : 264 ـ 265.

44) زائدة في دب.

45) ابن الفرضي : ترجمة 1230، الحميدي : ترجمة : 98.

الضبي : ترجمة 197، الذهبي : تذكرة الحفاظ : ترجمة رقم 817، الديباج المذهب ص : 320.

46) أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أيمن : من أهل قرطبة؛ يكنى : أبا بكر. كان مشاورا في الأحكام. توفى 347 هـ انظر ترجمته في ابن الفرضي : رقم 136.

47) انظر ترجمته في ابن الفرضي : ترجمة رقم 103، «وذكر تاريخ وفاته 344 هـ»، والحميدي ترجمة 385، المرقبة العليا : ص 63 ـ 65، الديباج المذهب : ص 37.

48) قاضي القضاة : انظر حاشية رقم 18.

49) ابن الفرضي : ترجمة رقم 61، الديباج المذهب : ص 33.

50) عبيد الله : أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى وستأتي ترجمته انظر حاشية رقم 60 وما ورد فيها من مصادر.

51) ساقطة في الأصل ومذكورة في دب.

52) اختلفت المصادر في تاريخ وفاته فالبعض يذكر أنه توفى في سنة 312 هـ انظر : الخشني : قضاة قرطبة : صفحات 101 ـ 105، 109 ـ 110، ابن الفرضي : ترجمة 81، الديباج المذهب : ص 33، والبعض يذكر تاريخ الوفاة 320 هـ انظر الحميدي : ترجمة 210، إما صاحب بغية الملتمس فيذكر تاريخ الوفاة 326 هـ انظر ترجمة رقم 403.

53) عبد الرحمن بن محمد : تسمى بإمرة المؤمنين لما بلغه ضعف الخلافة العباسية ببغداد وظهور الشيعة بالقيروان، وتلقب بالناصر لدين الله. تولى الحكم سنة 300 هـ وتوفى 350 هـ انظر في ترجمته : ابن الفرضي : ترجمة ص 7، الحميدي : ص 12 ـ 13، بغية الملتمس ص 17، ابن خلدون : 4/137 ـ 144.

54) أسلم بن عبد العزيز : أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد ابن عبد الله بن خالد بن عبد الله بن حسن بن العجد. ولي قضاء الأندلس لعبد الرحمن الناصر. وكان ثقة. توفى سنة 319 هـ انظر ترجمته في الحميدي : ترجمة رقم 322 وذكر تاريخ وفاته 310 هـ الضبي : ترجمة 571، الديباج المذهب : ص : 99. المرقبة العليا : ص 63.

55) الحميدي : ترجمة 123، ترتيب المدارك : 4/650 ـ 656، ابن بشكوال : ترجمة 1048، الديباج المذهب ص 269.

56) أبو بكر بن زرب : أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب : قاضي الجماعة بقرطبة . كان فقيها جليلا فاضلا، وله كتاب في الفقه سماه الخصال، توفى سنة 381 هـ

انظر في ترجمته : ابن الفرضي : ترجمة 1363، الحميدي : ترجمة رقم 170، ترتيب المدارك : 4/630 ـ 622، الضبي : ترجمة 325، المرقبة العليا : ص : 77 ـ 82.

57) الحميدي : ترجمة 57 «وذكر تاريخ وفاته في حدود 400 هـ ترتيب المدارك : 4/672 ـ 674، ابن بشكوال : ترجمة : 1047 «وذكر تاريخ وفاته : 398 هـ»، الضبي : ترجمة 160، الديباج المذهب : ص 629 ـ 270 «ذكر أنه توفى سنة 399 هـ وتوفى والده 359 هـ» ولوالده ترجمة في ابن الفرضي رقم 706.

58) في دب : وسبعين.

59) ابن بشكوال : ترجمة 1239، الضبي : ترجمة : 256، الديباج المذهب : ص 275.

60) ابن الفرضي : ترجمة 764، الديباج المذهب : ص 146.

61) في دب : عبيد.

62) ترتيب المدارك : 4/729 ـ 730، الصلة : ترجمة 590، الديباج المذهب : 140.

63) في الأصل : «وثمانين» وهو تحريف والمذكور في دب.

64) ترتيب المدارك : 4/724 ـ 726، ابن بشكوال : ترجمة : 1113 الضبي : ترجمة 221، الديباج المذهب : ص 271 ـ 272.

65) في دب : المستحرمين.

66) المدونة : هي من أمهات الكتب في الفقه المالكي وتعتبر أصلا فيه وقد رواها عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك ثم رواها

سحنون بن سعيد عن ابن القاسم مع إضافات له .

67) انظر ترجمته في ابن الفرضى : رقم 396، الحميدي : رقم 408، ترتيب المدارك : 397/4 - 398، الضبي : ترجمة 696.
ولقد اختلفت المصادر في تاريخ الوفاة فأحيانا ذكر 302 هـ، 330 هـ 327 هـ 329 هـ.

68) ذكر ابن الفرضي ترجمة والده «عبيد الله بن يحيى» (ت 298 هـ) انظر ترجمة رقم 764.
ولم نعثر في المصادر التي بين أيدينا على أن له ابن يسمى «محمد أبو عبذ الله» ولكننا وجدنا أن له ابن يسمى «يحيى بن عبيد الله بن يحيى المكنى بأبى عبد الله» وكان يستفتى مع والده وتوفى 303 هـ .
انظر ابن الفرضي : ترجمة 1572، الديباج المذهب : ص : 354، وهناك شخصية أخرى :
هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى ابن يحيى المعروف بابن ابى عيسى المتوفى سنة 339 هـ.
انظر ابن الفرضي ترجمة 1253، الديباج المذهب : ص 265 - 266.

69) ابن الفرضي : ترجمة 1558، الحميدي : ترجمة : 880، الضبي ترجمة 1458، الديباج المذهب : ص 354 - 355، وعن أصل الفقيه ابن مزين : انظر ابن حيان : المقتبس تحقيق د محمود مكى حاشية رقم 127 وما ورد فيها من مصادر.

70) الموطأ : هو كتاب في الفقه للإمام مالك بن أنس، ويعتبر أساس المذهب المالكي.

71) ابن الفرضي : ترجمة : 781، الحميدي : ترجمة 591، الديباج المذهب : ص 147 ـ 148.

72) صاحب الثمانية : أي صاحب ثمانية كتب من سؤاله المدنيين تعرف بثمانية أبي زيد.

73) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين : ص 282 ـ 283، ابن الفرضي :ترجمة : 816، ابن حيان : المقتبس :
تحقيق محمود مكى حاشية رقم 130 وما ورد فيها من مصادر، الحميدي : ترجمة رقم 628، ترتيب المدارك : 3/ 30 ـ 48، الضبي : ترجمة : 1063، الديباج المذهب : ص 154، المقرى : نفح الطيب : 2/ 5 ـ 8.

74) في الأصل : الحيرة والمذكور في دب
والبيرة : (بالاسپانية = ELVIRA) من كور الأندلس، أسسها عبد الرحمن بن معاوية، وبينها وبين غرناطة ستة أميال. انظر : الحميري : الروض المعطار : ص 29 ـ 30.

75) ابن الفرضي : ترجمة 1556، الحميدي :ترجمة : 909، الضبي : 1498، ابن خلكان : وفيات الأعيان : الديباج المذهب : ص 350 ـ 351، نفح الطيب : 2/ 9 ـ 12.

76) مالك بن أنس : إمام دار الهجرة وصاحب المذهب الذي ينسب إليه، توفى سنة 179 هـ وهو أشهر من أن نترجم له.

77) مذكورة في دب.

78) عبيد الله : هو «عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي : فقيه قرطبة، يكنى : أبا مروان. روى عن والده الموطأ، توفى سنة 298 هـ

انظر في ترجمته : ابن الفرضي : ترجمة رقم 764، الحميدي : ترجمة رقم 581، الضبي : ترجمة 973، الديباج المذهب : ص 146.

79) ترتيب المدارك : 3/72 ـ 74، الديباج المذهب : ص : 232 ـ 222.

80) ابن الماجشون : أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، تفقه على الإمام مالك، أثنى عليه عبد الملك بن حبيب، توفى سنة 212 هـ / 827 م. انظر الديباج المذهب : ص : 153، د محمد خلاف : وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس حاشية رقم 42 وما ورد فيها من مصادر.

81) أصبغ : هو الفقيه المصري أصبغ بن الفرج تلميذ ابن وهب وابن القاسم وأشهب بن عبد العزيز. وقد كان من رؤساء المالكية بمصر، توفى سنة 225 هـ / 839 م انظر في ترجمة الديباج المذهب ص

97، د. محمد خلاف وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس : حاشية 63، وما ورد فيها من مصادر.

82) ترتيب المدارك : 3/119 ـ 124، الديباج المذهب : ص 237 ـ 238، الصفدي : الوافي بالوفيات : ترجمة رقم 221.

83) المجموعة : هي نحو الخمسين كتابا في شرح مذهب مالك انظر

ترجمة ابن عبدوس : الحاشية السابقة رقم 82.

84) ابن الفرضي : ترجمة 1400، الحميدي : ترجمة 41، ترتيب المدارك : 4/ 531 ـ 532، الضبي : 96، الذهبي : تذكرة الحفاظ ترجمة 934، الديباج المذهب : ص 259 ـ 260.

85) ترتيب المدارك : 4/ 737، ابن بشكوال : ترجمة : 1028، الضبي : ترجمة 1319.

86) ساقطة في دب.

87) المرية (بالاسپانية : (AL MERIA)

مدينة محدثة أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 344 هـ
انظر في وصفها : العذري : نصوص عن الأندلس : ص 86، حاشية ص 169 وما ورد فيها من مصادر، الإدريسي: صفة المغرب وأرض مصر والأندلس : 197،198،200،201،212،، الحميري الروض المعطار : 182 ـ 184.

88) ترتيب المدارك : 4/ 815،ابن بشكوال : ترجمة : 1335.

89) محمد بن جهور : هو أبو الوليد محمد بن أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور الذي ولى الأمر في قرطبة بعد وفاة أبيه سنة 435 هـ وامتدت إمارته حتى خلعه ابن مرثين قائد المعتضد بن عباد في سنة 462 هـ ثم نفى مع أفراد أسرته إلى جزيرة شلطيش.

انظر : ابن عذاري : البيان المغرب 3/ 232 ـ 234، 255 ـ 261، محمد خلاف وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس : حاشية 221.

90) ابن الفرضي : ترجمة : 1363، ابن بشكوال : ترجمة : رقم 1472.

91) ساقطة في النسختين وأضيفت ليصبح الاسم صحيحا .

92) الحميدي : ترجمة : 231، ترتيب المدارك : 4/635 ـ 642، ابن بشكوال : ترجمة 38، الديباج المذهب : ص 39.

93) ترتيب المدارك : 4/824 ـ 825، ابن بشكوال الصلة : ترجمة : 114، الضبي : ترجمة : 400.

94) ترتيب المدارك : 4/819، ابن بشكوال : ترجمة : 124، الديباج المذهب : ص 40.

95) ابن بشكوال : ترجمة : 175.

96) اشبيلية (بالاسپانية (SEVILLA)

يقال أن الذي بناها يوليوس قيصر، وهي مدينة لها أسوار حصينة وأسواق عامرة وأكثر تجارتها زيت الزيتون .

انظر في وصفها : الإدريسي : 177، 178، 181، الروض المعطار : ص : 18 ـ 22.

97) ابن بشكوال : ترجمة : 331.

98) العدوة : هي الضفة ويقصد بها ساحل البحر الأبيض المتوسط من جهة المغرب في مواجهة ما يسمى بالعدوة الأندلسية وهي الساحل الأندلسي.

99) ترتيب المدارك : 4/732 ـ 733، ابن بشكوال : ترجمة : 309.

100) ترتيب المدارك : 4/815 ـ 817، ابن بشكوال : ترجمة : 518.

101) ترتيب المدارك : 4/668 ـ 671، ابن بشكوال : ترجمة : 1457، المرقبة العليا : 88 ـ 89.

102) الحميدي : ترجمة : 910، ترتيب المدارك : 4/739 ـ 741، ابن بشكوال : ترجمة : 1512، المرقبة العليا : ص 95 ـ 96، الديباج المذهب : ص : 360 ـ 361.

103) في الأصل، دب : وثمانين والمذكور هو الصواب.

104) ترتيب المدارك : اخطأ في اسمه إذ ذكر «بن فرج» 4/741، ابن بشكوال : ترجمة : 706.

105) في دب : الأصبغ.

106) ترتيب المدارك : 4/742، ابن بشكوال : ترجمة 772 «ذكر تاريخ وفاته 406 هـ».

الديباج المذهب : ص 157 «ذكر تاريخ وفاته 422 هـ».

107) ساقطة في دب.

108) ترتيب المدارك : 4/729، ابن بشكوال : ترجمة : 587، الضبي :ترجمة : 926، الديباج المذهب : ص 139 ـ 140.

109) ابن الفرضي : ترجمة 1390، ترتيب المدارك : 4/561 ـ 562 ، المرقبة العليا : ص : 84 ـ 85.

110) الديباج المذهب : ص 149 «ابن بشير».

111) الحميدي : ترجمة : 588، ترتيب المدارك : 4/736، ابن بشكوال : ترجمة : 698، الديباج المذهب : ص 149.

112) في الأصل : كبائز والمذكور في دب.

113) مذكورة في دب.

114) أضيف ليستقيم المعنى.

115) في دب : عبيد.

116) ابن الفرضي : ترجمة : 1125، الحميدي : ترجمة : 63، الديباج المذهب : ص 265.

117) ذكر ابن الفرضي والحميدي : المعروف «بالملون».

118) في دب : لشرطة.

119) ساقطة في دب.

120) في دب : أبو.

121) لعله إحدى هذه التراجم . انظر : عبد الله بن محمد بن حنين، مولى بني أمية، كنيته : أبو محمد . توفى 323 هـ أو 322 هـ. الحميدي : ترجمة رقم 526، وانظر ابن الفرضي : ترجمة : على بن عيسى بن عبيد الطليطلي، رقم 963، وترجمة محمد بن حنين من أهل استجة، رقم 1283.

122) ابن الفرضي :ترجمة رقم 1221.

123) الخشني : قضاة قرطبة : ص : 120، ابن الفرضي : ترجمة : 1319 ، الحميدي : ترجمة : 21، ترتيب المدارك : 4/ 541 ـ 549، الضبى : ترجمة : 57، المرقبة العليا : ص : 75 ـ 77، الديباج المذهب : 260 ـ 262، عن أسرة بني السليم : انظر ابن حيان : المقتبس : تحقيق : د محمود مكى : حاشية رقم 7 وما ورد فيها من مصادر.

124) في الأصل : أشرف والمذكور في دب.

125) في دب : نسب.

126) منذر بن سعيد : ستأتي ترجمته فيما بعد. انظر حاشية رقم 139

وما ورد فيها من مصادر.

127) ترتيب المدارك : 4/ 823، ابن بشكوال : ترجمة : 610.

128) في دب : والصيام.

129) ترتيب المدارك : 4/ 788 ـ 789، ابن بشكوال ترجمة 1165.

130) أبو عمر الطلمنكي : أحمد بن محمد بن أبي عبد الله ابن أبي عيسى المعافري. أصله من طلمنكة من ثغر الأندلس الشرقي. سكن قرطبة. وكانت له عناية بالحديث وروايته وضبطه، عارفا بأصول الديانات توفى 429 هـ انظر : ترتيب المدارك : 4/ 749، 750، الديباج المذهب : ص : 39 ـ 40.

131) ابن بشكوال : ترجمة : 95.

132) ترتيب المدارك : 4/ 819، ابن بشكوال : ترجمة : 111.

133) في الأصل : رافع والمذكور في دب.

134) ابن مطاهر : أحمد بن عبد الرحمن بن مطاهر الأنصاري : من أهل طليلطة، يكنى : أبا جعفر. كان له بصر في المسائل، وله كتاب في تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها. توفى .489. انظر ترجمته في الصلة ترجمة 151.

135) ابن بشكوال : ترجمة 146.

136) سرقسطة : (بالاسپانية :(ZARAGOZA)) قاعدة من قواعد مدن الأندلس. واسمها مشتق من قيصر وهو الذي بناها. انظر العذري : ص : 22 ـ 23 وحاشية 148 وما ورد فيها من مصادر، االإدريسي : 190، 191، 194، الروض المعطار : 96 ـ 98.

137) المقتدر بالله : أحمد بن سليمان بن هود صاحب طرطوشة وذواتها، أخباره كثيرة مع نصارى الأندلس. توفى سنة 475 هـ
انظر : ابن عذارى (البيان المغرب : 3/222 ـ 229).

138) مدينة سالم : (بالاسپانية (Medina Celi)) مدينة جليله كبيرة القطر كثيرة العمارات والبساتين والجنات. وبينها وبين وادى الحجارة 50 ميلا. انظر الإدريسي : ص 189.

139) الخشني : قضاة قرطبة : ص 120، الزبيدي : طبقات النحويين : ص 319 ـ 320، ابن الفرضي : ترجمة 1454، الحميدي : ترجمة 811، الضبي : ترجمة : 1357، المرقبة العليا : ص 66 ـ 75، نفح الطيب : 2/16 ـ 22.
وتجمع هذه المصادر على أن تاريخ وفاته 355 هـ الحميري : الروض المعطار : ص 140 ـ 142.

140) ساقطة في دبـ

141) الكتاب المقصود هو : الاعلام بنوازل الأحكام أو الأحكام الكبرى وهو كتاب له هذان الاسمان.

142) ابن بشكوال : ترجمة 942، المرقبة العليا : ص 96 ـ 97، الديباج المذهب : ص : 181 ـ 182.

143) ابن بشكوال : هو «خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسىَ بن بشكوال الأنصاري من أهل قرطبة يكنى : أبا القاسم. ألف خمسين تأليفا في أنواع مختلفة منها كتاب الصلة . توفى 578 هـ انظر في ترجمته. ابن خلكان : وفيات الأعيان : ترجمة رقم

217 وما ورد فيها من مصادر، الديباج المذهب، : ص : 114.

144) أبو محمد مكى بن أبي طالب : وإسمه : حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرىء. وأصله من القيروان. سكن قرطبة، وتوفى سنة 437 هـ انظر الحميدي : ترجمة : 820، ابن بشكوال : 139، الضبي : 1368، الديباج المذهب : 346،

145) أبو القاسم حاتم بن محمد : حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمي؛ يعرف بابن الطرابلسي من أهل قرطبة، وأصله من طرابلس الشام توفى سنة 469 هـ. انظر ترجمة في : ابن بشكوال : 354، الضبي : 658، الديباج المذهب : ص 109 ـ 110.

146) ابن شماخ : محمد بن الحبيب بن طاهر بن علي بن شماخ الغافقي : من أهل غافق : يكنى : أبا عبد الله كان من أهل الخير والتواضع، استقضى ببلده، وتوفى سنة 459 هـ . انظر ترجمته في : ترتيب المدارك : 4/ 830، ابن بشكوال : ترجمة رقم 1186.

147) ابو زكريا القليعي : يحيى بن محمد بن حسين الغساني، يعرف : بالقليعي : من أهل غرناطة : يكنى أبا زكرياء . قال عنه ابن سهل : كان من كبار أهل غرناطة مشاورا حسن الهيئة والسمت. توفى 442 هـ انظر ترجمته في : ترتيب المدارك : 4/ 827 ـ 828، ابن بشكوال : ترجمة 1471، الديباج المذهب : ص : 354.

148) أبو بكر بن الغراب : محمد بن موسى بن فتح الأنصاري المعروف

: بابن الغراب من أهل بطليوس: يكنى : أبا بكر. سمع بقرطبة من أبي محمد الأصيلي، وعبد الوارث بن سفيان وغيرهم. وكان عالما بالآثار والأخبار. وكان حسن الدين ثقة في جميع أحواله. توفى ببطليوس 460 هـ. انظر ترجمته في ابن بشكوال : ترجمة رقم : 1189.

149) أبو زيد الحشا : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن يعرف بابن الحشا، قاضي طليطلة، وأصله من قرطبة. توفى سنة 473 هـ. انظر في ترجمته : ترتيب المدارك : 4/817، ابن بشكوال : ترجمة 728.

150) أبو بكر بن منظور : محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد بن منظور ابن عبد الله بن منظور القيسي. من أهل اشبيلية : وذكر ابن بشكوال أن كنيته : أبا عبد الله وليس أبا بكر كما هو مذكور توفى سنة 469 هـ انظر في ترجمته : ابن بشكوال : ترجمة : 1200 الضبي ترجمة 28، المرقبة العليا : ص 96.

151) ساقطة في دب.

المصـــادر

ابن الأبار ، (أبو عبد الله محمذ بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي).
الحلة السيراء (جزءان) تحقيق د. حسين مؤنس طبعة أولى، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، 1963، القاهرة.

ابن بسام ، (أبو الحسن على الشنترينى).
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.
القسم الأول (في مجلدين) المجلد الأول ط سنة 1939 والمجلد الثاني ط 1942، القسم الرابع (المجلد الأول) ط 1945 مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة.

ابن بشكوال، (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، (جزءان)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، القاهرة.

ابن حيان ، (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين) المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، 1973، بيروت.

ابن خلكان ، (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر).
وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، 1971، بيروت.

ابن خلدون ، (عبد الرحمن بن محمد... الحضرمي المغربي).
العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1971، بيروت.
ابن سهل ، (القاضي أبو الأصبغ عيسى ....).
الأحكام الكبرى، مخطوط تحت رقم 838 ق الخزانة العامة، الرباط، المغرب.
ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد).
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثالث، تحقيق ليفي بروفنسال (دار الثقافة بيروت طبعة بالأوفست عن طبعة باريس 1930).

ابن فرحون ، (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد).
الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، الطبعة الأولى، 1351 هـ، مصر.
ابن الفرضي ، (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي).
تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م، القاهرة.

الإدريسي ، (أبو عبيد الله محمد).
صفة المغرب وأرض مصر والسودان والأندلس طبع في مدينة ليدن، 1968.

الحميدي ، (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله).
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، القاهرة.

الحميري ، (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم).
صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي پروفنسال، 1937، القاهرة.

الخشني ، (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني).
قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، القاهرة.

خلاف ، (محمد عبد الوهاب ـ دكتور).
ـ وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس، الطبعة الأولى، المركز العربي الدولي للتوزيع، 1980، القاهرة.
ـ القضاء في قرطبة الإسلامية ـ (تحت النشر).
ـ وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس الطبعة الأولى، المركز العربي الدولي للإعلام، 1980، القاهرة.

الذهبي ، (أبو عبد الله شمس الدين محمد).
تذكرة الحفاظ (4 أجزاء) في مجلدين، الطبعة الرابعة، طبعه ا بالأوفست عن طبعة الهند جزء(1) سنة 1375 / 1955، جزء 2 سنة 1376 / 1956، جزء 3 سنة 1376 / 1957، جزء 4 سنة 1377 / 1958، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الزبيدي ، (أبو بكر محمد بن الحسن).
طبقات النحويين واللغويين. الطبعة الأولى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 1954، مكتبة الخانجي، مصر.

الصفدي ، (صلاح الدين خليل بن أبيك).
الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت رينز، جزء أول، الطبعة الثانية، دار فرانز شتايز، بفيسبادن، 1962.

الضبي ، (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة).
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس.
دار الكتاب العربي، 1967، القاهرة.

عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب.
تحقيق ، محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة، 1949، القاهرة.

عياض ، (القاضي أبو الفضل... بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي).
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، (4 أجزاء في مجلدين).
تحقيق ، د. أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت. 1967.

المقري ، (أحمد بن محمد... التلمساني).
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق ، د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.

النباهي ، (أبو الحسن علي بن عبد الله الجنامي... المالقي) تاريخ قضاة الأندلس المسمى بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا.
تحقيق ، ليفي پروفنسال، 1948، القاهرة.

د. محمد عبد الوهاب خلاف

القصص الحيواني
من الأدب الهندي إلى الأدب الفارسي

فتح مجتبائي / د. علي نو
ترجمة: المرحوم د. عبد اللطيف السعداني

البقرة الجاهلــة :

تروى قصص كثيرة في الشعر والنثر الفارسيين، وخاصة في الأدب الاخلاقي للغة الفرس يمكن أحيانا، بالقليل من التمعن والبحث، العثور على أصلها في الكتابات البوذية.

وليس إدراك كيفية سير انتقال هذه القصص من المصادر البوذية الأصلية إلى بلاد إيران، أمرا ميسورا دائما كما لا يمكن معرفة الأسباب والعوامل التي عملت على إيجاد تغييرات في بعضها، فهي غير مشخصة...

يعتقد البعض، أن هذه القصص قد شاعت بين الناطقين باللغة الفارسية عن المصنفات والمؤلفات من مثل كليلة ودمنة لابن المقفع وأصله الفهلوى، الذي كان أحد أنواع الترجمات

لروا يات.. پنجه تنترا (Pantcha tantra) (1) مع إضافات من أصول أخرى لهذا الكتاب. ومن قصة. بوذاسف و بلوهر.. (2) التي كانت في أصلها روا ية لترجمة حياة بوذا. معتمدة على كتاب.. للته وتسره (Lalita-Vastra) (3). وعلى شذرات من كتب أخرى. مثل.. كتاب البد..(4) و«كتاب بوذاسف» و«كتاب أدب الهند والصين» و«كتاب الهند في قصة هبوط آدم عليه السلام» و«كتاب د يك الهندى في الرجل والمرأة» و«كتاب بيدا ياى في الحكمة» (5). وقد ذكرها ا بن النديم (6).

1) هذا هو إسم هذه المجموعة القصصية باللغة السنسكريتية. والكلمة مركبة من «Pantcha» ومعناها، خمسة. و« Tantrâ »ولها معان كثيرة منها : الفصول، قوانين العلم والتربية، الموضوعات التي تتعلق بقوانين الحياة.

2) في كتاب الفهرست : «يوباسف وبلوهر». والاصح ما هنا. ولقد طبعت هذه القصة تحت عنوان : «كتاب بلوهر وبوذاسف « Kitab Bilarha wa Bûdasf » بتحقيق دانيال جيماريه طبع دار المشرق «6».

3) Lalita-Vastra, A.M. Winternity. History of indian Literature Engl. tr. Vol III 1973. P. 416.

4) الأصل الفارسي للكلمة هو : «بت» ويجمع على ابداد، كما يجمع على بددة. والكلمة في الأصل بمعنى جني. وقيل انها من كلمة «بودا». وهذا هي ما عليه وما تعنيه في الكتب الإسلامية.

5) ورد هذا الإسم «بيدياى» في مقدمة كتاب كليلة ودمنة. وقد اختلف شكل كتابته باختلاف النسخ الخطية للكتاب. وتضاربت الأراء في أصل هذا الإسم. والذي يتضح من كليلة ودمنة هو أنه اسم حكيم جهر باتهام الملك بالفساد، فعوقب على ذلك، ثم عفا عنه الملك، وقربه، واستوزره، وعمل بنصحه، ورغب إليه تخليد اسمه بكتابه، فكان ذلك الكتاب هو كليلة ودمنة. (تراجع حول هذا دائرة المعارف الإسلامية، في : بيدياى، وفي : كليلة ودمنة).

6) ذكر ابن النديم بالإضافة إلى هذه الكتب، كتاب سندباد الصغير» و«كتاب سندباد الكبير»

ويرى البعض الآخر، أن ذلك قد حدث نتيجة الدواعي والروابط التي كانت قائمة في النواحي الشرقية، والشمالية الشرقية لإيران، بين سكان هذه البلاد وجيرانهم البوذيين، حيث تخطت حدود الهند ووصلت إلى جهات أخرى وكتبت - في بعض الأحيان - أيضا بلغات سكان آسيا الوسطى، مثل اللغة السغدية والتخارية والايغورية، وجملة من تلك القصص، مما انتقل في العصور المتقدمة من طرق مختلفة، حتى بلغ النواحي الناطقة باللغة اليونانية (7)، قد عادت بالتدريج نحو المشرق، في العهود التي تلت، وامتزجت بمجموعات من مثل «هزار افسانه» «ألف خرافة» التي كانت أساس الكتاب المشهور : ألف ليلة وليلة (8)، و«كتاب السندباد» أو «سندباد نامه» القديم (9)، الذي تشاهد

و«كتاب هابل في الحكمة» و«كتاب طرق» و«كتاب حدود منطق» (الفهرس ص 428 - 429، طبعة القاهرة. ويظهر أن في بعض هذه العناوين كما في سابقاتها، أخطاء).

7) كثير من القصص التي أصبحت مدونة في الهند، منذ القرن الرابع قبل الميلاد، قد عرفت في اليونان ابتداء من القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد. وكم تراءت مشاهد من هذا النوع من القصص في الأحوال التي ظلت باليونان في تلك العهود. راجع حول ذلك :
A.B. Kaith. A ; History of sanskrit Literature, Oxford 1961 PP. 354-355.
وفي تاريخ هرودت، ترى روايات سوفوكلس. وهناك في رسائل أفلاطون إشارات قريبة وأخرى بعيدة إلى الخرافات التي يمكن العثور على شكلها الكامل في الآثار البوذية (مثلا جاتكه 32، وجاتكه 189 في رسالة كراتولوس. أفلاطون 411).

8) راجع : مروج الذهب، الجزء الثاني ص 260 طبعة مصر 1958.

9) يعد المسعودى في مروج الذهب (الجزء الثاني ص 82) كتاب السندباد، من الكتب الهندية. ويذكر ابن النديم في الفهرس (438) أيضا من جملة الكتب الخرافية الهندية

ملامحه في بعض نسخ ألف ليلة وليلة، باسم : «كتاب الوزراء السبعة» (10). ويحتمل أن يكون في الأصل، قسما من كتاب «هزار افسانه». أو أنها انتقلت إلى إيران مباشرة، عن طريق الرواية، فشاعت بين الناس وانتشرت فيهم.

إن إحدى تلك القصص المشهورة التي انتقلت ـ فيما يظهر ـ من الهند إلى اليونان، ثم منها إلى إيران، خرافة : «البقرة الجاهلة». هذه البقرة التي كانت تتقلب في المراعي، تستزيد السمن والاكتناز، في انتظار يوم الفرح، يوم المأدبة.. غافلة عن الهدف المشؤوم من تربيتها ورعايتها.

كانت هذه القصة معروفة في إيران منذ القرون الإسلامية الأولى، بالرغم من أن صورتها الكاملة لم ترد في المجموعات المعروفة مثل كليلة ودمنة و«مرزبان نامه» (11)، و«سندباد نامه»

كتابين باسم : «السندباد الكبير» و«السندباد الصغير». ومن المناسب أن نذكر هنا أن «سندباد نامه» قد ترجم إلى اللغة العربية باسم : «سندباد الحكيم» تعريب الدكتور أمين عبد المجيد بدوى، القاهرة 1979.

10) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية باسم : Le livre des sept Vizirs عن النص الفارسي لـ ظيري السمرقندى، ديان بوكدانوفيتش. وطبع بدار السندباد بباريس (طهران 1975).

11) مرزبان نامه = كتاب المرزبان. هو كتاب يشتمل على حكايات وخرافات أجريت مجرى التمثيل على ألسنة الحيوانات والطيور والجن والشياطين، لاستخلاص العبرة والحكمة، على شكل كليلة ودمنة وبأسلوبها. ألفه مرزبان بن رستم بن شيروان، أحد أمراء طبرستان في القرن الرابع الهجرى، باللغة الطبرية. ثم نقله إلى الفارسية في القرن السابع الهجرى الكاتب سعد الدين الوراييني. طبع في طهران سنة 1337 هـ ش، بتصحيح العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني.

ونظائرها فقد لوحظت في الآثار الأدبية الفارسية إشارات وكنايات خفية إلى محتواها. فالفردوسي في هذا البيت :

لا تركنـــن كثيـــرا فـــي قوتـــــــــــــك
فقد كانت مصيبة البقرة الجاهلة في ذاتها (12)

والإمام الغزالي في هذه العبارة الورادة في كتاب نصيحة الملوك :

«مثلك مثل البهيمة التي ترى الخضرة. فلا تني تأكل حتى تسمن. فيكون سمنها سببا في هلاكها. ولأجل ذلك تذبح وتؤكل» (13)

وظهير الفاريابي في هذا الشعر :

(لا يتأتى الكتاب إلا من جنب البقرة الجاهلة. الخرقاء الخلق البليدة الطبع» (14) كل أولائك. كانت هذه القصة نصب أعينهم.

---

12) أصل البيت بالفارسية :

نباشى بس ايمن ببازوى خويـــش خوردگاو نادان زيهلوى خويـــش

13) أصل هذه العبارة بالفارسية :

«مثال توچون ستورى بودكه سبزه بيندو بسيار بخورد تافربه شود، وآن فربهى سبب هلاك باشد، كه بدان سبب ويرا بكشند وبخورند (نصيحة الملوك. بتصحيح جلال همائى. طبع انجمن آثار ملى. ايران. صفحة 358).

14) أصل هذا البيت بالفارسية :

گاو خرف خوى خرطبيعت نـــادان جزكه زيهلوى خود كباب نيايـــد

ويثير جلال الدين البلخي كذلك في المثنوى بهذا النحو إلى تلك القصة فيقول :

«إنما تتعهد البقرة، في نومها أو في أكلها، لأجل العيد، ومن أجل الذبح».

«لو أنها علمت ماذا يريده منها الجزارون، لما سارت على اثرهم إلى ذلك الدكان».

فحالها، بين أن تأكل النخالة من أيديهم، وبين أن تتملقهم فتسقيهم لبنا».

«كيف يمكن أن تستصيغ الحشائش، لو أنها اطلعت على ما يقصد من تقديم العلف لها».(15).

إن مجموع النماذج التي جيء بها، لتشير إلى أن شهرة هذه القصة بإيران وشيوعها في القرون الإسلامية الأولى، قد بلغت درجة بحيث أن الشعراء والكتاب كانوا يتمثلون بها في معرض

15) أصل هذا الشعر بالفارسية :

گاو اگر خبد وگر جيزى خورد — بهر عيد وذبح خود مي برود
گاو اگر واقف زقصابان بدى — كي بي ايشان بدان دكان شدى ؟
يا بخور دى ازكف ايشان سبوس — يا بدادى شيرشان از جابلوس ؟
ور بخوردى، كى علف هضمش شدى ؟ — گرز مقصود علق واقف شدى ؟

بيان عواقب الغفلة والجل بخفايا المقاصد وحقيقة الأمور. ويذكرونها على سبيل الكناية والتشبيه.

ومختصر من الحديث هنا عن أصل هذه الخرافة. ورواياتها المختلفة. وعن التغييرات التي طرأت على عناصرها وأجزائها خلال تعاقب الزمان. والتي كانت نتيجة لأثر حركتها وانتقالها. لا يخلو من فائدة بالنسبة لمن يرغب في مثل هذه الموضوعات.

وردت هذه الخرافة مرتين - على اختلاف بسيط - في مجموعة «جاتكه» البوذية (16) (القصص رقم 30 ورقم 286). فهي في الصورة الأولى (جاتكه رقم 30) على هذا النحو:

«في الايام الغابرة. عندما كان براهمه دته = Brâhma dattâ يسير دفة الحكم في بنارس. ولد بقرية صغيرة. في منزل دهقان. بود هيستوه = (A. Bodhisattivá) على صورة بقرة. مسمى باسم «سرخ بزرك» الأحمر الكبير. وكان لسرخ بزرك. أخ اسمه «سرخ كوجك = الاحمر الصغير». وكان هذان الإخوان يقومان بجميع أعمال الدهقان. وكانت للدهقان ابنة وحيدة. قد عقد عليها ابن أحد كبار المدينة. فلما أزفت حفلة الزفاف. أحضر الدهقان خنزيرا كان يسمى «مونيكه» فدأب على تعهده في البيت. يناوله

16) JATACA = مجموعة من 547 قصة، حول الحوادث التي وقعت في النشأة الأولى لـ بوذا.

17) Bodhisattivá = هو بوذا المستقبل، حسب عقيدة البوذيين «كوتمه سيد هارته» (بوذا المعروف)، فقبل أن يولد للمرة الأخيرة، ويتصل بالنيروانه، كانت له حيوات متتابعة في مواليده المتتالية، ثم اقترب بالتدريج، مرحلة مرحلة، إلى المقام النهائي.

الأكل الطرى الجيدكي يسمنه. فلما رأى «سرخ كوجك» هذا الأمر. قال لأخيه : إننا يا أخي نحمل أعباء هذا البيت الثقيلة. وليس لنا في مقابل ذلك إلا التبن اليابس. والعشب الجاف. بيد أن غذاء هذا الخنزير كله رز طرى. فما السبب في تمتعه بهذا العيش الرغد ؟ قال له أخوه : أي سرخ كوجك. يا عزيزى ! لا يأخذنك الحسد على حالته. فإن غذاء هذا الخنزير ما هو إلا الموت الزؤام. فإن كانت أسرة الدهقان تسعى كي يسمن. فما ذلك إلا ليعد أكلا أكثر اكتنازا ولذة في المأدبة المقبلة.. وحينئذ سترى كيف سيوثق هذا الخنزير. وكيف سيجر من حظيرته فيذبح. ويهيأ منه غذاء. ثم أنشد هذا الشعر :

«الا. لاتحسدن «مونيكه» المسكين. فإنما يأكل الموت الزؤام

واهنأ. راضيا بتبنك اليابس. فذلك السبيل إلى العافية. وبه تضمن العمر المديد» ولم يمض زمن طويل. حتى أقبل الضيوف.. فذبح الخنزير. وطبخ. وهيئت منه أصناف من الغذاء. وعند ذاك. قال «بودهيستوه» لـ«سرخ كوجك» : أرأيت «مونيكة» يا أخي ؟ لقد رأيت ثمرة ذلك العيش الرغد الذي كان يستأثر به. فغداؤنا ـ وهو التبن الجاف. والعشب اليابس ـ أفضل مئة مرة. لا بل ألف مرة. مما نابه إذ ليس فيما نأكله نحن ضرر ولا تهلكة. (جاتكه 30

مونيكة جاتكه).

وتروى هذه الخرافة أيضا في مجموعة القصص المنسوبة لأوسوبوس (18)، الذي كان يعيش باليونان في القرن الخامس قبل الميلاد. ولكن القصة هنا تتعلق ببقرتين، إحداهما، بقرة الحضيرة، تلك التي لا ينالها نائب ولا عذاب، أكلها الحشائش الخضراء، والغداء اللذيذ. والأخرى، بقرة تقضي حياتها في الضنك والضيق، كتبت عليها الأعمال المرهقة المضنية.. وكانت بقرة الحضيرة - الراضية بحظها الباسم، المزهوة بحياتها - تحتقر بقرة الحقل وتستصغرها، ولا تني عن لومها والشماتة بها، فلا تنبس تلك ببنت شفة، إلى أن أزف في النهاية يوم المأدبة.. وحينما كان يؤخذ ببقرة الحضيرة نحو المجزرة، كانت البقرة الأخرى ترد على شماتة هذه، بابتسامة ! !.

توجد صورة ثالثة لهذه الخرافة في «مدارس ربا» التي هي تفسير عبرى للتوراة (الاسفار الخمسة)، وقد كتبت في القرون المسيحية الأولى. والحديث في هذه المناسبة (شرح الفصل الثالث من كتاب «استر» الفقرة الأولى) هو عن رجل يضم بيته أتانا

---

18) جمعت القصص المنسوبة لـ «اسوب» بالتدريج، وخلال قرون عديدة، والمجموعة التي بيدنا اليوم مسماة باسمه، قد تكونت في القرون المسيحية الأولى.

وجحشا وخنزيرا. وقد كان كثير العناية بالخنزير. شديد الرعاية له. وما زال ينميه بالغذاء الجيد اللذيذ. غير عابىء بالحيوانين الآخرين ولا مهتم كثيرا بأمرهما. إلى أن سأل الجحش أمه ذات يوم عن سبب سعادة هذا الخنزير الكسول. العاطل. وتفيقه. فأجابته أمه : قريبا. ستعلم أن هذه الرعاية. وتلك المواساة. ليستا من الإحسان في شيء. وإنما تحملان في طياتهما نهاية مشؤومة مرة. وبعد حين من الدهر. عندما حل موعد المأدبة. موعد الفرح. ولما فصل رأس الخنزير السمين المكتنز عن جسده. أدرك الجحش سريرة الأمر. ورأى بعينيه نهاية حياة الخنزير «الموفق».

ليس هناك من شك في أن الخرافات المنقولة هنا إنما هي جميعا صور متنوعة وروايات مختلفة لقصة واحدة. ترجع كلها إلى أصل واحد. وليس الإختلاف بينها إلا في أن الحيوان المذبوح في «جاتكه» البوذية وفي «مدارس» اليهودية. هو الخنزير. وهو في الخرافات المنوسبة إلى أسوبوس. وكذلك في الإشارات التي ترى في الآثار الأدبية الفارسية. بقرة الحضيرة. والإختلاف الآخر. هو في أن المشاهدين لهذه الحادثة في «جاتكه» البوذية. هما : البقرتان الاختيان. والمشاهدة لها في الرواية اليونانية هي : بقرة الحقل. بينما هما في «مدارس» اليهودية : الاتان وجحشها.

وهذا رسم بياني لاختلاف روايات هذه القصة :

	الحيوان الذي يقتل	**المشاهد للحادثة**
الرواية البوذية	الخنزير	البقرتان الاختيتان
الرواية اليهودية	الخنزير	الاتان وجحشهما
الرواية اليونانية	بقرة الحضيرة	بقرة الحقل
الرواية الفارسية	بقرة الحضيرة	؟

فاس **د. عبد اللطيف السعداني**

لباب الأنساب لابن الأثير
ومعطياته الاجتماعية
-2-

د. معن خليل عمر

القنديلي : «الذي يعمل القنديل» منهم أبو عبد الله محمد بن الحسين بن شيروبة العصار الاسترا باذي القنديلي (ص 7 ج 3).

القواريري : «الذي يعمل القوارير أو يبيعها» منهم أبو القاسم الجنيد بن الجنيد الخراز القواريري (ص 9 ج 3).

القواسي : «الذي يعمل القاسم» منهم الحصين بن قواس (ص 10 ج 3).

اللباد : «الذي يصنع اللبود ويبيعها» منهم محمد بن اسحق بن نصير اللباد النيسابوري (ص 65 ج 3).

النحاس : «الذي يعمل النحاس» منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (ص 216 ج 1).

الكواز : «الذي يعمل الكيزان من الخزف» منهم أبو نصر عامر بن محمد بن المنقمي الكواز البصري (57 ج 3).

المخلص : «الذي يخلص الذهب من الغش ويفصل بينهما» منهم أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا المخلص البغدادي (ص 111 ج 3).

المركبي : «الذي يعمل ركب السروج» منهم أبو أحمد عبيد الله بن علي المركب البغدادي (ص 126 ج 3).

المسدي : «الذي يعمل السدى للثياب القلاطونية» منهم أبو غالب المبارك بن عبد الوهاب بن حمد بن منصور القزاز المسدي البغدادي (ص 137، ج 3).

المناشر : «الذي يعمل المناشر» منهم أبو حفص عمر بن محمد بن حميد المناشر بغدادي (ص 179، ج 3).

النقاش : «الذي ينقش السقوف والحيطان» منهم أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد المقري النقاش (ص 235، ج 3).

النقاص : «الذي يعمل الابرسيم ويفتله» منهم أبو شريح اسماعيل ابن أحمد بن الحسن النقاص (ص 235 ج 3).

تخصص مهني إداري :

البريدي : «هذه النسبة إلى البريد وهو الذي ينفذ بسرعة من بلد

إلى بلد» والمشهور بهذه النسبة» أبو عبد الله الحسن بن عبد الله بن أحمد البريدي (ص 117 ج 1).

الحاسب : «وهذه اللفظة لمن يعرف الحساب، والمشهور بهذه النسبة» أبو برزة الفضل ابن محمد الحاسب (ص 269 ج 1).

الخازن : «يقال هذا لمن كان خازن الكتب والأموال» منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى الخازن (ص 236 ج 1).

العارض : «هذا يقال لمن يعرض الجند ويعرف ارزاقهم» واشتهر بذلك أبو صالح محمد بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن العارض (ص 104 ج 2).

القاضي : «هذه نسبة إلى القضاء بين الناس والحكومة» وأول من عرف بهذا اللقب سلمان بن ربيعة الباهلي (ص 236 ج 2).

الشروطي : «هذه نسبة إلى الشروط وهي كتابة الوثائق بالديوان والمبيعات وغير ذلك» واشتهر بذلك أبو عبد الرحمن محمد بن اسماعيل ابن أبي عبد الرحمن القطان الشروطي الجرجاني (ص 18 ج 2).

المدير : «هذا يقال ببغداد لمن يدير السجلات التي حكم بها القاضي على الشهود حتى يكتبوا فيها شهاداتهم» واشتهر بهذا الاسم أبو الحسن علي بن محمد بن الطراح المدير (ص 114 ج 3).

المكاتب : «هذه النسبة لنائب الحكم في القرى والسواد يكاتبه الحاكم في البلد يفصل الخصومات» منهم أبو العباس محمد بن عبد الله

بن محمد بن النعمان الاسفرايني المكاتب (ص 172، ج 1).

النقيب : «هذا لقب لجماعة يتولون نقابة السادة العلوية والعباسية أو نقابة القواد» منهم أبو الحسن علي بن يحيى بن اسحاق التجبي الواسطي النقيب (ص 236 ج 3).

تخصص في الأمور الدينية :

الإمام : «يقال هذا لمن يؤم بالناس» واشتهر بهذا أبو بكر محمد جعفر بن محمد بن حفص يعرف بابن الامام بغدادي سكن دمياط (ص 66 ج 1).

القراء : «هذه النسبة إلى قراءة القرآن والنرهل» منهم أبو الحسن علي بن منصور بن عبد الملك بن ابراهيم بن القراء القزويني المؤدب التميمي نزيل بغداد (ص 248 ج 3).

الناقد : «الذي ينقد الحديث وحفظه» منهم أبو حفص عمرو بن علي بن بحر بن الصيرفي الناقد (ص 208 ج 3).

المحتسب : «يقال لمن يحتسب ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر،» منهم الحاكم أبو نصر منشور بن محمد بن أحمد بن حرب المحتسب (ص 104، ج 3).

المذكر : «يقال هذا لمن يذكر الناس ويعظهم» منهم أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن القاسم بن محمد بن عبد الرحمن الزهري المذكر (ص 116 ج 3).

المرتب : «يقال هذا لمن يرتب الصفوف بجامع المنصور منهم أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي المرتب (ص 132 ج 3).

المقدر : «يقال هذا لمن يعلم الفرائض والمقدرات والحساب واشتهر بهذا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن خالد بن صفوان بن عمرو بن الاهتم التميمي المعروف با بن المقدر (ص 169 ج 3).

المكبر : «يقال هذا لمن يكبر في المساجد ويبلغ تكبير الإمام إلى الناس إذا كانوا بعيدا من الإمام وعرف به أبو غالب محمد بن علي بن الداية المكبر البغدادي (ص 173 ج 3) .

القيم : «يقال هذا لمن يقوم بمصالح المساجد والحمامات» منهم هرون بن أبي الهيذام واسمه محمد بن هرون القيم (ص 17 ج 3).

تخصص مهني طبي :

الصيدلاني : «هذه النسبة لمن يبيع الأدوية والعقاقير » منهم أبو يعلي حمزة بن عبد العزيز بن محمد المهبلي الصيدلاني (ص 66 ج 2).

الكحال : «هذا يقال لمن يكحل العين ويداويها» وعرف بهذا أبو سليمان اسماعيل بن سليمان الكحال البصري (ص 30 ج 3).

المتطبب : «هذا يقال لمن يعلم الطب ولمن يتطبب» منهم أبو محمد الحسن بن محمد بن نصر بن حموية الرازي المتطبب (ص 64 ج 3).

تخصصات مهنية وأدبية وعلمية :

الترجمان : «هذه النسبة إلى الترجمان » وهو اسم الجد أبي الحسن محمد بن الحسن بن علي بن الترجمان (ص 172 ج 1).

الشاعر : «الذي يقول الشعر» منهم أبو فراس همام بن غالب الفرزدق الشاعر التميمي (ص 5 ج 1).

المنجم : «يقال هذا لمن يعرف علم النجوم» منهم علي بن هرون المنجم (ص 181 ج 3).

المنشيء ، «يقال هذا لمن ينشيء الكتب» منهم أبو اسماعيل الحسن ابن علي بن عبد الصمد المنشيء الاصبهاني (ص 183، ج 3).

المؤدب : «يقال هذا لمن يعلم الناس الادب واللغة» منهم صالح بن كيسان المؤدب (ص 187 ج 3).

المكتب : «يقال هذا لمن يعلم الصبيان الخط والادب واشتهر بهذه النسبة أبو سالم ثوبة بن سالم المكتب الكوفي (ص 173 ج 3).

الملقي : «يقال هذا لمن يلقي دروس الفقه على الفقهاء بين يدي المدرس» وهو المعيد أيضا وعرف به الفقيه أبو الحسن يوسف بن إسحاق الملقي الجرجاني (ص 177 ج 3).

نسب جغرافي :

الذي يرجع إلى بقعة جغرافية محددة تعيش فيها مجموعة أسر

تسمى بتلك البقعة وسوف نقسمها إلى القرى وبلدة ومحلة في مدينة ومدينة وإقليم.

النسب القروي :

الباجدائي : «هذه النسبة إلى باجد وهي قرية في نواحي بغداد، منها أبو الحسين سلامة بن سليمان بن أيوب بن هرون السلمي الباجدائي (ص 82 ج 1).

الباجرائي : «هذه النسبة إلى قرية من الجزيرة يقال لها باجري» منها أبو شهاب عبد القدوس بن عبد القاهر الباجرائي (ص 82 ج 1).

البازيدائي : «هذه النسبة إلى بازيدا وظني انها قرية من قرى الموصل أو الجزيرة. والمشهور بهذه النسبة أبو علي المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي المعروف بالبازيدائي (ص 87 ج 1).

الطبابي : «هذه النسبة إلى طبا وهي قرية من قرى اليمن» منها ابو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن أحمد الخطيب الطبائي (ص 79، ج 2).

الطحاوي : «هذه النسبة إلى طحا وهي قرية بصعيد مصر» منهم يعفور بن عريب بن عبد كلال الرعيني الطحاوي (ص 82 ج 2).

الطهرمسي : «هذه النسبة إلى قرية من قرى مصر ينسب إليها اسحق بن وهب الطهرمسي (ص 95 ج 2).

نسب بليدي :

العاقولي : «هذه النسبة إلى دير العاقول وهي بليدة بالقرب من بغداد» منهم أبو البركات طلحة بن أحمد بن طلحة بن أحمد بن الحسن ابن سليمان الكندي العاقولي (ص 106، ج2).

العرقي : هذه النسبة إلى عرقة بليدة تقارب طرابلس الشام» منهم أبو بكر أحمد بن سليمان العرقي (ص 132 ج 2).

العيني : «هذه النسبة إلى عين التمر وهي بليدة بالحجاز» منها أبو اسحق اسماعيل بن القاسم بن سويد ابن كيسان الغنوي العيني (ص 163، ج 2).

الفرماوي : «هذه النسبة إلى فرما وهي بليدة في أرض مصر وينسب إليها أبو حفص محمد بن يعقوب بن زريق الفرماوي (ص 208 ج 2).

الفرمي : «وهب بليدة بنواحي مصر» ينسب إليها أبو علي الحسيني بن محمد هرون بن يحيى العزمي (ص 208 ج 2).

نسب محلي (أي احدى محلات المدينة) :

البابشامي : «هذه النسبة إلى باب الشام وهي إحدى المحال المشهور بالجانب الغربي من بغداد» منها أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن كثير الصيرفي الباشامي (ص 80 ج 1).

الباكستائي : «هذه النسبة إلى باكسايا وهي من نواحي بغداد» منها أبو محمد العباس بن عبد الله بن أبي عيسى اباكسائي (ص 91 ج 1).

الجهضمي : «هذه النسبة إلى الجهاضمة وهي محلة بالبصرة ينسب إليها نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي (ص 258 ج 1).

الضفادعي : «هذه النسبة إلى محلة ببغداد يقال لها درب الضفادع » منها أبو بكر محمد بن موسى بن سهيل العطار الضفادعي البربهاري (ص 73 ج 2).

الكناسي : «هذه النسة إلى الكناسة وهي موضع بالكوفة يباع به الدواب منها نصير ابن أبي الأشعت الفزاري الكوفي الكناسي (ص 52 ج 3).

نسب مديني :

البرقي : «هذه النسبة إلى برقة وهي بلدة بالمغرب» منها أبو خزيمة ابراهيم ابن حماد بن عبد الملك بن أبي العوام الخولاني البرقي، (ص 114 ج 1).

البلدي : «هذه النسبة إلى بلدة تقارب الموصل» منها علي بن الحسن بن هرون بن عبد الجبار ابن زيد البلدي (ص 141، ج 1).

التكريتي : «هذه النسبة إلى تكريت وهي بلدة كبيرة لها قلعة حصينة على دجلة فوق بغداد» منها أبو تمام كامل بن سالم بن الحسين ابن محمد التكريتي (ص 178 ج 1).

الشامي : «هذه النسبة إلى الشام» ومنها أبو عبد الله حكحول بن عبد الله الشامي (ص 7، ج 2).

القنسريني : «هذه النسبة إلى قنسرين وهي بلدة عند حلب منها معلى بن الوليد القعاقي القنسريني (ص، ج 3).

القيرواني : «هذه النسبة إلى القيروان وهي بلدة في المغرب» منها سليمان بن داود بن سلمون القيرواني (ص16 ج 3).

الكوفي : «هذه النسبة إلى الكوفة» منها محمد بن القاسم بن كوفي الأصبهاني (ص 59، ج 3).

الموصلي : «هذه النسبة إلى الموصل» منها أبو بكر ثواب بن يزيد ابن ثواب الموصلي (ص 189، ج 3).

العراقي : «هذه النسبة إلى العراق » منهم أبو الحسين بن جعفر بن أحمد بن أيوب بن العراق (ص 131، ج 3).

المصري : «هذه النسبة إلى مصر» منها أبو العباس أحمد بن محمد ابن عيسى بن الجراح بن النحاس المصري ابن القط (145 ج 3).

العماني : «هذه النسبة إلى عمان وهو موضع بالشام ينسب إليها محمد بن كامل العماني (ص 151 ج 2).

الفلسطيني : «هذه النسبة إلى فلسطين» وينسب إليها أبو عبد الله حمزة بن ربيعة الفلسطيني» (ص 321، ج 2).

أنساب حسب تضاريس جغرافية :

الصيرمي : «نسبة إلى منسوب نهر من أنهار البصرة» ينسب إليه أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن جعفر الصيرمي (ص 66 ج 2).

الطرسوسي : «نسبة إلى احدى ثغور بلاد الروم على ساحل البحر الشامي» ينتسب إليه أبو أمية محمد بن إبراهيم بن مسلم بن سالم الطرسوسي البغدادي (ص 85، ج 2).

الفارابي : «نسبة إلى جبال فاران وهي جبال بالحجاز وينتسب إليها أبو بكر ابن القاسم بن قضاعة الفارابي الاسكندراني (ص 188، ج 2).

اللمغاني : «وهذه النسبة إلى لمغان وهي مواضع من جبال غزنة» منها أبو محمد عبد الملك بن عبد السلام بن الحسين اللمغاني (ص 70، ج 2).

المرابطي : «هذه النسبة إلى المرابطة وهي سكنة الثغور» منها أبو اسحاق ابراهيم بن أبي بكر المرابطي النجاري (118 ج 2).

النرسي هذه النسبة إلى نرس وهو نهر من انهار الكوفة» منهم العباس بن الوليد النرسي (ص 321، ج 2).

النسب القبلي :

الذي يشير إلى أبرز القبائل العربية التي كانت تعيش بالجزيرة العربية وهاجرت منها إلى بلاد الرافدين وغيرها وهذا يوضح درجة

التزام واعتزاز الأفراد بقبائلهم لما تتضمنه من صفات اجتماعية مرموقة أو اعتبار اجتماعي عال أو تعصبا لها للحفاظ عليها.

البرحي : «هذه النسبة إلى بريح وهو بطن من كندة من بني الحرث بن معاوية والمشهور بهذا الانتساب القاسم بن عبد الله بن ثعلبة التجيبي (ص 108 ج 1).

البهثي : «هذه النسبة إلى بهثة وهو بطن من قيس عيلان» وهو الذي ينسب إليه بنو سليم وهم بنو بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حضفة بن قيس عيلان بن مضر منهم عمرو بن عبسة السلمي وهو بهثي (ص 156 ج 1).

التغلبي : «فهذه النسبة إلى تغلب وهي قبيلة معروفة» وهي تغلب ابن وائل بن قايط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ينسب إليها عبد الملك بن راشد التغلبي (ص 177، ج 1).

الثوري : «هذه النسبة إلى بطن من همذان وبطن من بني تميم» منهم صالح بن مسلم بن حي الثوري الهمداني (ص 198 ج 1).

الجدعاني : «هذه النسبة إلى بني جدعان التيمي تيم قريش» والمنسوب إليها أبو عرارة محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة الجدعاني (ص : 213 ج 1).

الخزرجي : «هذه النسبة إلى الخزرج وهي احدى قبيلتي الأنصار، »

منهم سعد ابن عبادة بن دليم الساعدي الخزرجي (369، ج 1).

الظفري : «هذه النسبة إلى ظفر وهو بطن من الأنصار» وهو كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس وعمرو وهذا هو النبيت منهم قتادة ابن النعمان الظفري (ص 100 ج 2).

الغيثي : «هذه النسبة إلى غيث وهو بطن من عبس وهو غيث بن حريطة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس (185، ج 2).

الكلبي : «هذه النسبة إلى قبائل منها كلب من اليمن» منها زيد وجبلة ابناء شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد من كلب اليمن (ص 46، ج 3).

الكندي : «هذه النسبة إلى كندة وهي قبيلة مشهورة من اليمن» منها اياس بن عفيف الكندي (ص 56، ج 3).

الضبي : «هذه النسبة إلى ضبة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضرعم تميم بن مر بن أد » ومنهم أبو عبد الله جرير بن عبد الحميد بن جرير بن قرط الضبي (ص 71 ج 2).

الظني : «هذه النسبة إلى ظنة وهي قبيلة» والمشهور بالنسبة إليها أبو القاسم تمام بن عبد الله بن المظفر بن عبد الله الظني السراج الدمشقي (ص 101 ج 2).

النسب المذهبي :

الذي يشير إلى احد المذاهب الموجودة في الدين الإسلامي كالخوارج أو أحد فروعها والمعتزلة أو أحد فروعها والمرجئة أو أحد فروعها والشيعة أو أحد فروعها.

الازرقي : «جماعة من الخوارج يقال لهم الازارقة النافعية هم أصحاب نافع بن الأزرق (ص 37 ج 1).

الشمري : «هذه النسبة إلى شمر المرجئي» وهم طائفة من المرجئة نسبوا إليه وهم مرجئة قدرية (ص 28 ج 1).

الشيطاني : «هذه النسبة إلى شيطان الطاق» ينسب إليه جماعة من غلاة الشيعة يقال لهم شيطانية من مذهبه التشبيه (ص 42 ج 2).

الشيعي : «هذه النسبة إلى شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه» منهم محمد بن علي بن عبدك الشيعي (ص 43 ج 2).

الظاهري : «هذه النسبة إلى أصحاب الظاهر وهم طائفة من الفقهاء ينتحلون مذهب داود بن علي الاصفهاني صاحب الظاهر» (ص 100 ج 2).

الغادري : «هذه النسبة لطائفة من الخوارج يقال لهم الغادرية لأنهم غدروا بالجهالات في احكام الفروع وهم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي» (ص 164 ج 2).

المرجئي : «هذه النسبة إلى المرجئة وهم طائفة من القدرية» (ص 123 ج 3).

المبيضي : «طائفة من الشيعة لهم لواء أبيض خالفوا فيه شعار الدولة العباسية» (ص 94، ج 3).

المجهولي : «طائفة من الخوارج يقال لهم المجهولية وهم ضد المعلومية وهم من الخازمية (102، ج 3).

المرداري : «طائفة من المعتزلة ينتسبون إلى أبي موسى عيسى بن صبيح المعلق بالمرداد (ص 123 ج 3).

المفوض : «وهم غلاة في الشيعة يقال لهم المفوضة» (ص 166 ج 3).

المكرمي : «طائفة من الخوارج تفردوا بأنهم يعتقدون بأن تارك الصلاة كافر لجهله بالله » (ص 174 ج 3).

انساب الاشراف :

الذي يشير إلى المكانة الاجتماعية والدينية التي ينتمي إليها الفرد ويرجعها إلى عائلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو أحد ذريته أو إلى احدى شخصيات الدين الإسلامي البارزة التي ظهرت في صدر الإسلام أو إلى احد أصحاب الرسول.

الاطهري : «هذه النسبة إلى الاطهر وهو من بعض السادة العلوية ببغداد» نسب إليه صاحب له وهو أبو الحسن علي بن مقلد بن عبد الله ابن كرامة البواب الحاجب الأطهري (ص 58 ج 1).

الأموي : «هذه النسبة إلى أمية» منهم شعيب بن عمرو الأنصاري الأموي (ص 68 ج 1).

الأنصاري : «هذه النسبة إلى الأنصار وهم جماعة من أهل المدينة من الصحابة من أولاد الاوس والخزرج» منهم سعد بن عبادة الأنصاري (ص 72 ج 1).

الشافعي : «هذه النسبة إلى الجد الأعلى وهو جد الإمام أبي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف الشافعي (ص 5 ج 2).

الصديق : «هذه النسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه والمشهور بهذه النسبة موسى بن عبد الرضي الصديقي (ص 52 ج 2).

الضمري : «هذه النسبة إلى ضمرة رهط عمرو بن أمية الضمري» صاحب رسول الله ومن ضمرة غفار رهط أبي ذر الغفاري (ص 73 ج 2).

العقيلي : «هذه النسبة إلى عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه» ينسب إليه القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب العقيلي (ص 145 ج 2).

العمري : «هذه النسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه» وينتسب إليه أبو عثمان عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاص بن عمر ابن الخطاب العمري (ص 153 ج 2).

العوفي : «هذه النسبة إلى عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه» وينسب إليه أبو سليمان يحيى بن يعمر القاضي العوفي (ص 158 ج 2).

البكري : نسبة إلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه» ينتسب إليه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أفلح بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابي بكر الصديق (ص 138 ج 1).

الخطابي : «نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه» ينتسب إليه أبو حفص فاروق بن عبد الكبير بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن زين العابدين الخطابي الخاطبي البصري (ص 378 - ج 1).

اللهبي : «هذه النسبة إلى أبي لهب عم النبي فمن ينسب إليه علي ابن ابي علي اللهبي (ص 73 ج 3).

المطلبي : «نسبة إلى المطلب بن مناف» وينتسب إليه الإمام محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن نافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف الشافعي المطلبي (ص 151 ج 3).

الموسي : «نسبة إلى موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ينتسب إليه الشريف الرضى الموسوي (ص 188 ج 3).

انساب الاعلام :

أي الانتماء إلى شخصيات بارزة في المجتمع العربي كانت تتصف بأفضل الصفات التي يحبذها (المجتمع العربي) كالكرم والشهامة والجود

والا باء والإخلاص أو كانت تلك الشخصيات تتمتع في زمان مضى بمكانة اجتماعية مرموقة.

البرمكي : «هذه النسبة إلى اولاد أبي علي يحيى بن خالد بن برمك» وينتسب إليه أبو عبد الله محمد بن جعفر البرمكي (ص 115 ج 1).

البريدي : «هذه النسبة إلى بريدة بن الحصيب الاسلمي صاحب رسول الله » وينسب إليه أبو طاهر البريدي (ص 117 ج 1).

الحاتمي : «هذه النسبة إلى جد المنتسب وهو أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبدوس بن حاتم الحاتمي الفقيه كان من علماء الشافعية» وينتسب إليه أبو حاتم أحمد بن محمد بن حاتم الفقيه الحاتمي (ص 265 ج 1).

الواثقي : «نسبة إلى الواثق بالله وهو احد الخلفاء» واشتهر بالنسبة اليه من اولاده ابو القسم عبد الواحد بن عبد السلام بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن الواثق بالله الواثقي البغدادي (ص 254 ج 3).

الطاهري : «نسبة إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن أسعد القائد المشهور» وينسب إليه أبو محمد جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن اسماعيل بن ابراهيم بن مصعب بن زريق بن محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الطاهري (ص 78 ج 2).

الطولوني : «نسبة إلى ابن طولون أمير مصر» وينتسب إليه أبو معد عدنان بن أحمد بن طولون المصري الطولوني (ص 63 ج 2).

نسب الجد :

الذي يشير إلى الانتماء الاسري عن طريق الاب مثل.

البري : «وهو اسم جد أبي الحسن علي بن محمد بن بري وابنه عيسى بن علي» (ص 118 ج 1)

البزيعي : «هذه النسبة إلى الجد وهو هرون بن داود بن الفضل ابن بزيع البصري (ص 121 ج 1).

البسامي : «هذه النسبة إلى بسام وهو اسم الجد ابي الحسن علي بن محمد بن منصور بن نصر بُن بسام الشاعر البسامي (ص121 ج 1).

البشاري : «هذه النسبة إلى الجد والمنتسب إليه أبو الحسن علي الحسيني بن البشاري النيسابوري وأبو بكر أحمد بن محمد بن اسماعيل بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد بن براهيم بن محمد بن ابراهيم بن بشار القوينجي (ص125 ج 1).

البكاري : «هذه النسبة إلى بكار وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه وهو اب (العباس عبدُ الله بن محمد بن سليمان بن بكار البكاري أبوزان الشيرازي) (ص 136، ج 1).

الثبيتي : «هذه النسبة إلى ثبيت وهو جد أبي الحسن أحمد بن

عمر بن أحمد بن محمد بن ثبيت القاضي الشيرازي الثبيتي» (ص 192 ج 1).

نلاحظ من عرض الأنساب كما سجلها ا بن الاثير، ان النسب المهني سبق النسب الجغرافي، فعلى سبيل المثال لا الحصر.

طريف **الاسكافي** الكوفي (ص 45 ج 1).

ا بن حمدون **الثقاب** البغدادي (ص 195 ج 1).

أبو الهيثم خالد بن عبد الله الطحان الواسطي (ص 82 ج 2).

أبو سلمان اسماعيل بن سليمان **الكحال** البصري (ص 30 ج 3).

ولاحظنا أن نسب الاشراف والاعلام والقبلي لم يستبقه نسب المهنة أو النسب الجغرافي والمنطق التحليلي وراء هذه الظاهرة النسبية هو أن النسب الجغرافي غير ثابت أو مستقر لأنه يتبدل ومفتوح أمام أي فرد يريد أن يعيش في قرية أو بليدة أو بلدة أو مدينة أو اقليم ليعيش فيها دون أي شروط أو مستلزمات اجتماعية أو اقتصادية ويحمل اسم المنطقة الجغرافية بسهولة لذلك وجدنا هذا النوع من الانساب يتأخر بعد نسب المهنة ولهذا السبب يقع نسب المنطقة الجغرافية في أسفل السلم الاجتماعي الخاص بالنسب إلا أن هذا لا يعني أنه لا يتمتع باعتبار اجتماعي متميز لكنه بالمقارنة مع النسب المهني أو نسب الاعلام أو الاشراف يكون خلفهم.

ولما كان المجتمع العربي (في تلك الفترة الزمنية) يمثل المرحلة

الأولى في مراحل التحضر فانه يعطي للعامل الاقتصادي أهمية لا بأس بها لذلك قدم نسب المهنة على النسب الجغرافي ولأن المهنة كانت خاضعة لسيطرة الأسرة الواحدة. أي أن الأسرة كانت تمثل مؤسسة اقتصادية إنتاجية أكثر من كونها استهلاكية بمعنى آخر أنها كانت تنتج السلع والحاجات الاقتصادية للمجتمع وليس لنفسها وتقوم الأسر أيضا بالتجارة ولم تكن هناك مؤسسات ـ غير اسرية ـ تقوم بالتجارة فقد كانت ـ كما ذكر ابن الاثير ـ تقوم بعملية الصناعة والتجارة في وقت واحد مثل :

الفراء (ص 198 ج 1).

العسال : (ص 135 ج 2).

التنوري : (184 ج 1).

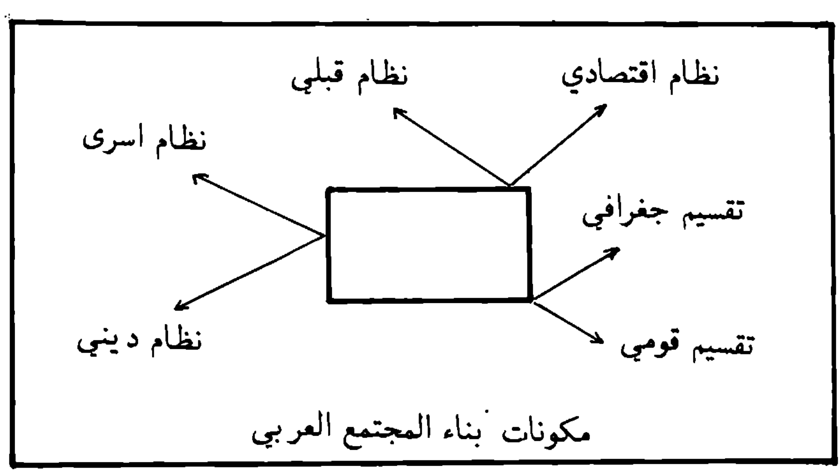
الحداد : (ص 282 ج 1).

ولما كان المجتمع العربي قائما على النظام القبلي وكانت العصبية القبلية اساسا للنعرة والتناصر ـ كما ذكر ابن خلدون ـ فان الفرد العربي كان محتفظا بنسبه القبلي.

ولما كان المجتمع العربي متمتعا باصالة في جذوره التاريخية ، برزت نسب الاعلام مستقلا دون الاعتماد على النسب الجغرافي. ولما كان المجتمع العربي قائما على النظام الديني ـ الإسلامي ـ برز نسب الاشراف ـ اشراف المسلمين ـ دون الاعتماد على نسب آخر ينتسب اليه.

من خلال ذلك نستنتج ان بناء المجتمع العربي كان ا بان القرنين الثاني والثالث عشر قائما على النظام الديني والقومي (العربي) والقبلي والمهني والإقليمي، وبناء على هذا الاستنتاج برز استنتاج آخر فتفرع من الأول مفاده ان الانساب العربية كانت متفاعلة مع النظام الاقتصادي (تجارة وصناعة) ومع النظام الديني (اشراف الدين الإسلامي مذاهبة وطوائف دينية أخرى) ومع النظام القبلي (بطون وعشائر القبائل) ومع النظام الاسري (اسم جد الأسرة) ومع التقسيم الجغرافي (قرية، بليدة مدينة، اقليم) ومع التقسيم القومي (عربي، تركي، عجمي رومي). أي ان الانساب العربية كانت عاكسة مكونات بناء المجتمع العربي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر انظر شكل ـ 2 ـ.

ولا باس أن نوضح للقارئ الكريم ان مثل هذه الدراسات تسمى في علم الاجتماع بدراسات اجتماعية تاريخية (DIACHRONIC
أو دراسة اثنولوجية ، دراسة راسية لمظاهر الحضارة بشقيها المادي والمعنوي) أي محاولة لدراسة تاريخ الظواهر الاجتماعية وحقائق المجتمعات والحضارات. فالدراسة الاجتماعية التاريخية تدرس الظاهرة في ضوء ماضيها وتدرس الوقائع كما تحدث وتقع عبر الزمن (10)



شكل رقم 2

أخيرا يمكن القول بعد هذا العرض والتحليل لانساب العرب، ان النسب اداة منهجية مثرية في البحث الاجتماعي لمعرفة ودراسة طبيعة المجتمع.

وما قام به المؤرخ ا بن الاثير عمل رائد في البحث الاجتماعي لأنه ثبت أبرز انساب العرب بشكل امين ودقيق، وقدم خدمة اجتماعية جليلة للمهتمين بدراسة المجتمع العربي. لذا تقترح هذه الدراسة على المؤرخين العرب المعاصرين ان يدونوا انساب والقاب ا بناء المجتمع العربي المعاصر ـ كما فعل المؤرخ ا بن الاثير ـ وربط الانساب الحديثة بالماضية وا براز الفروقات والتشابهات بينهما.

فاس **د. معن خليل عمر**

نظرة في كتاب

«الأصول»(•)

د. محمد خير الحلواني

لم يعن القدماء بشرح الأصول النحوية التي وجهتهم في دراساتهم، وأعانتهم على استنباط مااستنبطوه من قواعد وأحكام، إلا ما كان من دراسات ابن جني في «الخصائص»، وأبي البركات الأنباري في «لمع الأدلة»، وجلال الدين السيوطي في «الاقتراح» ولكنهم إلى هذا كانوا يسلكون في دراساتهم مسالك منهجية واضحة، لا تحس فحسب، بل تبدو جلية بارزة لكل من ينفذ النظر في بحوثهم.

أما المعاصرون فقد تعاقبوا على هذا الموضوع منذ ثلاثين سنة أو تزيد، وظهر في بلاد الشام ومصر غير كتاب يحمل هذا

• هو كتاب للدكتور تمام حسان، في أصول النحو وفقه اللغة والبلاغة.

العنوان(1). كان آخرها كتاب الدكتور تمام حسان «الأصول»، الذي صدر عن دار الثقافة في الدار البيضاء سنة 1401 ـ 1981.

والدكتور تمام غني عن التعريف. فهو أستاذ أجيال وأجيال تخرجت به من كلية دار العلوم في القاهرة. وهو أيضا واحد من الرواد الذين درسوا اللسانيات في منابعها الأوربية. كما أنه صاحب نتاج شرق في بلاد العرب وغرب. وما بنا إلى ترجمته هنا. بل قصارى ما نريد أن نفعله هو أن نجعل من كتابه هذا منطلقا إلى تصحيح أوهام شاعت في بعض كتب «الأصول» المعاصرة، حتى لم ينج منها أستاذ كبير كالدكتور تمام.

غير أن هذا المنحى في دراسة كتابه ينبغي ألا يفضل ذكر الجوانب المشرقة فيه، وهي جوانب يصعب على غير الدكتور تمام أن ينفذ إليها. وأوثر هنا أن أشير فقط إلى واحدة منها، هي أن النحو العربي لم يقتبس مناهجه من المنطق الصوري، ولم يتأثره إلا بعد عصر المأمون(2). وقد كان الدكتور تمام في بحوثه الأولى ممن يقولون بالتأثر. ولا سيما في كتابه «مناهج البحث في

---

1) مثل : «في أصول النحو» للأستاذ سعيد الأفغاني، و «أصول اللغة والنحو» للدكتور حنا ترزي، و «أصول النحو العربي» للدكتور محمد خير الحلواني، و «أصول النحو العربي... للدكتور محمد عيد

2) انظر الصفحات : 58، و 73، و 190، و 193، و 220.

اللغة»، وجميل منه أن يهتدي إلى الحقيقة في مسألة شاع فيها الخطأ، ولا يزال.

وما كنت لأكتب عن كتاب الدكتور تمام هذا البحث لولا أني أعرف أثره وألمسه في الدارسين والباحثين، وحري بمن كان مثله علما وشهرة أن يتسع صدره للنقد، وأن يجد فيه من أسباب المنفعة العامة ما يجده الأب الطيب حين يحاوره أبناؤه.

1 ـ أوهام في تاريخ النحو :

والذي رأيته بعد اطلاعي على كتاب «الأصول» أن الدكتور تمام شغل بدراسة اللسانيات القديمة التي يمثلها دوسوسير، وفيرث، وبلو مفيلد، وألم مؤخرا بالنحو التوليدي التحويلي، فصرفه هذا عن دراسة النحو العربي دراسة المتخصص، فصحيح أنه قرأ في سيبويه، إلا أنه لم يقرأ سيبويه، وصحيح أنه نظر في نحو المبرد، إلا أنه لم يدرس المبرد، ولعله أكب على دراسة كتاب «الإنصاف في مسائل الخلاف» للأنباري، و «الاقتراح» للسيوطي، ووجد فيها خلاصة المناهج النحوية السابقة، فضلا عن أنه متأثر بالجو الذي شاع بعد دراسات المرحوم أحمد أمين على النحو العربي في «ضحى الإسلام»، فأعاد كثيرا من الأحكام وكأنها مسلمات لا تحتاج إلى برهان.

1) ولقد آن لنا أن نعرض شيئا مما وقفنا عليه في الكتاب. ففي الصفحة (37) يرى أن سيبويه لم يشافه عيسى بن عمر. ولم يدرس عليه. «وإنما تلقى آراءه عن الخليل فيما يبدو. وبذلك يكون عيسى في مرتبة الجد العلمي من إمام النحاة».

ولست أدري كيف توصل الباحث إلى هذا الحكم التاريخي. مع أن معظم القدماء الذين ترجموا لعيسى أو لسيبويه ذكروا صراحة أن الثاني أخذ عن الأول وشافهه. بل إن سيبويه نفسه صرح في كتابه غير مرة بأخذه عن عيسى وسماعه منه. كقوله : «والدئل بمنزلة النمر. تقول : دؤلي. وكذلك سمعناه من يونس وعيسى (3)». وقوله : «وقال الذين يخفضون : الا يا اسجدوا لله الذي يخرج الخب في السماوات. حدثنا بذلك عيسى(4)». وليس هذا قليلا في كتابه(5).

2) ومثل هذا ما ذكره في الصفحة «245» من أن يونس بن حبيب كان تلميذا لابن أبي إسحاق الحضرمي. وتأثره بعض التأثر. والحق أن يونس كان تلميذ أبي عمرو ابن العلاء. ولم

---

3) الكتاب : 3 / 343.
4) نفسه : 3 / 545.
5) انظر كتابنا : المفصل في تاريخ النحو العربي. الجزء الأول، ص : 160. نشر مؤسسة الرسالة بيروت : 1399 ـ 1979.

يأخذ شيئا عن الحضرمي، ولم يسمع منه سماع الطالب. وذلك واضح في رواية ابن سلام الجمحي عن أبيه أنه قال : «قلت ليونس : هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئا. قال : قلت له : هل يقول أحد الصويق ؟ يعني السويق. قال : نعم، عمرو بن تميم تقولها. وما تريد إلى هذا. عليك بباب من النحو يطرد وينقاس(6)».

وواضح من سياق الرواية أن يونس لم يتلمذ للحضرمي، ولم يتأثره، ولم يسمع منه في حلقة الدرس، بل سأله سؤالا في اللغة لا في النحو. ولم تخل صيغة السؤال من التحدي.

3) ومن هذا أيضا أن الدكتور تمام لا يرى في أبي عمرو بن العلاء نحويا ذا بال، فهو عنده «ألصق بالقراءة والرواية». ويبرهن على ذلك بأن سيبويه «لم يرو عنه من الآراء النحوية شيئا ذا بال. ولكنه روى عنه شواهد من اللغة». (ص : 37، وانظر : 245 ـ 246).

وأكاد أجزم بأن هذا الرأي يرجع إلى أن تاريخ الأدب في العصر الحديث سبق تاريخ النحو، فقد عني الباحثون بالشعراء والكتاب قبل أن يعنوا باللغويين والنحاة، ومن أجل ذلك ظهر

6) نفسه : 1 / 147، وانظر : طبقات ابن سلام : 1 / 17.

الجانب الأدبي في أبي عمرو ولم يظهر جانبه النحوي. وهو جد كبير(7)

وإذا وازنا بين نحو أبي عمرو الذي نقل إلينا. ونحو الحضرمي وعيسى بن عمر. وجدنا نحوه يفوق نحوهما معا. لا من حيث «الكم» فحسب. بل من حيث «النوع» أيضا. لأنه عاش بعد الحضرمي سبعا وثلاثين سنة. وهي مرحلة كافية لمن كان مثل أبي عمرو شغفا بالعلم. وعكوفا عليه. أن يصل فيها إلى أصول لم يبلغها سلفه. وأن يقف على ظواهر لم تتهيأ لمن قبله.

وهناك وثيقة تاريخية تشهد على هذا. هي قول يونس بن حبيب في كل من الرجلين. إذ ذكر أن علم الحضرمي في أيامهم لا يعد شيئا. على حين قال في نحو أبي عمرو : «لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد لكان ينبغي لقول أبي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤخذ كله(8)» وثمة وثيقة أخرى عن أبي محمد اليزيدي الذي يقول : كنت جالسا مع الفضل. فقال لي : من كان أعلم بالنحو : الكسائي أو أبو عمرو ؟ قلت : أصلحك الله. لم يكن بالنحو أعلم من أبي عمرو(9)».

---

7) انظر دراستنا المطولة عن نحو أبي عمرو في كتابنا «المفصل...» 1 / 173 ـ 197.

8) طبقات ابن سلام : 1 / 15 ـ 16.

9) مجالس العلماء : 171 ـ 172.

وما لنا نحتج بمن عاصره، وبين أيدينا كتاب سيبويه، و «معاني» الفراء و «مجاز» أبي عبيدة، وفيها لأبي عمرو من الآراء النحوية الدقيقة ما يشهد بأنه كان تمهيدا صالحا لظهور عباقرة النحو البصري الثلاثة : يونس والخليل، وسيبويه، وأستاذا كبيرا للكوفيين : الرؤاسي، والكسائي، وبأنه أول من حقق القياس النحوي بمعناه الاصطلاحي، أما ما ذكره القدماء عن قياس الحضرمي فلا يعدو المقصود منه «القاعدة النحوية»، ولهذا بحث طويل أرى ألا أخوض فيه هنا.

والحق أن نحو أبي عمرو شمل الأبواب كلها، فالمنقولات عنه تشمل النداء، والاستثناء، والممنوع من الصرف، والأفعال الخمسة، وضمير الفصل، والأعلام، ونصب المصدر الواقع موقع الفعل، والنسب والتصغير، والهمز، وصيغ الأفعال، وتصريفها، والإبدال، والإعلال، كما نراهم ينقلون عنه رأيه في بعض التراكيب المحنطة، كقولهم : أما أنت منطلقا انطلق معك، وقولهم : أما العبيد فذو عبيد، وقولهم : داري خلف دارك فرسخان، و.... الخ.

وينبغي أن نعرف هنا أن سيبويه وصاحبيه لم ينقلوا آراء أبي عمرو النحوية في هذه الأبواب إلا فيما يشكل من التراكيب.

وهذا يعني أنه ضرب فيها جميعا بسهم وافر. وتجاوز فيها الأصول الأولى التي تعنى بها المختصرات.

نخلص من هذا كله إلى أن أبا عمرو كان نحويا عظيما. اصطنع بعض الأصول فسادت في نحو تلامذته وخالفيه. ورسخ بعض المبادئ فطورها من جاء بعده. وكان أثره في عباقرة النحو العربي كبيرا جدا. ولا سيما في منهج الاحتجاج والاستقراء. وفي كثير من الآراء الجزئية(10).

2 ـ أوهام في أصول النحو :

أ) وما جاء في الجانب الأصولي أكبر وأبلغ خطرا مما جاء في الإشارات التاريخية. وربما كان أهم ما فيه أن الدكتور تمام لم يستقر «الأصول» من كتب النحاة أنفسهم. بل رجع خاصة إلى كتاب «الإنصاف» للأنباري. وإلى كتاب الاقتراح للسيوطي. وإلى ما كتبه بعض المعاصرين كالأستاذ سعيد الأفغاني.

ولقد كان الاعتماد على كتاب «الإنصاف» في مطلع البحوث النحوية لهذا القرن مما أدى إلى تشويه «الصورة المذهبية» في تاريخ النحو العربي. وإلى اضطراب الرؤية وزوغانها في تحديد أصول كل مذهب. وذلك جلي بين فيما كتبه المستشرق الألماني

10) انظر على سبيل المثال : سيبويه : 3 / 293 و 3 / 294، ومعاني القران للفراء : 1 / 121، و 2 / 355، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : 1 / 123 و 274....

«فايل» من مقدمة لكتاب «الإنصاف». على الرغم من تحفظاته وإشاراته الدقيقة. كما هو جلي أيضا في الأحكام السريعة التي أطلقها المرحوم أحمد أمين فيما كتبه عن البصريين والكوفيين في كتابه «ضحى الإسلام». وفيما كتبه / الدكتور مهدي المخزومي عن «مدرسة الكوفة» والدكتور عبد الرحمن السيد عن «مدرسة البصرة».

فأبو البركات الأنباري أقدم على عمل لا يخلو من غرابة في منطق البحث الحديث. ولكنه كان طبيعيا في عصره. ذلك أنه أنشأ كتاب «الإنصاف» في الحكم بين المذهبين وهو لا علم له بالنحو الكوفي. إلا ما قرأه من نتف يسيرة في كتب نحاة غير كوفيين. وجل ما نسبه إلى نحاة الكوفة من آراء ومذاهب إنما اقتبسه من شرح السيرافي على سيبويه. وآمالي ابن الشجري. ومشكل إعراب القرآن لمكي القيرواني. وبعض كتب أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني. ولم يرجع البتة إلى كتب الكوفيين ليتحقق من صحة ما ينسبه إليهم. ومن أجل ذلك وقع في أوهام كثيرة. ونسب إلى نحاة الكوفة مالم يخطر لهم ببال. على غرار ما ساقه من مسائل اشتقاق «اسم» و «نعم وبئس» و «إلا» في الاستثناء. وعشرات المسائل

وفوق ذلك كان يستخدم في الحوار الذي اصطنعه أسلوبه «الشخصي» - إن صح التعبير - وهو أسلوب غني بمعطيات علم

الكلام. والفقه. والجدل. وكان يسوقه على ألسنة الكوفيين تارة. وعلى ألسنة البصريين تارات. فإذا انحاز إلى جانب البصري ظهر البصريون أصحاب قياس. ومنطق. وتدقيق في السماع. ورفض لكل مسموع. وظهر خصومهم آخذين بالشواذ. معتمدين على القليل النادر. غير دقيقين في معيار الفصاحة. ولا في إقامة القياس. وفي المسائل التي انحاز فيها إلى الكوفيين انعكست الصورة. فإذا البصريون هو أصحاب السماع. والقلة. واضطراب القياس. وإذا الكوفيون هو القياسيون. وأصحاب الجدل والمنطق ورفض المسموع الذي لا تتوافر فيه القاعدة المطردة(11).

ذلك كله يفرض على الباحث في أصول النحو العربي أن يرجع إلى تراث النحوي نفسه، أو تراث الاتجاه المذهبي الذي يدرسه، ولا يعتمد كتابا ككتاب الإنصاف، حافلا بالتدليس، والتدخل، وتركيب المسائل، وإلا غدت أحكامه بعيدة عن الدقة، ولا تصور الحقيقة، ولا تؤرخ لما كان.

2) وفي ذهن الدكتور تمام أن النحاة القدماء الذين شافهوا العرب لم يستنبطوا أحكامهم من كلام العرب «اليومي» وإنما اعتمدوا فقط ـ كما يقول ـ على الشعر أو لغة الأدب. (أنظر الصفحات : 88، 99، 100، 101، 102).

---

11) انظر تفصيل ذلك في كتابنا : الخلاف النحوي بين المذهبين. دار القلم. حلب 1974.

وأدى به هذا الاعتقاد إلى أن النحاة رجعوا إلى اللغة المكتوبة، دون المنطوقة، وأخذ عليهم أنهم غفلوا عن أن «اللغة الحية إنما تستحق وصفها بالحياة بسبب تداولها لا بسبب تدوينها». حتى الذين شافهوا الأعراب في البوادي والأسواق «تركوا ـ في رأيه ـ النظر فيما جمعوا من مادة، إذ اتكلوا على ما كان من تدوين للنص أو الشاهد، ناوين أن يعودوا إلى النص المكتوب عند عودتهم إلى المدينة، فحين عادوا إلى ما كتبوا لم يعودوا في الحقيقة إلى لغة مسموعة منطوقة، وإنما عادوا إلى نص مكتوب». (ص : 101).

ولم أستغرب أن يصدر مثل هذا الرأي عن الأستاذ الكبير، فقد طالما رددته كتب الأصول واللسانيات منذ المرحوم إبراهيم أنيس حتى الآن، وأظن أن الدكتور تمام واحد من المسهمين في ترسيخ هذا الوهم في عقول طلابهم الذين صاروا اليوم أساتذة، ولو كان هذا الزعم مما تؤيده الوقائع لكان لزاما علينا وعلى أي باحث أن يأخذ به ويصدر عنه، ولكننا مع الأسف ـ لا نكاد نرجع إلى كتب التراث في القرنين : الأول والثاني حتى نجد المادة المستقراة إنما تعتمد في المنزلة الأولى على كلام العرب اليومي، بل إن الشواهد منه تفوق في عددها شواهد الشعر، وشواهد القرآن الكريم.

فمنذ أيام الحضرمي المتوفى سنة 117 للهجرة نجد الاعتماد على اللغة المنطوقة دون المكتوبة، فلقد حدثنا سيبويه أن ابن أبي إسحاق

هذا سمع الشاعر المعروف كثير عزة يقول : «صار بمكان كذا كذا...» بإمالة فتحة الصاد من الفعل «صار»(12). ولما جاء تلميذه عيسى بن عمر سلك المسلك نفسه، إذ أفاد من الوسط اللغوي في البصرة، فاتصل بالأعراب الذين كانوا يختلفون إلى المربد، فيسألهم، ويروي عنهم. جاء في جمهرة ابن دريد عن الأصمعي أن عيسى قال : «سألت أعرابيا : كيف تقول : استخذأت ؟ فقال : إن الأعراب لا تستخذئ(13). بالهمز. وذكر سيبويه أن عيسى سمع من العرب الفصحاء من يرفع الفعل المضارع وإن توافرت له شروط النصب، فجعل ذلك قاعدة نحوية(14).

وفي تراث أبي عمرو يعمق هذا ويكثر، فقد احتج بكلام الناس لعهده، كالأعرابي المحرم في مكة، والمهدي الحجازي، والمنتجع التميمي، وأبي خيرة قبل أن يلين جلده(15)، بل إنه كان يرتاب بفصاحة بعضهم، فيخضعهم للتجربة اللغوية.

وما نكاد نصل إلى مرحلة النضج النحوي التي يمثلها يونس والخليل وسيبويه والأخفش في البصرة، ويمثلها الكسائي والفراء في بغداد، حتى نجد الاعتماد على الكلام المنطوق لا يزيد فقط على ما يسميه الدكتور تمام «لغة أدبية». بل يطغى

---

12) الكتاب : 4 / 121.

13) الجمهرة : 2 / 204 ـ 205.

14) الكتاب : 3 / 16.

15) انظر : الموشح : 125، وطبقات الزبيدي : 35 و 36 و 43.

عليه طغيانا واضحا لا سبيل إلى إنكاره. ويكفي أن نرجع إلى كتاب سيبويه. وكتاب الفراء أو الأخفش في معاني القرآن حتى نقف على هذه الظاهرة البينة

إن النحاة استنبطوا قواعدهم من الكلام المنطوق. وكانوا يستنكرون العودة إلى اللغة المكتوبة من غير إجازة. ولا يثقون بمن يأخذ علمه من الكتب. أما الظواهر اللهجية كالكشكشة والعجعجة وأمثالهما فقد كانوا يتجاوزونها لأنها لا تعدو أن تكون ظواهر صوتية لا تمس التركيب النحوي، ولا البنية الصرفية.

وأكثر من ذلك أنهم كانوا لا يثقون بالشعر إلا إذا سمعوه من أعرابي فصيح. أو من شيخ لهم يرويه عن أعربي فصيح. وما أكثر هذا في كتب سيبويه والفراء وأبي عبيدة والأخفش ومن عاصرهم. وهذا الاتجاه الأصولي هو الذي جعل الشواهد من شعر عدي بن زيد. وأبي دؤاد الإيادي قليلة جدا. لأن أعراب نجد لم ترو قصائدهما. كما يقول الأصمعي(16).

3) وكما جار الدكتور تمام في حكمه على النحاة بهذه الظاهرة. جار عليهم أيضا بحكم آخر. إذ ذهب إلى أنهم لم يفرقوا بين عصر وعصر. لأنهم ـ كما يقول ـ «استنبطوا قواعدهم من شعر مرئ القيس ومن بعده. إلى ابن هرمة في نهاية القرن الثاني

---

16) انظر مواضع متفرقة من كتابنا : أصول النحو العربي. نشر جامعة تشرين. سورية 1978.

الهجري، لم يفرقوا بين شاعر وشاعر، ولا بين قرن سابق وآخر لاحق، في فترة تمتد أربعة قرون» (ص : 115).

والحق أن هذا الأصل النحوي التبس على كثير من الباحثين، وكنا نأمل من الدكتور تمام، وهو من هو، أن يجلو لنا جانبه، ويكشف لنا عن أسراره؛ وأكبر الظن أن هذه التهمة ألحقت بالنحاة العرب من جراء إطلاع اللسانيين في بعض البلاد العربية على المنهج السانكروني الذي دعا إليه دوسوسير في العصر الحديث، ومن جراء إطلاعهم أيضا على الحملة الصاخبة التي شنها اللسانيون الأوربيون على نحوهم التقليدي، فحاكوهم في بداية الأمر، ثم صار هذا الرأي وهما شائعا يقول به من يقول، كأنه مسلمة لا تحتاج إلى دليل، ولا إلى إعادة نظر

والواقع أن النحاة العرب بحثوا في ظواهر التركيب النحوي، والبنية الصرفية، وتركو البحث في الدلالة، والأصوات، والنحو اللغوي للغويين، ومن طبيعة الظواهر التي بحثوا فيها أن تستعصي على التطور إذا لم تختلط اللغة بلغة أخرى، وهذا المناخ كان يشمل اللغة العربية منذ امرئ القيس حتى ابن هرمة في قلب البادية، لا في أطرافها ولا في مدنها، فلو أن إنسانا قام بتجربة فتتبع ظاهرة من الظواهر في لغة هذه الحقبة، لما وجد فارقا يميز التركيب النحوي في زمن امرئ القيس عن نظيره في زمن ابن هرمة، ولا سيما في لغة الشعر والقرآن.

وفعلا قام بمثل هذه التجربة أحد الباحثين(17)، فتتبع ظاهرة واحدة في شواهد سيبويه، وفيها الشعر والقرآن، وفيها ما قاله سكان نجد وتهامة، وأهل الحجاز واليمن، وفيها أيضا ما قاله الشعراء قبل امرئ القيس، وبعده، وبعد العصر الأموي، ومع ذلك كله كانت النتيجة واحدة لم تختلف في لغات الشعراء على اختلاف عصورهم وأصقاعهم، وفي لغة القرآن الكريم.

أما الظاهرة التي تتبعها الباحث فهي الجمل الفعلية والجمل الإسمية واستخدامها في اللغة الأدبية، فكانت النتيجة كما يلي :

1) شواهد القرآن عددها 432

- الجمل الفعلية فيها 372
- الجمل الإسمية 47

2) شواهد الشعر عددها 1049

- الجمل الفعلية 949
- الجمل الإسمية 93

هذه النتيجة تدل على أن المنحى التركيبي في هذه الجزئية لم يتطور، ولا شك أن الظواهر التركيبية الأخرى حافظت على سمتها لا إلى أيام ابن هرمة فحسب، بل إلى أيام المتنبي ومن بعده.

---

17) هو الدكتور عبد الفتاح الدجني، انظر كتابه : ظاهرة الشذوذ، ص : 118.

تلك مسألة. وهناك مسألة أخرى أكثر أهمية. هي أن من يحصي الشواهد النحوية في كتابي سيبويه، ومعاني القرآن للفراء. يجد أن النحاة الرواد عنوا باللغة الأموية أكثر من عنايتهم باللغة الجاهلية. ولهذه الظاهرة في أصولهم وجهان :

ـ الوجه الأول أن سيبويه كان يلح على صفة الفصاحة في استقرائه للغة المنطوقة التي كان يسمعها مباشرة من الفصحاء. وهذا في كتابه أكثر من أن يشار إليه. أما الفراء فكان ينسب الأعرابي الذي يحتج بلغته إلى قبيلته. كأن يقول : سمعت أعرابيا من أسد. أو من تميم. أو من قيس. وربما سماه باسمه. كما كان يفعل حين يستقري لغة أبي ثروان. وأبي الجراح. وغيرهما. وهذا يعني أنهما كانا يستقريان اللغة المنطوقة في عصرهما. لا في عصر امرئ القيس.

ـ والوجه الثاني يرتبط بالأول. وهو أنهما غالبا ما ينسبان الأبيات الشعرية التي يحتجان بها إلى إنشاء الأعراب الفصحاء في أيامهما. وذلك يعني أن الجماعة اللغوية لعصرهما تتبنى اللغة في عصر امرئ القيس أو النابغة. أو عنترة.

وأكثر من ذلك دلالة هو أن الشعراء الذين استقريت لغتهم أكثر من غيرهم هم شعراء بني أمية الذين عاصروا أبا عمرو. والحضرمي. وعيسى. والخليل ويذهب الفرزدق بأوفر حظ من

شواهد سيبويه. ثم يليه جرير. ثم ذو الرمة والعجاج. ورؤبة. أما شعراء الجاهلية فأكثرهم مادة في شواهد سيبويه هو الأعشى. ومع ذلك لا يرقى إلى خط رؤبة وأبيه العجاج. والمعروف أن الأعشى أدرك الإسلام. ثم يقل حظ امرئ القيس والمهلهل من المتقدمين. ويضؤل حظ ابن هرمة وأبي حية النميري من المتأخرين.

قد يقال هنا : إن العصبية للقديم عند أبي عمرو بن العلاء مثلا معروفة ومدونة أخبارها في غير كتاب. وهذا اعتراض قد يكون وجيها. ولكنه لا ينقض الوقائع والإحصائيات التي قدمناها. لأن أبا عمرو كان يحتج بشعر عمر بن أبي ربيعة. ويصحح ضبط كلمة لغوية من إنشاد أعرابية في زمن الحجاج. ويحتج بكلام أعرابي من اليمن على جواز تأنيث «الكتاب». ويستعين بأعرابي محرم على تفسير اشتقاق «الخيل». واعتمد لغة المنتجع التميمي والمهدي الحجازي لإثبات ظاهرة إعرابية تختلف فيها لهجتا نجد والحجاز(18)

وحقيقة الأمر أن النحاة كانوا يعنون بالتقسيم المكاني أكثر من عنايتهم بالتقسيم الزماني. ودليل ذلك أن زمنا واحدا ضم بشارا. ومروان بن أبي حفصة. وأبا نواس من شعراء المدينة. وابن ميادة. وابن هرمة. وأباحية النميري. من شعراء البادية. ومع

18) انظر : المفصل في تاريخ النحو العربي : 1 / 185 وما بعدها.

ذلك لا نجد للثلاثة الأوائل نصيبا في كتب النحو المتقدمة. على حين نجد فيها شواهد ـ ولو قليلة ـ للثلاثة الآخرين. وفلسفة هذا الأصل عند النحاة هي أن اللغة في البادية لم تفسد كما فسدت في المدن. لأنها لم تجاور لغة أخرى. ولم تختلط بها. فإذا كان التطور الصوتي والدلالي حتميا في قوانين اللغة. فإن التطور التركيبي يختلف.

4) شيء آخر نرى من المفيد أن نشير إليه إشارة موجزة في حديثنا عن كتاب الدكتور تمام. هو أنه جعل العلة النحوية جزءا من القياس. لا قسيما له. ولعل الذي حمله على ذلك هو ما ذكره القدماء من أركان القياس التي هي : المقيس. والمقيس عليه. والعلة. والحكم. غير أن العلة هنا ذات معنى ضيق لا يمكن أن ينسحب على جميع العلل النحوية. فهو لا يزيد عن التماس العلاقة التشبيهية بين المقيس والمقيس عليه. على حين تعني العلة النحوية التي هي قسيم القياس شيئا أكثر أهمية. هو تفسير الظواهر اللغوية. ما استقر في بنية اللغة نظاما ثابتا. وما عرض في شعر أو خطاب على سبيل الترخص أو الضرورة. والدليل على ذلك أن النحاة يعللون كثيرا من الظواهر دون أن يكون هناك ظل للقياس. كعلة التخفيف. وعلة الاستثقال. وعلة الاستغناء. وعلة التعويض. وعلة الجوار. و... الخ.. وقد اقتبس الدكتور تمام نفسه

كثيرا من هذه المصطلحات في كتابه، مما يخلط بين المفهوم الضيق للعلة، والمفهوم العام.

5) ولندع هذه المسائل الأصولية، ولنقف عند مسألتين أخريين التبس فيهما على الدكتور تمام فهم القدماء. أما الأولى فجاءت في قوله (ص : 192) : «أما بالنسبة لكون النحاة كانوا أو لم يكونوا عالة على الفقهاء، فما علينا إلا أن نستمع إلى ابن جني وهو يقول : (وكذلك كتب محمد بن الحسن، رحمه الله، إنما ينتزع أصحابنا منها العلل، لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه، فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق). ثم فسر الدكتور تمام عبارة «أصحابنا» في نص ابن جني بأنه يمكن أن يقصد بها النحاة المتأخرين.

والحق أن مثل هذا الفهم لكلام ابن جني وقفت عليه في غير كتاب من كتب الأصول المعاصرة، وهو شيء لم يقصد إليه ابن جني ولا أراده، فقوله (أصحابنا) لا يريد به النحاة، لا متقدمين ولا متأخرين، بل أراد به على وجه اليقين أصحابه الفقهاء، ممن كانوا على مذهب أبي حنيفة، وكانوا يعبون في دراساتهم من كتب محمد بن الحسن، ويستخرجون منها العلل، ويجمعون بعضها إلى بعض. وقد ساق ابن جني هذا الكلام حين تحدث عن مضمون كتابه «الخصائص»، وحين ذكر أن ما جاء به

من حديث مفصل عن الأقيسة والعلل لم يكن من إبداعه، ولا هو صاحبه، ولكنه وجده منثورا في كتب النحاة السابقين، متباعدا بعضه عن بعض، أو مضمرا في أذهانهم، فجمعه بالملاطفة والرفق، فكان مثله مثل أصحابه : الفقهاء الأحناف الذين جمعوا العلل الفقهية ونظموها مما وجدوه في كتب محمد بن الحسن، والغريب أن المرحوم النجار ـ محقق كتاب الخصائص ـ أشار إلى هذا في حاشية الصفحة نفسها.

أما المسألة الثانية التي التبس فيها على الدكتور فهم كلام النحاة القدماء فهي من المسائل التي تتعلق بالاشتقاق، فقد ذكر في الصفحة (247) أن الخليل «صرح في النحو بأن أصل الاشتقاق هو المصدر، وأومأ في المعجم إلى أن الأصل هو أصول المادة الثلاثة».

والحق أن الخليل وتلامذته البصريون لا يذهبون إلى أن المصدر أصل الاشتقاق على نحو مطلق، بل يذهبون إلى أصل الفعل، وذلك واضح في كلام سيبويه في مطلع كتابه : «وأما الأفعال فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء» أي المصادر، وقد فصل الزجاجي هذا في كتاب الإيضاح في علل النحو، وساق مناقشة دارت بينه وبين أبي بكر بن الأنباري(19)، كما جعلها

---

19) **الإيضاح في علل النحو ص 56 وما بعدها، دار النفائس 1399 ـ 1979.**

أبو البركات صاحب «الإنصاف» مسألة خلافية(20) ولم يذكر أي من الرجلين أن المصدر أصل المشتقات عامة. لأن الخلاف في المصدر والفِعل أيهما مشتق من الآخر. ليس غير.

هذه أشياء رأيتها في كتاب الدكتور تمام. وهناك أشياء أخرى آثرت ألا أذكرها هنا. لأنها تحتمل المناقشة والجدل. وهي كلها ـ ماذكرته وما لم أذكره ـ لا تستطيع أن تنال من كتاب الدكتور تمام. فأي كِتاب يخلو مما يحس به غير صاحبه. و «كفى المرء نبلا أن تعد معايبه».

الرباط **د. محمد خير الحلواني**

---

20) المسألة : 28. ص : 235 وما بعدها القاهرة : 1380 ـ 1961.

الزلزال
أو الرماد القتيل

حسن الطريق

يسيل هواك بهي الضياء ندي اللحون.
يذوب على ورقات الغصون
وينساب بين زنا بقها الطل. يوقظ فيها الطراوة حين تجف بها نظرات العيون
يمدد في سروات الرياح مشاعله أنجما كلها بسمات بريئة
يضاعف من دفئها دفقات دفيئة
ويحيي المنى وهي موت مخيف
فتضحك أعيننا بعدما انطفأت والتوت مثلما تلتوي ورقات الخريف
نسائل فيه المناجاة عبر الرياح إذا نطقت في الحفيف
وحجبت السحب عن قمر الليل وهو شفيف لطيف

وتاه التلدد في لطفه المجتبى
وتاه ـ وما تاه إلا إذا اكتأبا ـ
وتاه ـ وما تاه إلا هنالك بين الدروب ـ
وبعثر ما كان يحمله من عيوب
ومازج ما بينها واصطفى ما تضاعف من حجمها
وصار لديه من الزاد زادان من فرحة هي في بدء أيامها
ومن لوعة لجت اليوم في جولات الوجود وضاقت بآلامها وبأعوامها
وألقت بما قد تضاعف من حجم أوهامها
وخاطبت الذكريات بمبغوم أحلامها
هناك استقر به اللهف
وأدرك ما كان يقترف
وصاغ بطول مقام ارتعاشته ما يجدده الدنف
لعل التجدد يسمو ولا يتجاوزه الأسف
لعله يقتل هذا القنوط الذي اشتعلت ناره من رماد قتيل، ولم يتجور وان طال في عمقه النزف

العرائـــش حسن الطريبق

6 - المَغربُ في كتاب "الكامِل"(●)

عبد القادر زمامة

لأهمية المادة التاريخية التي جمعها المؤرخ عز الدين ابن الأثير 555 هـ - 630 هـ عن المغرب والأندلس كان المستشرق = فنياك = قد جمع هذه المادة من كتاب = الكامل = ونقلها إلى اللغة الفرنسية وطبعها بالجزائر سنة 1328 هـ - 1910م.

وليس من هدفي هنا أن أجعل من ابن الأثير مؤرخا من مؤرخي المغرب الذين أدرس كتبهم وأحللها في هذه السلسلة ولكنني - عن دراسة واستقراء - أجد في كتاب الكامل مادة ثرية من تاريخ المغرب ولا سيما في عهدي : المرابطين والموحدين وقد كان لابن الأثير رؤية ومنهاج في كتابة تاريخ العالم

●) انظر العدد 20 من مجلة المناهل.

الإسلامي من حدود الصين والهند إلى شواطيء المحيط..! وقد اطلع على مصادر مكتوبة وروايات مسموعة جاءته من الغرب الإسلامي - ومع شديد الأسف - لم يطلعنا على أسمائها وقد عثر عليها في خزائن : الموصل. وبغداد. وحلب. ودمشق. وبيت المقدس. وهي في عصره أمصار استكملت كل ما يحتاج إليه المؤرخ الباحث من مصادر مدونة في الأسفار. أو مسموعة من أفواه الثقات من العلماء. والرحالين...!

وإلى جانب ذلك كان ابن الأثير في وضع متحرر - في الجملة - من الضغوط النفسية والعصبيات الإقليمية والاعتبارات الظرفية والسياسية... فقد عصفت العواصف بخلافتي : بغداد والقاهرة...! فالأولى ضيقت الأحداث نفوذها. والثانية طوى صلاح الدين الأيوبي صفحتها... ومن أجل ذلك تجاذب السلجوقيون والزنكيون والأيوبيون وغيرهم حبال المنافسة والصراع وتركت أحداث الحروب الصليبية رواسبها في بقاع متسعة شرقا وغربا برا وبحرا...!

في هذا الإطار الذي رسمناه بإيجاز كتب ابن الأثير عن أقطار الغرب الإسلامي وضمنها المغرب الأقصى واعتمد على مصادر شرقية وغربية مكتوبة ومسموعة مع ذوق في الترتيب والتبويب والتوزيع على الأحداث والحوليات. وأسلوب بعيد عن الصنعة والزخرف..

ونحن على يقين أنه اعتمد على كتب مغربية وروايات مغربية ودليلنا العملي على ذلك هو أن المادة التاريخية التي جمعها ابن الأثير في الكامل تشتمل على كلمات اصطلاحية مغربية لاتوجد عادة إلا عند المؤرخين المغاربة وذلك مثل كلمات :

1) **التمييز** : بالمعنى الذي كان معروفا في دولة الموحدين حيث كانوا يقومون بهذه العملية ليفرقوا بين الأنصار والخصوم. وقد كتب عن هذه العملية مؤرخو دولتهم...

2) **يوحد** : بالمعنى الذي كان معروفا في دولة الموحدين... فكان الناس (يوحدون) أي يعتنقون مذهب الموحدين...

3) **الفرطاس** : بالمعنى المعروف بالمغرب إلى الآن وهو الأقرع وكان الزعيم الزناتي زيري بن عطية المغراوي يلقب بالفرطاس (1).

وبالاستقرار والتتبع نجد المادة التاريخية التي سجلها ابن الأثير عن حركات الفتوح الإسلامية وعمل القادة الأولين مادة ممحصة ـ في الجملة ـ كثيرة التفاصيل تزيد على مانجده عند

1) الكامل ج 9 ص 152. ط بيروت 1966م وانظر ما كتبناه في العدد 18 من مجلة المناهل ص 283.

ا بن عبد الحكم والبلاذري والواقدي والكندري. لأن ا بن الأثير استفاد من مصادر غربية لانعرفها بالتدقيق. مما جعل مادته معتمدة في عصرنا هذا عند الباحثين المعاصرين الذين درسوا حركة الفتح الإسلامي في الغرب الإسلامي عموما وفي المغرب الأقصى خصوصا... (2).

وفي مقابل ذلك نجد ا بن الأثير لا يفيدنا بشيء من المعلومات المدققة عن الأوضاع التي قامت في البلاد بعد حركة الفتوح. والطموحات والزعامات التي حركتها نزعات مذهبية وقبلية في طول البلاد وعرضها. فهل كان ذلك داخلا في نطاق منهاجيته الانتقائية..؟ أم انه كان لا يملك عن هذه الحقبة مصادر مفيدة..؟

ونشعر نفس الشعور. ونتساءل نفس التساؤل ونحن ننتظر من ا بن الأثير ما يسجله عن دولة الأدارسة ودور مدينة فاس في الأحداث...

فمن المستغرب حقا أن يكتفي ا بن الأثير عن دولة الأدارسة بذكر المولى ادريس بن عبد الله بعد نجاته من معركة فخ وانتقاله إلى المغرب عن طريق مصر مع مولاه راشد. حيث

2) حسين مؤنس. فتح العرب للمغرب ص 307. ط القاهرة 1947م

استجابت لدعوته قبائل المغرب الأقصى... ثم دبر هرون الرشيد أمر اغتياله في الظروف المعروفة... (3).

وان يكتفي فيما يرجع للمولى ادريس بن ادريس بذكره أثناء حديثه عن ولاية ابراهيم بن الأغلب أمر إفريقية... وما جرى بينهما من مراسلة خاصة بعد أن استمال ابن الأغلب بهلول بن عبد الواحد القائم بأمر دولة المولى ادريس (4).

وأن يكتفي فيما يرجع لراشد. بأنه راشد مولى عيسى ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأنه دخل المغرب مع ادريس بن عبد الله. وأنه توفي سنة 186 هـ وقام بالأمر بعده أبو خالد يزيد بن إلياس (5)...

وبالمقارنة يتجلى لنا الفرق بين مادة ابن الأثير عن دولة بني أمية في الأندلس ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى. فالأولى مادة واسعة متنوعة طويلة النفس تساير الأحداث والحوليات والثانية ضيقة محدودة تكتفي باللمحات اليسيرة...!

والمادة التاريخية العميقة التي تواجهنا عند ابن الأثير هي ماجمعه عن دولة الفاطميين منذ نشأتها على أكتاف قبيلتي :

3) الكامل ج 6 ص 93.
4) الكامل ج 6 ص 156.
5) الكامل ج 6 ص 174.

صنهاجة . وكتامة، آواخر القرن الثالث الهجري إلى أن طوت صفحة الإمارات والزعامات التي كانت قائمة ما بين القيروان وسجلماسة ونشرت مذهبيتها ودخلت في صراعاتها مع الأدارسة وبني أمية وكان المغرب ميدانا لهذه الصراعات...!

وإذا كان، لنا من رأي نقدمه بعد فحص نصوص المادة التاريخية عن الفاطميين وحلفائهم وخلفائهم الصنهاجيين في جميع التطورات والتحركات والتنظيمات فإننا نستطيع أن نقول ان هذه النصوص تصور أهم المجالات السياسية والحضارية التي كان من الممكن أن يجمعها مؤرخ يعيش في الموصل ويكتب تاريخا عاما للعالم الإسلامي ودولة في حدود الهند والصين إلى شواطىء المحيط..!

وبالنسبة لتاريخ دولة المرابطين نشعر بسعة المعلومات - في الجملة - التي يقدمها ابن الأثير عن هذه الدولة. وأنساب القبائل الصحراوية وأسباب اجتماع كلمتها وتحركاتها تحت زعامة عبدالله بن ياسين . وأبي بكر بن عمر. ويوسف بن تاشفين. فيقول عن هذه القبائل إنها ترجع إلى أصول حميرية رحل أجدادهم من اليمن إلى الشام. ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير.

وتوجهوا مع طارق بن زياد إلى طنجة. وأحبوا الانفراد. فدخلوا الصحراء واستوطنوها إلى غاية سنة 448 هـ (6) - 1056م.

لكن هذه السعة في المعلومات عن المرابطين لم تشمل ما قاموا به من أعمال سياسية وحضارية في المغرب عموما وفي مراكش وفاس خصوصا... لأن ابن الأثير كان بالنسبة لهذه الموضوعات منتقيا لا متتبعا...! وبذلك لم يفدنا بمعلومات خاصة عن سياسة المرابطين الداخلية وما ظهر على يدهم من اتجاه في دراسة العلوم الإسلامية بالمغرب...!

ونشعر أن المادة أخذت تتسع حينما يرتبط تاريخ الأندلس بالمرابطين ويتم على يدهم النصر في معركة الزلاقة سنة 479 هـ - 1086م.

وما تلاها من طي صفحة ملوك الطوائف فابن الأثير يفصل ويستوعب المواقف والتحركات مما يدل على أنه كان معتمدا على مصادر كثيرة كتبت في الغرب الإسلامي.

واننا لنستغرب أن ينقل ابن الأثير في هذا النطاق قصة حيلة أدارها يوسف بن تاشفين على رئيس من رؤساء قبيلة جزولة... والقصة ظاهرة الاختلاق. لا تناسب ما أجمع عليه

6) الكامل ج 9 ص 618.

المؤرخون = وعلى رأسهم ابن الأثير نفسه في كتابه الكامل = من نزاهة يوسف في حكمه. وبعده عن أساليب المكر والخديعة وتدبير الاغتيالات بالنسبة لأعدائه... (7).

ويظهر أن ابن الأثير كان ينقل مباشرة من كتاب الشاعر أبي بكر بن اللبانة أخبار المعتمد بن عباد لأننا نعلم أن هذا الشاعر كان من أصدقاء المعتمد الذين نادموه ثم زاروه في منفاه بأغمات. وله فيه أمداح ومراث معروفة. وألف كتابا في تاريخ بني عباد... (8) ذكره المؤرخون في ترجمته...!

ويتأثر ابن الأثير بأقوال ابن اللبانة وغيره والملابسات التي لابست قضية خلع المعتمد ونفيه إلى أغمات وموته بها غريبا فينقل ما قاله المعتمد وما قيل فيه من شعر... ولا يخفي مابنفسه من تقدير للمعتمد ونقد شديد لما قام به يوسف بن تاشفين نحوه... وذلك رأيه الخاص في هذه القضية... (9) وللمؤرخين الآخرين آراؤهم الأخرى...!

ولا نجد عند ابن الأثير في كتاب الكامل أثرا لما كتبه المؤرخون من قصة إحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

7) الكامل ج 10 ص 178.
8) الكامل ج 10 ص 188 و ص 190.
9) الكامل ج 10 ص 585.

على عهد علي بن يوسف بن تاشفين في كل من الأندلس والمغرب بناء على فتوى فقهاء قرطبة...!

والمظنون أن هذه القضية ليست مما يغيب عن إطلاع مؤرخ واسع المعرفة غزير المادة كابن الأثير لكنه تجاوزها فيما تجاوز من أخبار المرابطين جريا على عادته ومنهاجيته الانتقائية. ولعله كان ذا رأي خاص في الموضوع...!

وحينما يصل ابن الأثير إلى تاريخ دولة الموحدين والقائم بدعوتهم محمد بن تومرت المهدي نجد العمق في المعلومات والسعة في التفصيلات والأحداث والأشخاص والتحركات كما نجده يتحدث عن القصة التي تقول عند المؤرخين إن المهدي اتصل بالإمام الغزالي وأخذ عنه فيقول : = كذا قال بعض مؤرخي المغرب..! والصحيح أنه لم يجتمع به..! (10).

فهو ينفي قصة اتصال المهدي بالغزالي. ولكنه يقدر المهدي علميا. وأخلاقيا. وسياسيا. ويجعل ذلك هو سر نجاح الموحدين في القضاء على الدولة المرابطية وهي في عنوان قوتها وعظمتها..!

والمادة التي يملكها ابن الأثير عن دولة الموحدين جعلته يتتبع حركات ملوكهم في المغارب الثلاثة : الأدنى والأوسط

10) الكامل ج 10 ص 569.

والأقصى والأندلس. كما جعلته يقف بالأحداث والحوليات طويلا عند أعمال عبد المومن وهو يمهد البلاد ويتصدى لتحركات مصيرية في تاريخ الغرب الإسلامي..! وأعمال يوسف بن عبد المومن وهو يجابه القوات الصليبية الزاحفة على غرب الأندلس..! وأعمال يعقوب المنصور وهو يتمم ما بدأه والده من إيقاف الزحف الصليبي...!

ويصور ابن الأثير بالأخبار والأحداث والحوليات عظمة دولة الموحدين ومدى اتساع نفوذها والغمرات البحرية والبرية التي خاضتها في عصر تعددت فيه الواجهات المناوئة للإسلام والمسلمين..!

فزيادة على القوات الصليبية الزاحفة على الأندلس من الشمال والشرق. والغرب. هناك القوات البحرية التي تملكها دولة النورمان الناشئة في صقلية وما جاورها من جزائر البحر الأبيض المتوسط والمدن الإيطالية وهذه القوات تستهدف شواطىء المغرب الأدنى والأوسط وتؤلب الخصوم وتعين الثوار ولكن الموحدين أوقفوا نشاطها..!

وإلى جانب ذلك هناك بنو غانية الذين استولوا على الجزائر الشرقية = الباليار = وزاحموا الموحدين. وقاوموهم بحرا وبرا عازمين على إسقاط خلافتهم والمناداة باتباع خلافة العباسيين

في بغداد. وفعلا شغلوا الدولة زمنا ليس بالقصير. واستنزفوا قواتها في عدة واجهات وتحالفوا مع أعدائها فى عدة مناسبات...!

وابن الأثير يصور ذلك ويعطينا مادة من الأخبار بها معلومات دقيقة في الموضوع. نتابع بها حركة الأسطول المغربي. والموقف مع الصنهاجيين وبقاياهم في كل من المغرب الأدنى والأوسط. والموقف مع قبائل الأعراب الذين كانوا يتحركون ضدا على دولة الموحدين لعوامل داخلية. وأحيانا بتحريكات من بني غانية وغيرهم...!

ومن المعلومات التي سجلها ابن الأثير عن عبد المومن أنه = جمع الناس بالغرب على مذهب مالك في الفروع وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الأصول = (11).

كما يسجل من طريف المعلومات عنه أنه كان مولعا بابتداء أسفاره وحركاته في شهر صفر...! ولا شك أن ذلك كان من تحديات عبد المومن لما كان مشهورا عند المنجمين أن هذا الشهر موصوف بالشؤم عندهم (12)....!

وتعرضت الحدود الشرقية للغرب الإسلامي لأعمال قام بها قراقوش ومن معه من عناصر كانت لها أهداف شتى.. لانريد أن

---

11) الكامل ج 11 ص 292.

12) الكامل ج 11 ص 241.

ندخل في تفاصيلها الآن... وقد أشار ابن الأثير إلى هذه الحركة وما جابهها به الموحدون .

ولم يخض ابن الأثير في قضية استنجاد صلاح الدين الأيوبي بيعقوب المنصور. والوفد الذي زار المغرب من أجل ذلك... ولا ندري لماذا هذا التجاوز..!

وحينما ذكر انتصار يعقوب المنصور على جيش الصليبيين بالأندلس سنة 591 هـ ـ 1194م لم يسم المعركة بالاسم الذي اشتهرت به عند المؤرخين في المشرق والمغرب وهو معركة الأرك..!

كما نلاحظ أنه تجاوز الحديث عن معركة العقاب التي كانت على يد الناصر الموحد سنة 609 هـ ـ 1212م رغم انه عاصرها وعرف نتائجها وما خلفته من مآس ورواجف وروادف..!!

ويظهران هذا المؤرخ الكبير كتب الحوليات التي أدركها في آخر عمره عن المشرق والغرب الإسلامي وهو يشعر بالفراغ العظيم الذي أحدثه موت يعقوب المنصور الموحد... بعد الفراغ الذي أحدثه موت صلاح الدين الأيوبي في المشرق.. وكلاهما قمة من قمم العظمة والتضحية والبطولة والتفوق العسكري والسياسي في تاريخ العالم الإسلامي..!

فاس **عبد القادر زمامة**

أنسية ابن قتيبة

عبد السلام العلوي

لا ادعي في هذه الكلمة أنني أحاول أن أحلل إلى القراء الكرام شخصية عالم فذ، وفقيه متضلع، وناقد متبصر كأبي عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري. ولو حاولت ذلك لما وسعني علمي ولا وقتي على السواء.

لكن قصدي ومرادي وهو أن أثير انتباه بعض الشادين في الادب إلى شخصية عظيمة كانت وما تزال، عن حق، موضع التقدير والاعتبار في العالم العربي والغربي، كما كانت قديما، وستظل كذلك عند المغاربة على الخصوص.

وأذكر أنني كنت قرأت لابن قتيبة في بدء دراستي كتابه «الشعر والشعراء»، وخصوصا منه المقدمة التي صدر بها هذا

المؤلف فأعجبت بها إيما إعجاب. ثم أمكنني بعد ذلك أن أطلع على كثير من كتب هذا العالم الجليل بما زادتني قراءتي إلا ميلا إليه. ومحبة في شجاعة هذا الرجل. واعتداله في أحكامه. وصوا به في آرائه. وتسامحه في دينه.

فابن قتيبة. في نظري. رغما عن اعتنائه بالقرآن والفقه والحديث أكثر من ميله إلى الأدب. نجده في كثير من أفكاره عصريا كأنه ارتوى مثلنا من معين الثقافة اليونانية الرومانية التي طبعتنا الآن. إلى جانب ثقافتنا العربية الإسلامية. فخرج من ذلك بأنسية سبقت أنسية «إرازم دي روطيردام» Erasme الهولاندي و «مونتين الفرنسي Montaigne بما يقارب ألف سنة.

هذه الأنسية. هذه الروح الخلاقة. هذا العقل الثاقب. الولوع بالابتكار. المغرم بالاختراع. الملازم للصراحة. سواء راق ذلك معاصريه من المتزمتين أم لا. كل هذا جعل جل من ترجموا له يعده من أئمة السنة العظام. وبعضهم ينسبه إلى الاعتزال وآخرين يلحقونه بالكرامية إلى غير ذلك.

وقد دلتني التجربة انني مهما وجدت شخصية تضاربت فيها الأقوال. وتباينت الآراء مثلما وقع في ابن قتيبة إلا وجدت وراءها عقلا مبدعا. وفكرا مجددا. أعظم ذنوبه انه يشق طريقه بنفسه. ولا يتوسم خطى غيره. ومثل هذا النوع. مع الأسف. قليل.

والذي يزيدنا إعجابا بعظمة ابن قتيبة وأصالته هو أن مثقف القرن العشرين يجد تفكيره قريبا من عقلية هذه الشخصية الفدة. ويتجانس مع أفكارها. ويتحد مع مراميها ومقاصدها البعيدة. وما ذلك إلا لأن صاحبها انتزعها من صميم النفس البشرية التي لا تتغير في أعماق أعماقها بتغير الزمان. والمكان. والجنس. والطبيعة. وتلك والله علامة الأصالة. إن لم نقل العبقرية.

والذي ناسف له أشد الأسف هو أن هذا العالم لم يظهر لنا بأفكاره الشخصية. وأحكامه الفردية. غالبا. إلا في مقدمات كتبه مثل «عيون الأخبار» و «الشعر والشعراء» وما إلى ذلك. ولو أنه أتحفنا بمؤلف أو مؤلفات أدبية خالصة يبسط فيها آراءه حول موضوع معين مثلما فعل الجاحظ في كتابه «العثمانية» لكنا نتوفر على مواد أكثر مما لدينا الآن لتحليل شخصيته تحليلا كافيا شافيا. ولما بقينا نستشف هذه الشخصية. ونتخيل هذا المزاج من القليل الذي بلغنا من آثاره وتفكيره.

وكيفما كان الأمر. فنحن نسوق هنا بعض الأفكار الجريئة. الشخصية التي انفرد بها ابن قتيبة. وسبق بها معاصريه. وكثيرا ممن أتوا بعده ممن يدعون التجديد. ويتظاهرون بالابتكار.

يقول ابن قتيبة في مقدمة «عيون الأخبار» :

«ان هذا الكتاب، وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دال على معالي الأمور، مرشد لكريم الأخلاق، زاجر عن الدناءة، ناه عن القبيح، باعث على صواب التدبر، وحسن التقدير، ورفق السياسة، وعمارة الأرض، وليس الطريق إلى الله واحدا، ولا كل الخير مجتمعا في تهجد الليل، وسرد الصيام، وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة، وأبواب الخير واسعة، وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان، بعد توفيق الله، بالإرشاد وحسن التبصير» «... وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة وما روي عن الأشراف والأئمة فيهما، فإذا مر بك أيها المزمت حديث تستخفه، أو تستحسنه، أو تعجب منه، أو تضحك له، فاعرف المذهب إليه وما أردنا به».

«وأعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتنسكك فإن غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج إليه؛ وإن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيهيأ على ظاهر محبتك، ولو وقع فيه تذقي المتزمتين لذهب شطر بهائه، وشطر مائه، ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل عليه معك» (1).

1) عيون الأخبار، طبعة دار الكتب المصرية، المقدمة صفحة 32.

هذه آراء وأفكار قلما نظفر بمثلها عند فقيه محدث من رجالات القرن الثالث الهجري مثل ابن قتيبة الذي يظهر انه كان معتنيا بغريب القرآن ومشكله ومعانيه. ومختلف الحديث وتأويله أكثر من اعتنائه بالأدب والشعر والنقد لما كان يريده منه عصره. ويفرضه عليه وسطه الذي عاش فيه. إذ نحن في عصر محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن حجاج القشيري وغيرهما ممن اشتغلوا بجمع الأحاديث النبوية وتمحيصها وتدوينها.

والعجب كل العجب هو عصرية هذا التفكير وصوابه بالنسبة إلى ما بلغ إليه تصورنا للأدب. ومفهومنا للعلوم الإنسانية بعد ما ينيف على ألف سنة من وفاة ابن قتيبة.

ويظهر لي أن السلسلة انحدرت من عبد الحميد بن يحيى الكاتب. فاتصلت بعبد الله ابن المقفع صاحب «كليلة ودمنة». ثم مرت بأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. ومن هؤلاء بلغت إلى عالمنا المتحدث عنه

أليس مما يستوقفنا أن نرى شيخا من أصحاب الحديث. في غضون القرن الثالث الهجري يشتغل بتهذيب أخلاق الناس. وإرشادهم إلى معالي الأمور. وصواب التدبير. وحسن التقدير. ورفق السياسة. ثم يحاول بهذا العمل المخالف لما سار عليه الحسن البصري. ورابعة العدوية. وعامر بن شراحيل الشعبي واضرابهم من

صيام الدهر. وقيام الليل. واستغفار النهار. أن يتقرب إلى الله. وينال رضاه وغفرانه

أليس في هذا الاتجاه الجديد سن طريق ديني إسلامي آخر غايته إصلاح الناس. وتوجيههم إلى الخير. وصدهم عن الشر ؟ أليس المهذب لبني آدم اسمى منزلة. وأعلى مرتبة عند الله من الزاهد العابد القابع في كسر محرابه ينتظر من يعوله. ويقوم بشؤونه ؟

وهل خير الكتاب من إذا حرر مؤلفا نسي الدنيا وأهلها. والناس ومشاكلهم والحياة بخيرها وشرها. ومحاسنها ومساوئها. ووجهك بتزمته إلى الآخرة وحدها فخيل إليك ان اسرافيل قد نفخ في الصور. وان البعث قد حان ؟

واني لأرجو. في نهاية هذه الكلمة الموجزة. أن أكون قد توفقت في تشويق بعض الباحثين المختصين إلى دراسة ابن قتيبة. وفحص أفكاره الشخصية الطريفة التي أظنها جديرة بالاعتبار والاهتمام.

عبد السلام العلوي

الإعلام الثقافي

لقاء علمي في موضوع: تاريخ الأندلس وحياة وآثار أبي مروان ابن حيان

نظمت وزارة الشؤون الثقافية مابين 19 نونبر و 24 منه 1981 الماضي، لقاء علميا، خصص لدراسة تاريخ الأندلس بصورة عامة وموضوع حياة وأثار المؤرخ الأندلسي الشهير أبي مروان ابن حيان بوجه خاص.

وقد افتتح السيد وزير الشؤون الثقافية الدكتور سعيد ابن البشير هذا اللقاء صباح يوم الخميس 19 نونبر 1981 بمسرح محمد الخامس بالرباط بحضور بعض أعضاء الحكومة المغربية، ورجال السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي، إلى جانب مجموعة من الشخصيات الثقافية والصحفية والعلمية.

وبهذه المناسبة ألقى السيد الوزير خطابا هاما هذا نصه :

نصّ خطاب السيد وزير الشؤون الثقافية
الدكتور سعيد ابن البشير

إن المغرب لسعيد كل السعادة أن يستقبل على أرضه هذه الصفوة الطيبة من رجال الفكر ممن تجمعهم آصرة أو علاقة بالأدب الأندلسي على العموم وعلى الخصوص بابن حيان الذي خلف لنا هذا الثرات الجليل الذي يزداد جدة على مر الأيام.

وان المغرب إذ يقيم اليوم هذا الاحتفال بابن حيان ليعبر على اعتزازه بشخصية استطاعت أن تقدم لنا ملامح من تاريخ شامل مستوعب لفترات زاهية عاشها الغرب الإسلامي.

لقد كان ابن حيان من أهم الجسور التي ربطت ديار الأندلس ليس فقط ببلاد المغرب والمشرق ولكن بالعالم الغربي كذلك حيث أمكن للثقافات المتنوعة أن تشهد أيام ازدهارها وان تعيش فترات الأخذ والعطاء...

وإذا كنا لا نزال نتطلع إلى ذلك اليوم الذي نتوفر فيه على سائر القطع الضائعة من آثار ابن حيان، فإن ماظهر لحد الآن من إفاداته التاريخية ليعطينا فكرة صادقة عن مكانة الرجل بين رجال العلم والفكر والسياسة كذلك.

وإذا كان معظم الذين تناولوا ابن حيان، قد اهتموا به من ناحية تضلعه في التاريخ والجغرافية ومن ناحية هوايته الأدبية أو النقدية، فإن لابن حيان جانبا فقهيا وقانونيا وإداريا يستحق منا الالتفات...

ان ابن حيان لم يكن مجرد كاتب يروي التاريخ فحسب، ولكنه كان مثال الرجل الذي مارس المسؤولية السياسية ومن ثمة وجدناه يمزج في حولياته بين التاريخ الثقافي والسياسي وبين التشريعات الخليفية والتعامل الدولي .

إن أبرز معالم تفكير ابن حيان السياسي كان يتجلى في الاعتداد بقيمة الجماعة، ويد الله مع الجماعة، ولهذا كنا نلمس شعوره بالمرارة والحسرة وهو يتحدث عن خصوم وحدة الامبراطورية، وعن زعماء الحركات الانفصالية في البلاد. وهذا وحده يدل على أن الرجل كان ذا مبدأ وخلق وعقيدة... فقد ظل في كل ما كتبه حول النزاعات الانشقاقية شاهرا سلاحه ضد الانانيين والمتربصين معتبرا في الانفصال ظاهرة تدل على التخلف وضيق الأفق.

وقد تجلت حاسة ابن حيان القانونية والإدارية فيما قدمه من معلومات في هذا الصدد، تكون وحدها منجما علميا وتراثا حضاريا يفوق الوصف، فقد اهتم هذا المؤرخ الأندلسي بموضوع المراسيم الملكية والاستقبالات الرسمية واهتم بنظام استقبال السفراء المبعوثين من الأمراء

المسلمين والمسيحيين حتى أصبح تشريعا معمولا به في سائر البلاطات الملكية وحتى في الإمارات الأروبية...

ولقد استطاع المؤرخون، من خلال وصف ابن حيان لحياة البلاط والدولة أن يتعرفوا على التنظيمات السياسية والإدارية للمجتمع الأندلسي وعلى الأطر العاملة في الدولة بما في ذلك صاحب الشرطة العليا والوسطى والصغرى، وبما في ذلك الفقهاء وأهل الشورى والأمناء علاوة على أصحاب المهن وأرباب الصنائع.

ولقد أعطى فكرة مدققة عن إدارة البريد ونظام نقله من مدينة إلى مدينة بل ومن قارة إلى أخرى بما في ذلك أجور سعاة البريد ووسطاء النقل.

وقد عرف كيف يقدم جهاز القضاء على عهده حيث ميز بين القاضي، وقاضي الجماعة، وقاضي القضاة، وكل هؤلاء كانوا ينتقلون بكل سهولة من المدن الأندلسية إلى المدن المغربية وبالعكس، يطبقون أحكام المذهب المالكي هنا وهناك...

ولنشر ولو في كلمات وجيزة إلى بعض جوانب هذا المجال القضائي وما يعبر عنه من تقدم سياسي ورقي اجتماعي.

لقد أبرز ابن حيان مركز القاضي بالنسبة للحاكم والمحكوم، وإذا كنا نعتبر اليوم ان من أبرز مظاهر سلامة القضاء أن يكون مستقلا فإن

القاضي في قرطبة كان يحكم مستنيرا بهدى القرآن والسنة ومستعينا في أحكامه القضائية برأي الفقهاء المشاورين مما جعل القضاء يتسم، إضافة إلى الاستقلال عن سلطة الولاة، بطابعين أساسيين ،

أولهما أن الأحكام كانت تصدر عن قاض واحد ولكن القضاء كان جماعيا مع ذلك وفعلا فإذا كان دور المشاورين يقتصر على إبداء رأي لا يعد ملزما له بل هو رأي استشاري فقط، فإن القاضي لامحالة متأثر بهذا الرأي، آخذ بعين الاعتبار تحليل المشاورين لعناصر النازلة واطمئنانهم إلى النص الفقهي في تأويله وتطبيقه على النازلة المعروضة على نظر القاضي.

والطابع الثاني ، أن نظام المشاورين هو في حد ذاته نظام طريف ومفيد للغاية. فقد خرج عن المألوف في الأنظمة القضائية إذ أنه جمع بين الاجتهاذ القضائي والاجتهاد الفقهي وجعل من لقائهما خدمة للقضاء والمتقاضين وخدمة للفقه الذي يلتحم فيه الفكر والعمل بتفاعل وتكامل، مما يبعد الفكر الفقهي عن النظريات البحتة ويشد العمل القضائي في نفس الوقت إلى القواعد الفقهية الأساسية، وهذا ماظهر في بعض الأنظمة القضائية الحديثة.

وهكذا فإذا كان شرع الله حيث ما كانت المصلحة كما يقول الشاطبي فإن نظام المشاورين قد ساعد القضاء على ضمان اللقاء والتلاحم بين القواعد في أصولها ومصالح الناس كما يعبر عنها الواقع الاجتماعي في حركته الدائمة.

وتحدث ابن حيان عن نظام الوزراء ودرجاتهم والوصفاء ومراكزهم وعن كل هذه الجوانب قدم ابن حيان بأسلوبه الموثق المدقق معلومات لا يستغنى عنها المدونون لشؤون الإدارة الإسلامية على عهد الدولة الأموية بل يحتاجها المدونون لتاريخ الدولة المغربية في مختلف العصور حتى يومنا هذا.

وإلى جانب هذا نجد ابن حيان يبرز نقاط الخلاف بين المذاهب الإسلامية وخاصة منها المذهب الشيعي والمذهب السني اللذين كانا على طرفي نقيض في الجناح الغربي من العالم الإسلامي.

وهكذا نشعر بأننا أمام شخصية تتمتع بحاسة فقهية مرهفة إلا أنها معلمة تاريخية بالحجم الذي عرفنا...

إن احياء ذكرى ابن حيان يعني بالنسبة إلينا التنويه بمزايا عالم جليل قدم للمكتبة العربية أتقن وأحكم مؤلف عن تاريخ الأندلس والمغرب.

ونعتقد أن ابن حيان بما تناوله كتابه من إشارات وإفادات في شتى مناحي التاريخ هو الذي هيأ الجو لابن خلدون الذي قدم لنا بدوره موسوعته الكبرى في علم التاريخ وعلم الاجتماع، الأمر الذي يمكن أن نستشفه من خلال الاطراء البالغ الذي أضفاه ابن خلدون على ابن حيان في بداية مقدمته...

لقد أعطى ابن حيان للتاريخ أبعاده السياسية والاجتماعية والعلمية والفنية والقانونية واهتم أيضا بالمؤسسات ومراكزها في المجتمع وتأثيرها عليه، ولقد كتب في كل هذا بالإضافة إلى جمال التعبير بلغة بليغة تمتاز بقوة الأسر وبإيحاء ذكي ينم عن حس رقيق وإدراك لعمق الأشياء والأحداث.

وما من شك في أن اللوحة المعبرة التي رسمها ابن حيان عن مجتمع الأندلس وعلاقاته والتي ابرز فيها عناصر التأثير على الواقع السياسي والاجتماعي لاشك أن هذا العمل هيأ الجو لاستخلاص العبر وبعد أربعة قرون جاء لنا ابن خلدون بالقواعد والسنن التي ينبغي استخلاصها من تاريخ الأمم في حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهاهي شمس المقدمة تضيء الطريق لمنطسكيو الذي كتب روح القوانين بعد غياب ابن خلدون بأربعة قرون.

من هنا ندرك سر إحساس ابن خلدون بواجبه العلمي والأخلاقي في أن يذكر ابن حيان في المقدمة بكلمات الإعجاب والتقدير. كما ندرك اليوم أيضا لماذا يجتمع هذا اللقاء العلمي الكبير لتوجيه تحية الإكبار إلى ابن حيان شيخ مؤرخي الأندلس بعد أن قطعت قافلة التاريخ مسافة الزمان الذي يبعدنا بحوالي ألف سنة عن حياة ابن حيان ولكنه مع امتداده لا يزيدنا إلا قربا من هذا الفكر الثقافي الوضاء.

ومن حسن حظ المغرب أن ظلال ابن حيان ما انفكت تخيم على الأسرة العلمية بالمغرب، وهكذا لم ينقطع الاقتداء به والسير على منهجه عبر الأجيال والسنين من العهد المرابطي إلى العهد العلوي.

ونحب بهذه المناسبة أن ننوه بذكر معالي وزير الدولة الأستاذ الجليل السيد الحاج محمد أباحنيني الذي كان أسلوب الأدب الأندلسي ماثلا أبهة وبهاء في قلمه كما هو معروف من آثاره ويعد بحق في طليعة المذكورين من تلامذة المدرسة الأندلسية التي انتهت إلى المغرب.

ولا أحتاج أن أشير في النهاية إلى السادة العلماء المتخصصين في الشؤون الأندلسية إلى أن عناية الوزارة قد توجهت بصفة خاصة إلى ابن حيان لميزة خاصة أيضا وهي أنه أرخ لعصر ملوك الطوائف عن مشاهدة وعيان فالمعروف في الشدرات المنقولة عن كتابه المتين انه يسد كثيرا من الثغرات التي ترجع الغموض عن بعض جوانب هذا العصر ولا شك أن من شأب هذه المدارسة إثراء الدراسات الأندلسية المعاصرة بفضل الرصيد الأندلسي الذي يتوفر لدى هذه النخبة من كبار الأساتذة لإبـــراز تاريخ هذا العصر وإخراجه من حيز الغموض إلى النور.

أيها السادة :

اننا إذ نجدد الترحيب بكم نعبر عن تقديرنا الكبير لما وصلنا من نتاجكم القيم الرفيع مما يزيد في اثراء موضوعنا.

ويطيب لنا في ختام هذه الكلمة أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى راعي الثقافة والمثقفين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني المؤيد بالله، الذي جشع هذا اللقاء العلمي الرفيع راجين من الله أن يديم توفيقه ويرعاه بعينه التي لاتنام.

الدكتور سعيد ابه البشير

وقد سبق لوزارة الشؤون الثقافية أن دعت لهذه التظاهرة العلمية صفوة من خيرة رجال البحث من علماء المشرق والمغرب وعلماء الاستشراق وفيما يلي قائمة بأسماء السادة المدعويين :

المملكة المغربية :

1) الأستاذ محمد العربي الخطابي.
2) الأستاذ عبد الرحمن الفاسي.
3) الأستاذ محمد الفاسي.
4) الدكتور محمد ابن شريفة.
5) الدكتور محمد حجي.
6) الدكتور محمد الكتاني.
7) الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور.
8) الدكتور عبد الهادي التازي.
9) الأستاذ محمد المنوني.
10) الدكتور عباس الجراري.
11) الأستاذ عبد العزيز ابن عبد الله.
12) الأستاذ عبد الله كنون.

13) الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني.
14) الدكتور عبد السلام الهراس.
15) الأستاذ عبد القادر زمامة.
16) الأستاذ محمد ابن تاويت.
17) الدكتور محمد زنيبر.
18) الأستاذ عبد الكريم غلاب.
19) الأستاذ الصديق ابن العربي.
20) الأستاذ ابراهيم بوطالب.
21) الدكتور محمد مفتاح.
22) الدكتور الهاشمي التهامي الراجي.

الجمهورية التونسية :

1) الدكتور الحبيب الجنحاني.
2) الدكتور ابراهيم شبوح.

جمهورية مصر العربية :

1) الدكتور محمود علي مكي.
2) الدكتور الطاهر أحمد مكي.
3) الدكتور شوقي ضيف.
4) الدكتور حسين مؤنس.
5) الدكتور مصطفى الشكعة.
6) الدكتور أحمد مختار العبادي.
7) الدكتور أحمد هيكل.
8) الدكتور ابراهيم الأبياري.
9) الدكتور علي عبد العظيم.

10) الدكتور السيد عبد العزيز سالم.
11) الدكتور محمد رجب البيومي.
12) الدكتورة عائشة عبد الرحمن.
13) الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف.

جمهورية السودان :

1) الدكتور عبد الله الطيب.
2) الدكتور ابراهيم أحمد الحردلو.

فلسطين :

1) الدكتور احسان عباس.
2) الدكتور أحمد صدقي الدجاني.

الجمهورية السورية :

1) الدكتور شكري فيصل.
2) الدكتور رضوان الداية.
3) الدكتور خالد الصوفي.
4) الدكتور شاكر الفحام.

الجمهورية اللبنانية :

1) الدكتورة وداد القاضي.
2) الدكتور عمر فروخ.
3) الدكتور ألبير مطلق.

الجمهورية العراقية :

1) الدكتور حكمة الأوسي.
2) الدكتور عبد الرحمن الحجي.

3) الدكتور حازم عبد الله خضر.
4) الدكتور هلال ناجي.
5) الدكتور محسن جمال الدين.
6) الدكتور حسين أمين.
7) الدكتورة ابتسام مرهون الصفار.
8) الدكتور عبد الواحد طه ذنون.
9) الدكتور محمد مجيد السعيد.

دولة الكويت :

1) الدكتور عبد الله غنيم.

المملكة العربية السعودية :

1) الشيخ الكبير حامد الجاسر.
2) الدكتور ناصف.

الجمهورية الإيطالية :

1) الأستاذ كابريالي فرانسيسكو.
2) الأستاذ روبيرطو روبيناسي.

المملكة الاسبانية :

1) ايمليو گارسيا كوميز.
2) فرناندو دي لكرانئما.
3) الياس طيرس.
4) خوسي ماريا فورنياس.
5) خسينطو بوشبلا.

الجمهورية الفرنسية :

1) شارل بيلا.
2) أندري ميكل.
3) راشيل آريي.
4) مارك بيرجي.

المملكة البريطانية :

1) هوبكينس.

الولايات المتحدة الامريكية :

1) برنا لويس.

وقد لبى الدعوة أغلب المدعوين لهذا المهرجان ووفدوا على عاصمة المملكة المغربية حيث بذلت وزارة الشؤون الثقافية مجهودات لتهيىء الجو المناسب لهذا اللقاء.

القى المشاركون عروضهم بقاعة الوزارة، طوال أيام الندوة، كانت تعقبها مناقشات مستفيضة.

وفيما يلى قائمة بعناوين الأبحاث التي شارك بها أصحابها في اللقاء.

قائمة بعناوين الأبحاث التي شارك بها أصحابها في اللقاء العلمي

1) مخطوط نوازل ابن سهل الأسدي — محمد عبد الوهاب خلاف
2) القضاء في قرطبة الإسلامية — محمد عبد الوهاب خلاف
3) شيخ العروبة وكتابه السفر إلى المؤتمر — د. محسن جمال الدين
4) العلاقات الثقافية بين الأندلس والبلاد العربية — د. محسن جمال الدين
5) الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل ؟ — أ. عبد العزيز بنعبد الله

6) الغرب المسلم في إطار التاريخ الإنساني — د. عمر فروخ

7) ثقافة الصقالية بالأندلس — أ. محمد المنوني

8) نظم وإدارة بني أمية بالأندلس من خلال المقتبس لابن حيان — د. التهامي الراجي

9) العلاقات المغربية الأندلسية من خلال ابن حيان — د. عبد الهادي التازي

10) شدرات مخطوطة فريدة من القلائد لابن خاقان — د. عبد الهادي التازي

11) بين ابن حيان وابن صاحب الصلاة — د. عبد الهادي التازي

12) ابن حيان وأهل العدوة — أ. عبد القادر زمامة

13) أبو مروان ابن حيان القرطبي وتاريخ الأندلس في قراءة جديدة — د. عائشة عبد الرحمن

14) أبو مروان ابن حيان المؤرخ الإمام في قراءة جديدة (خلاصة) — د. عائشة عبد الرحمن

15) خبر ظهور الترك بالثغر الأعلى نص جديد في تاريخ أوربا والأندلس للمؤرخ القرطبي أبي مروان ابن حيان — د. أحمد مختار العبادي

16) نقطة ضعف في تاريخ ابن حيان — أ. عبد الله كنون

17) طريقة ابن حيان في الكتابة والتاريخ — د. احسان عباس

18) الفكر السياسي لأبي مروان ابن حيان — د. وداد القاضي

19) النحو الأندلسي وابن هشام المصري — أ. محمد ابن تاويت.

20) العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغداد في العصر العباسي — د. حسين أمين

21) شيخ المؤرخين أبو مروان ابن حيان — د. علي عبد العظيم

22) الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس، في عصر عبد الرحمن الناصر من خلال (المقتبس) لابن حيان — د. الحبيب الجنحاني

23) دراسة مقارنة سريعة عن قصيدتي الرندى وخوخة ما نركيه. — د. حكمة علي الأوسي

24) ملامح التراث المغربي عن جزيرة العرب — د. الشيخ حمد الجاسر

25) أبو مروان ابن حيان بين الادب الابداعي وأدب كتابة التاريخ — د. مصطفى الشكعة

26) مأساة الأندلس في رأي ابن حيان — د. عبد السلام الهراس

27) ابن حيان القرطبي مؤلفاته ومنهجيته — د. عبد الرحمن علي الحجي

28) أبو مروان ابن حيان أديبا وكاتبا — د. حازم عبد الله خضر

29) المستخرج من تاريخ ابن حيان — د. ابتسام مرهون الصفار

30) منهاجية ابن حيان في تاريخ الادب — د. محمد مفتاح
31) محاكم التفتيش الاسبانية — د. عبد الرحمن علي الحجي
32) أصداء كتب خليفة بن خياط في الأندلس — أ. خوسي ماريا فورنياس
33) مساهمة الادريسي في نطاق جغرافية القرون الوسطى (بالايطالية) — أ. روبرتو روبيناسي
34) صورة الأندلس في مؤلفات بعض الشرقيين طوال القرون الوسطى — د. راشيل آريه
35) من وحي الندوة — د. عبد الله الغنيم

وفي مساء يوم الاثنين 24 نونبر المنصرم رأس السيد وزير الشؤون الثقافية الجلسة الاختتامية لهذا اللقاء بحضور عدد من الشخصيات الثقافية والفكرية وقد ألقى بهذه المناسبة الخطاب التالي :

خطاب السيد وزير الشؤون الثقافية الدكتور سعيد إبن البشير

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على النبي الأمين

سيداتي سادتي أيها الزملاء الأعزاء :

في مفتتح هذا اللقاء الفكري تخليدا لشيخ مؤرخي الأندلس، أبي مروان ابن حيان - أعربت لجمعكم الموقر - عن ثابت يقيني بجدوى مثل هذه اللقاءات العلمية، وفاعلية مردودها في نفض الغبار عن الدور الطلائعي والسباق، لاسهامات الفكر الإسلامي الرائدة، في التناول الواقعي الأمثل، والمعالجة الحياتية السوية، لما اعترض مسيرة رسالته السماوية، ووظيفته الحضارية، من ملابسات، حتم الاحتكاك بها تنوع سمات وخصائص ومعتقدات وأعراف الشعوب والمجتمعات، المرحبة بالإسلام في

ديارها عقيدة وسلوكا، والتي أثبت حضوره فيها مرونة في التكيف مع انسانها، والانصهار في بيئاتها، إلى جانب تعامل سمح واحترام لين، في الصلة بغيره من الأديان، وأهل الكتاب منهم على الأخص.

وصدق بحمد الله يقيني فيما أملناه وروجناه فقد أثمر اللقاء - بفضل فياض علمكم، وجاد وحاد حواركم - أخصب النتائج وسلط كاشف الضوء، على زوايا خفية وشائكة من تاريخ الأندلس، عكس طرحها بالموضوعية والوضوح المعالج بهما، ظاهرة صحية لافتة تمثلت فيما تلمسناه بجلاء من اقتناع جماعي بواجب إعادة قراءة وكتابة تاريخنا، من منطلق اعتماد القديم والحديث من ضوابط التوثيق في عرض الأحداث وسرد الوقائع، وعند غربلة المصادر من شوائب التجريح والضعف.

ومن خلال ما أمتعنا من اصغاء إلى قرابة ثلاثين من قيم العروض الأكاديمية والتي تقيد الأغلب من معديها بالوقوف عند الحديث عن الشخصية العلمية التي يكرم هذا اللقاء جهدها المتفرد ومنهجيتها المتميزة، في أسلوب كتابة التاريخ، تعرفنا على الكثير من جديد وطريف المعلومات، عن حياة وثقافة وأسلوب ابن حيان، وبالتالي عن مدى قدرته على تسجيل ماضي وحاضر واقع مجتمعه، ومتابعة هزاته وتقلباته بتجرد وعين بصيرة.

ولما تقتضيه الأمانة الفكرية، ويمليه التصور الموضوعي، من حرية في التعبير عن الرأي العلمي، وما يخلفه من تباين في وجهات النظر، فليس بدعا أن تنتهي اجتهادات واستنتاجات الباحثات والباحثين في هذا اللقاء، إلى اختلاف في إصدار حكم يبرىء أو يدين بعض أو جملة ما كتبه ابن حيان عن تاريخ الأندلس ورجالاتها، مما فسر بالتزامه بالجهر بالحق، أو بجنوح إلى الغلو في صراحة نالت من مكانة قلة.

أيها السادة :

لقد أتاح لقاؤنا فرصة تسليط الأضواء على كثير من جوانب عبقرية ابن حيان فقد امتاز بشمولية النظرة إلى المجتمع باعتبار كل مقوماته المادية والروحية والسياسية.

وهذه تعكس العقلية العلمية للرجل أي عقلية الحضارة الناضجة المتكاملة التي تنظر إلى التاريخ نظرة أوسع وأشمل وأعمق مما نراه في الفكر التجزئي للمجتمعات المتخلفة.

وقد أدى ابن حيان ذلك أداء منهجيا علميا يساعد على إدراك العناصر المؤثرة في المجتمع من منظار شمولي له.

وهكذا وبفضل ذلك استطاع أن يقدم تحليلات عميقة ومتكاملة وهادفة ومتضمنة للعوامل والتأثيرات في المجتمع مما يجعله يحتل مركزه اللائق في سلسلة علمائنا الاجتماعيين الذين أسهموا في بناء هذا العلم حتى استقر متكاملا عند ابن خلدون وقد ألمحت إلى ذلك في

كلمة الافتتاح وإنما أردت هنا التأكيد على هذه الفكرة لما لها من تقويم سليم لهذا الرجل الذي نكرم أنفسنا بإحياء تاريخه وفكره.

ولنستشهد بأول كلمة قالها الأستاذ الجليل **الدكتور محمود علي مكي** في التمهيد لتحقيق المقتبس ، «يتفق الكثيرون من الباحثين على أن أبا مروان ابن حيان يعد من أعظم مؤرخي الإسلام وهو بغير شك أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس بل والغرب كله ـ الإسلامي والمسيحي منه على السواء ـ طوال العصور الوسطى ولا نستثني من هذا الحكم إلا فيلسوف التاريخ أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون الذي يعتبر في تاريخ الفكر الإنساني كله ظاهرة فذة غريبة».

وبفضل أسلوب ابن حيان وطريقته في التحليل فإنه يساعد القارىء على تتبعه واستيعاب فكرته في وضوح ويسر ومتعة.

ان ابن حيان بذلك لم يتخذ التاريخ أدبا بل جعله علما ومنهجية في الرواية والتفكير والاداء. ولنتذكر بأي قوة كان التعبير عن هذه الفكرة أثناء اللقاء وخاصة على لسان الدكتورة الجليلة السيدة عائشة عبد الرحمن.

ولقد كانت لمنهجية ابن حيان وطريقة تحليله للوقائع والأحداث والمؤسسات وإيراده لبعض الأخبار مفصلة كما تلقاها ورواها أو شاهدها أثر أكيد في ارساء وبناء بعض قواعد ما نسميه اليوم بالمستقبلية ذلك انه جعل قارئه في عصره يستطيع من خلال هذه التحليلات أن يتنبأ

بالمستقبل ويتصور المصير، لأن ابن حيان لم يقدم لنا تاريخا جامدا أي شريحة مجمدة في تاريخ مجتمع ولكنه قدم التاريخ في حركته الدائبة.

فمن خلال تقديم الخبر وتحليل الواقع الاجتماعي كما يرسمه ابن حيان يستطيع القارىء النبيه آنذاك أن يتصور المآل ويتنبأ بالكارثة. إلا أن القائمين على الأمر على اختلاف درجاتهم ومهامهم في المسؤولية لم يغيروا ما بأنفسهم فلم يغير الله ما بهم.

أيها السادة :

ان هذه الندوة لما ألقي فيها من بحوث جادة وما تخللها من تدخلات غنية وحوار مثمر قد حققت فعلا إنجازا علميا ذا نجاعة وقيمة في طريق بنائنا الحضاري ذلك أن الندوة استطاعت أن تكشف ابن حيان المؤرخ الحضاري وأن ترسي بعض القواعد وتضع معالم السير لإتمام الجوانب التي لاتزال في حاجة إلى البحث والكشف.

واسمحوا لي في النهاية وباسم حكومة جلالة الملك أعزه الله أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الكرام الذين اسهموا بعلمهم الغزير، بالعروض والمناقشة في هذا اللقاء العلمي الكبير الذين نرجو أن يمتد في لقاءات أخرى لتقديم ما يجد من دراسات واكتشافات حول شخصية ابن حيان.

الدكتور سعيد ابن البشير

برقية مرفوعة إلى حضرة صاحب الجلالة
الملك الحسن الثاني المؤيد المنصور بالله
من المشاركين في لقاء
"تاريخ الأندلس وحياة وآثار أبي مروان ابن حيان"

يشرف ويسعد جميع الأعضاء المشاركين في اللقاء العلمي حول «تاريخ الأندلس وابن حيان» المنعقد بالرباط من 19 إلى 23 نونبر الحالي أن يرفعوا إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني المؤيد المنصور بالله أسمى آيات الاجلال والإكبار.

وانهم إذ يغتنمون هذه المناسبة للاعراب عن تعظيمهم لعمل جلالته المثمر ودأبه الموصول في سبيل ازدهار الثقافة ورقيها وتقدمها في هذه البلاد، ليتوجهون بالدعاء الصالح إلى الله أن يطيل بقاءه ويحفظه قائدا ورائدا ومحققا لجميع أماني شعبه في السؤدد والعز والكرامة، وأماني الأمة العربية والشعوب الإسلامية في تحرير القدس الشريف الأسير أولى القبلتين وثالث الحرمين، كما يضرعون إليه أن يقر عينه الكريمة بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد واخوته الميامين أصحاب السمو الملكي الأمراء والأميرات.

خطاب
السيد وزير الشؤون الثقافية
الدكتور سعيد ابن البشير
في الاجتماع الثاني للجنة الوطنية للثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الأخ الوزير،

حضرات الاخوة الأساتذة الجلة السادة أعضاء اللجنة الوطنية للثقافة.

يطيب لي أن أرحب بكم أجمل الترحيب، وأشكر لكم أجزل الشكر تفضلكم الكريم بالحضور، معربا لكم عن خالص وصادق تقديري للمجهودات الطيبة المثمرة التي بذلتموها بسخاء ملموس، خلال الشهور الأخيرة في الاجتماعات المتوالية التي نظمتها لجانكم الخمس المتفرعة عن مجلسكم هذا، بعد اجتماعه الأول التأسيسي، وما وصلت إليه من النتائج الحميدة التي لخصتها في عديد من الاقتراحات والتوصيات القيمة الرامية إلى المزيد من إثراء الثقافة وتنشيطها في بلادنا.

وان وزارة الشؤون الثقافية، ستنكب على دراسة هذه الاقتراحات والتوصيات، وستوليها ما تستحقه من رعاية واهتمام، لتنفيذ ما تراه منها جوهريا وجديرا بالأولوية، وذلك في ضوء الإمكانات المادية والطاقات البشرية التي تتوفر عليها، بعد أن يعرض السادة رؤساء اللجان على هذا المجلس اقتراحات هذه اللجان وتوصياتها قصد المداولة والمناقشة.

ولا أحتاج إلى التذكير إلى أن ميزانية وزارة الشؤون الثقافية متواضعة، بالنسبة لطموحاتها الواسعة الزاخرة بالمشاريع التي نود - بحول الله - تحقيقها وإنجازها. ومع ذلك فلا أكتمكم أني أحس في هذا الأوان، بسعادة وابتهاج كبيرين، وأنا أتطلع إلى هذه الصفوة الطيبة من علمائنا ومفكرينا وأدبائنا الذين يضمهم هذا المجلس الثقافي، الشيء الذي يشجعني ويقوي عزمي، ويدفعني بحماس إلى الانطلاق المتفائل بكل حرص وتأهب ودأب، للعمل الجاد الراسخ على تحقيق رسالة هذه الوزارة.

معتمدا في ذلك على إسهاماتكم المفيدة، والتي لن تزيدنا إلا حماسة وإيمانا بضرورة الدفع الثقافي من أجل البعث الثقافي والحضاري الذي يعد السبيل إلى المبتغى المنشود.

حضرات الاخوة الزملاء :

ان وزارة الشؤون الثقافية لحريصة كل الحرص، على البر برسالتها التي أنيطت بها، انطلاقا من مقوماتنا الإسلامية الوطنية والخلقيـة، المتشبعة بأصالتنا النابعة من شخصيتنا المتفردة البارزة في جميع معطياتنا، ومظاهر حياتها، بجميع أشكالها وألوانها، ومختلف طرائقها، عبر مسار تاريخنا الحافل بالأمجاد، بالإضافة إلى الميزة المتمثلة في الموقع الجغرافي الذي تتبوأه بلادنا في هذه المنطقة الحساسة من العالم، التي تعتبر ملتقى حضارات ومدنيات شرقية وغربية، تنصهر فيها خلاصة هذه التيارات الحضارية وتتزاوج وتتفاعل، مما يجعل المغرب مصب هذه الحضارات ووعاء لها، ورافدا سخيا.

وان بلادا هذا شأوها، وتلك مقوماتها ومميزاتها، إلى جانب ما تزخر به من طاقات حية نشيطة متأهبة متطلعة دوما إلى الآفاق البعيدة، لمتأهله ومدعوة لأن تضطلع بدور كبير وشاسع في الميـدان الثقافـي، لاعلى الصعيد الوطني والعربي فحسب، بل على الصعيد الإنساني.

حضرات الاخوة الزملاء :

إننا ندرك ضرورة تحقيق التنمية الثقافية كهدف عام، مع ما يتطلبه بلوغ هذا الهدف من دراسة لكثير من جوانب الموضوع، ومن إمكانات لتأكيد برنامج وأهداف هذه اللجنة المتطلعة إلى تحسين واقع الثقافة ببلادنا، من حيث العمل على تعميم الوعي الفكري والفني بإنشاء دور الثقافة في القرى وأحياء المدن الشعبية وإدماج الثقافة في صلب حياتنا اليومية كعنصر هام، ضمن حاجات إنسان هذا العصر الباحث عن شتى الوسائل للتغلب على مثبطات عصره، بالاعتماد على ما يوفره له الواقع من مكاسب ثقافية يكون لها الأثر الإيجابي في مختلف مرافق وواجهات الحياة العامة، مما يفرض علينا البحث عن الحلول الممكنة.

وإذا كانت الحياة المعاصرة قد أبرزت الثقافة كعنصر أساس في النمو الاجتاعي، فإن هذا المفهوم لم يغب عن تصور رواد الفكر في الحضارة المغربية منذ قرون، فقد أسهم هؤلاء في تعميم الوعي الثقافي عن طريق تنظيم المجالس العلمية بالمساجد، مما جعل هذه المؤسسة تقوم بوظائف متعددة منها أساسا التعليم للطلبة، والتثقيف لعامة المواطنين، بالإضافة إلى الجانب التعبدي، ولن نجرؤ على المفاهيم العصرية إذا قلنا أن المسجد لعب في المغرب دور الجامعة الشعبية، وهذا ما يحدونا إلى القول بأن الأمية بمفهومها الصحيح لم تكن موجودة في المغرب، فالرجل الذي لايقرأ ولا يكتب، كان مع ذلك ملما بأمور الحياة، وبقواعد

العلاقات الاجتماعية وبما وصلت إليه المجتمعات الإنسانية عبر المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لأن عملية التفاعل بين الثقافة وهذه المجالات هي التأكيد العملي للثقافة كإشعاع فكري من أجل تطوير الحياة، والارتفاع بمستوى الإنسان تفكيرا وسلوكا، وتوعية بمكتسباته الجمالية والفنية والفكرية، وارهاف شعوره بتلمس جماليات وروائعات الحياة. وهكذا يكون منظورنا الحالي للثقافة امتدادا لمنظورنا التاريخي لها، مع التفتح على أساليبها ومضامينها الحاضرة.

وان تحقيق هذا الهدف والسير في السبيل المؤدي إليه، يفرضان الاهتمام بعنصر الإنسان في هذه التنمية، وهذا يقتضي إذن، تكوين أطر في مستوى عال في مجالات المكتبات والمخطوطات والمسرح والموسيقى والمتاحف والحفريات والآثار التاريخية والتراث، وغيرها من الميادين التي تدخل في دائرة الثقافة.

وان الوزارة مهتمة بالغ الاهتمام بهذا الموضوع، ومنكبة على دراسة النصوص التشريعية المتصلة بإنشاء مدارس التكوين، كما تتطلع إلى توسيع مجال الاستفادة من الدراسات والخبرات الوطنية على أساس أنها ثروة فكرية تتمثل فيها الوسائل والمطامح.

وتجدر الإشارة في هذا الموضوع إلى أن النشر يكون وسيلة من أهم وسائل دعم الثقافة ونشرها، لذلك، فالوزارة مهتمة بالعمل على نشر تراثنا

الثقافي وما أكثره، كما ستعمل بحول الله، على نشر إنتاجنا الوطني الجيد في شتى مجالات المعرفة.

وفي نطاق التأليف والنشر أيضا ينبغي أن يحظى الطفل بمكانة خاصة حتى يكون لثقافته الأثر البين في شخصيته الإسلامية الوطنية، التي من شأنها أن تعكس التمسك بالمقومات التي تضفي عليه الاستقلال الفكري، وتبلور بالتالي التميز الثقافي والحضاري للمجتمع.

ولا ننسى، ونحن نشير في هذه العجالة إلى موضوع التأليف والنشر، أن نلفت النظر إلى ما يكتسيه موضوع الترجمة من أهمية بالغة. وأن عودة إلى التاريخ، تبين كيف استطاع العرب بذكاء أن يطوروا العلوم ويبدعوا فيها وينقلوا إليها عن طريق ترجمة الفكر العلمي والفلسفي في الحضارات الأخرى، وهكذا استطاعوا أن يستفيدوا كما أفادوا بثروة طائلة الحضارة الغربية بصفة خاصة. وسنكون بهذا قد أعطينا لثقافتنا الأصيلة مدلولا عمليا للتفتح الفكري والتفاعل الحضاري.

ونتيجة لكل هذه الاهتمامات، ينجلي مشروع احداث دار النشر، كوسيلة لتحقيق الغايات التي نهدف إليها.

إلا أن تحقيق هذا العمل، متوقف على الوسيلة المالية التي لاتوفرها ميزانية الوزارة، والتي ينبغي تأمينها عن طريق صندوق وطني للثقافة،

وفي هذا الصدد ، نأمل أن نجد مع الجهات الإدارية المعنية بهذا الموضوع سندا ودعما لرفع المشروع إلى مستوي التحقيق والإنجاز.

حضرات الاخوة الزملاء :

ان عملنا ومشاريعنا لاتستهدف فقط تدعيم الثقافة الوطنية الأصيلة، وإشاعتها بين أبناء أمتنا في الحاضرة والبادية داخل الوطن، وإنما تسعى كذلك إلى إفادة جاليتنا في الخارج حتى تظل متصلة ومرتبطة أوثق مايكون الارتباط بمقوماتنا ومثلنا الإسلامية الوطنية. ولعل هذا يفرض تخصيص جزء من اعتماداتنا لتنظيم أيام ثقافية في البلاد الأوربية وغيرها لفائدة أبناء وطننا الذين ما زالت أواصر الحب والحضارة تشدهم بقوة إلى وطنهم، ولكنها في حاجة إلى استمرارية الدعم والاذكاء.

وبطبيعة الحال، فإن هذا الاشعاع الثقافي يجب أن يمتد إلى البلاد الأجنبية بهدف التعريف بشخصيتنا الحضارية المتميزة، ومحاولة التأثير على الحضارات الأخرى.

أيها الاخوة :

ان بلادنا تواجه تحديات كثيرة. ولعل أخطرها وأقواها أثرا على حياتنا الاجتماعية بل وعلى كياننا الحضاري، التحدي الثقافي، وهذا ما يدفعنا إلى العمل بحماسة وفاعلية من أجل تنفيذ برنامج يضمن لنا

المحافظة على مقوماتنا الإسلامية والحضارية التي استطاع المغرب طيلة قرون أن يحافظ بها على استقلاله وعلى شخصيته المتميزة التي لم تبرز فقط مجتمما باستقلاله الفكري ولكنها استطاعت أن تؤثر على محيط جغرافي واسع.

ان الأمر يتعلق اليوم، بالأمن الثقافي الذي لن يؤمن إلا بتقوية جذور حضارتنا وفكرنا الأصيلين.

ولن يحقق المغرب تنمية شمولية إلا إذا كانت الثقافة أساسا لها ومنبعا للخلق الفكري والإبداع العلمي في كل مجالات المعرفة. ولنا في ماضينا وفي شعوب أخرى أمثلة بليغة.

إلا أن الأمر يحتاج إلى مجهود كبير من غير شك فعلى سبيل المثال وفي مجال حيوي من الميادين الثقافية يجب ـ حسب المقاييس الدولية ـ أن يتوفر المغرب في مكتباته على مالا يقل عن 33 مليون كتاب لانملك منه فعلا إلا الجزء اليسير. ويعكس هذا المثال مدى المجهود الذي ينبغي أن يبذل في كل المجالات الفكرية حتى نحقق الأمن الثقافي الذي المحت إليه. ولتكن الصعوبة حافزة للعمل ومثيرة للهمم.

حضرات الاخوة الزملاء :

لاتخفى الأهمية البالغة التي يوليها جلالة الملك أعزه الله للثقافة كأساس للتنمية الشاملة، وان رعايته للمخطوط والمطبوع والفنون

المغربية عامة، خير مؤشر لهذا الاهتمام الذي يعكس الصورة التي وضعها أمير المؤمنين للمغرب، كوطن يضم حضارة إسلامية أصيلة، أثرت في الفلسفة الاجتماعية التي استطاعت بقوتها ونفاذ عناصرها أن تشع على افريقيا وجزء مهم من العالم. ولنجعل من هذه الصورة أفقا نطمح إلى الوصول إليه، حتى تظل مختلف جوانب حياتنا ومعاملاتنا مع المجتمعات الأخرى منحوتة بهذا الطابع المغربي الأصيل، فنكون إذن قد حققنا المدلول العميق للاستقلال الثقافي.

وباسم الله نفتتح أعمال اللجنة الوطنية للثقافة والسلام عليكم ورحمة الله.

الدكتور سعيد ابن البشير

الرباط في 12 جمادى الأولى 1402 ـ 9 مارس 1982

حول زيارات السيد وزير الشؤون الثقافية لمختلف أقاليم المملكة

ـ الأقاليم الصحراوية :

ضمن سياسة وزارة الشؤون الثقافية الهادفة إلى نشر الوعي بأهمية الكتاب وبضرورة العمل على تقوية الصلات الثقافية بين أقاليم المملكة، وبأمر من صاحب الجلالة نصره الله رأس السيد وزير الشؤون الثقافية الدكتور سعيد ابن البشير، الأيام الثقافية التي أقيمت بأقاليمنا الصحراوية، والتي اشتملت على عدة أنشطة ثقافية وفنية، وخلال يومي 14 ـ 15 دجنبر 1981 عقد السيد الوزير عدة جلسات عمل مع رجال السلطة المحلية. في كل من «العيون» و «السمارة» و «الداخلة» نوقشت خلالها مختلف القضايا التي تهم الميدان الثقافي بهذه الأقاليم كما زار المركز الثقافي بالعيون. وأشرف على افتتاح مكتبة بمدينة «السمارة» أنشأتها الوزارة، وقدم لها 1405 كتابا، ومن ثم زار المقر المؤقت لمكتبة الداخلة التي قدم لها 449 كتابا، ثم تفضل عامل صاحب الجلالة بالداخلة، ووضع رهن إشارة الوزارة، قطعة أرضية بشارع محمد الخامس لبناء مركز ثقافي بمدينة الداخلة، وقدم السيد الوزير للتلاميذ المتفوقين في كل من العيون والداخلة والسمارة مجموعة من الكتب هدية من الوزارة لهم.

ـ أكادير والإقليم :

وخلال أيام 2 و 3 و 4 يناير 1982 توجه الدكتور سعيد ابن البشير إلى أكادير في زيارة تهدف إلى الاطلاع على مختلف جوانب الحياة الثقافية بالمدينة والإقليم. حيث زار مدينة تزنيت ودشن خزانة محمد المختار السوسي. كما اطلع على محتوياتها. وزودها بـ 1073 كتابا لاغناء الخزانة بالكتب الضرورية، وحتى توفر الخزانة للقراء بالمدينة والإقليم مختلف

الكتب التي ستساعدهم على النهوض بمستواهم الفكري والمستوى الثقافي للمدينة بشكل عام، بعد أن أصبحت الخزانة المذكورة تحت مسؤولية الوزارة تجهيزا وتسييرا.

وقد رافق السيد الوزير في جولته هذه رجال السلطة المحلية وأطلعهم بالمناسبة من خلال الكلمات التي ألقاها على سياسة الوزارة الهادفة إلى تيسير عملية الحصول على الكتاب. وتقريب وسائل التوعية والتثقيف من المواطنين. كأساس للنهوض بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي الذي تتطلع إليه بلادنا.

وبعد ذلك توجه السيد الوزير لناحية أنزى. وزار المكتبة الجديدة بها. ثم قدم للمسؤولين عنها 1012 كتابا. وفي أكادير عقد السيد الوزير جلسة عمل مع السيد عامل المدينة والإقليم ورجال السلطة المحلية ورئيس المجلس البلدي بها حيث قدموا له اقتراحاتهم المتعلقة بضرورة التنسيق بين مختلف الجهات المعنية لتحسين الواقع الثقافي بالمدينة **والإقليم، ثم اختتمت الجلسة بزيارة المكتبة البلدية والمواقع الأثرية بالمدينة، ومكتبة الغرفة** التجارية التي قدم لها 1007 كتابا.

ـ تـــازة :

واغتنم السيد الوزير فرصة الاشراف على انطلاق عملية «التويزة» بمدينة تازة فزار يوم 7 يناير خزانة تازة التابعة للوزارة، واجتمع بالمسؤولين ورجال السلطة المحلية قصد الاطلاع على آرائهم والتعرف إلى حاجات المدينة المتعلقة باختصاصات الوزارة، وبعد أن استمع إلى اقتراحاتهم وملاحظاتهم القيمة والطموحة، أكد لهم عزم الوزارة على مضاعفة جهودها لتتمكن من تلبية حاجات مختلف أقاليم المملكة، وكذلك لتحقيق الهدف الأكبر، وهو النهوض بالمستوى الثقافي ببلادنا، والحفاظ على المكتسبات الحضارية والفكرية، كما قدم لها ألف كتاب.

ـ مكناس :

قام في صباح يوم الاثنين 22 فبراير 1982 الدكتور سعيد ابن البشير وزير الشؤون الثقافية بزيارة لمدينة مكناس تفقد خلالها المنجزات الثقافية والمنشآت التاريخية التي تزخر بها العاصمة الإسماعلية.

وقد رأس اجتماعا بمقر عمالة الإقليم حضره أعضاء السلطة المحلية ونواب المدينة والمنتخبين. وقد ألقى خطابا بهذه المناسبة.

معرض البحوث الادارية

بمناسبة معرض البحوث الإدارية الذي أقامته جمعية خريجي المدرسة الوطنية للإدارة العمومية ببهو الوزارة من 13 إلى 20 يناير أشرف الدكتور سعيد ابن البشير وزير الشؤون الثقافية ورئيس هذا المجلس على افتتاح هذا المعرض، واستمع إلى شروح وإيضاحات حول البحوث المعروضة التي أنجزها طلبة المدرسة الوطنية للإدارة العمومية بالرباط، والتي تتناول بالدراسة والبحث مختلف جوانب العمل الإداري في مجال الصيد البحري، والزراعة، والصناعة التقليدية، والشؤون المالية والاعلانية، وغيرها من الموضوعات الهامة.

وطوال أيام المعرض ألقيت ـ بقاعة المحاضرات بمقر الوزارة ـ عروض حول ـ التنمية القروية ـ و ـ الوظائف الاقتصادية للجماعات المحلية ـ و ـ تقريب الإدارة من المواطن و ـ المفتشية العامة للإدارات العمومية ـ .

تنظيم معرض فن الخشب المغربي بروما

تخليدا للذكرى الخامسة والعشرين لاستقلال المغرب والذكرى العشرين لجلوس صاحب الجلالة على عرش أسلافه المنعمين وتوطيدا لأواصر الصداقة والمودة العريقة التي تجمع بين الشعبين الإيطالي والمغربي ،

افتتح يوم الثلاثاء 2 يونيو 1981 بقصر البندقية الشهير بروما معرض فن الخشب المغربي بحضور سفير صاحب الجلالة بإيطاليا ونخبة من رجال الفكر والثقافة بإيطاليا.

ويحتوي هذا المعرض على نماذج مزخرفة، منقوشة وملونة من الخشب المستعمل في الهندسة المعمارية الأصيلة والتأثيث وعلى مجموعة من صور عدة تحف أخرى يمتد تاريخها من القرن العاشر إلى القرن العشرين.

وقد أوفدت الوزارة إلى عين المكان السيد حسن بلعربي محافظ متحف دار سي سعيد بمراكش لتعريف الجمهور الإيطالي بهذا النوع من تراثنا الأصيل كما أن هذه البادرة أعطت نتائج جد مرضية وعرفت الجمهور الإيطالي بإبداع الصانع المغربي ومهارته المعروفة عبر العصور.

مشاركة المغرب في ندوة حول الاتفاقات الثقافية الثنائية عربيا ودوليا بدولة البحرين

عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالبحرين من 6 إلى 10 شتنبر 1981 ندوة حول موضوع «الاتفاقات الثقافية الثنائية عربيا ودوليا»، مثل المغرب في هذا اللقاء السيدان المهدي الدليرو مندوب وزارة الشؤون الثقافية

بمدينة تطوان. والسيد علي موجان رئيس مصلحة المبادلات والعلاقات الثقافية بنفس الوزارة.

نظمت الندوة في أربع جلسات عمل، عرض خلالها مندوبو الدول العربية والمنظمات المشاركة، نماذج من اتفاقاتهم الثقافية، وأسفرت عن عدة توصيات من بينها :

1) الارتقاء إلى مستوى التنسيق والتكامل والنص على تشجيع المؤسسات الثقافية والعلمية بقصد إنشاء صلات مباشرة بينها.

2) تمكينها من وسائل تنفيذ برامج التعاون الثقافي.

3) الاهتمام بتنفيذ البنود الخاصة بتبادل البحوث العلمية والثقافية، وكذا الأساتذة في مختلف مستويات التعليم.

4) ضرورة تمييز الاتفاقات التي تعقد مع الدول الإسلامية، والتنسيق بين جهود الدول العربية والدول الإسلامة.

5) توثيق الصلات الثقافية مع دول العالم الثالث وتعزيزها، خاصة مع الدول الافريقية والأسيوية وأمريكا اللاتينية، والعمل على نشر اللغة العربية في هذه الأقطار.

6) ضرورة مراعاة التعامل على أساس المساواة في الاتفاقات التي تعقد مع الدول المصنعة، وإعداد برامج مشتركة بين الطرفين المتعاقدين في مجال التدريب والبحث العلمي، مع إعطاء الأولوية للجانب الثقافي في الاتفاقات الثقافية وصياغتها بلغتي الدولتين المتعاقدتين.

ودعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إلى عقد اجتماع سنوي حول تنفيذ الاتفاقات الثقافية وتبادل الخبرات في هذا المجال.

والجدير بالذكر أن السيد المهدي الدليرو انتخب مقررا للأعضاء المشاركين في هذه الندوة.

تدريب بمديرية إحصاء الممتلكات الفنية الفرنسية بباريس

في إطار اللجنة المغربية ـ الفرنسية للأبحاث الأثرية والإثنولوجية المنعقدة بالرباط من 24 إلى 26 نوفمبر 1980، قام السيد إدريس الدخيسي، رئيس قسم إحصاء الممتلكات الثقافية بزيارة لمختلف المصالح التقنية لمديرية إحصاء الممتلكات الفنية بباريس من 10 يوليوز إلى 20 غشت 1981، تعرف خلالها على الطرق المنهجية التي تتبعها هذه المؤسسة لتحديد ودرس الممتلكات الفنية وذلك قصد إبراز معالمها التاريخية والحضارية.

كما اغتنم السيد الدخيسي هذه الفرصة، فألقى عرضا أوضح فيه أهم العمليات التقنية والتوثيقية التي أنجزها قسم إحصاء الممتلكات الثقافية التابع لوزارة الشؤون الثقافية.

ولقد كان اللقاء مثمرا لكلا الطرفين، حيث درست ونوقشت فيه عدة نقط تنظيمية ومنهجية لإحصاء الممتلكات الثقافية.

بلاغ من وزارة الشؤون الثقافية حول جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق لسنة 1982

في إطار التعريف بالتراث التاريخي والحضاري بالمغرب، وجريا على العادة المألوفة التي سلكتها وزارة الشؤون الثقافية، في تنظيم جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق، يسرها أن تعلن للجمهور المغربي الكريم في هذه

السنة عن الجائزة الرابعة عشرة للمخطوطات والوثائق التي خصصت لها مكافآت مالية تتصاعد حسب أهمية المخطوط أو الوثيقة التي توجد في الملكية الخاصة.

ومن المعلوم أن جل ماهو مخطوط يعتبر ذخيرة كان مكتوبا على الرق أو الورق أو الألواح ولهذا فإن الجوائز ستخصص لما يلي :

أولا : للأهم من الكتب المخطوطة مؤلفات وتقاييد وكناشات علمية، ومذكرات شخصية وخطوط العلماء، وكنانيش ونسخ الملحون، ومجموعات الفتاوي أو الرسائل، ودواوين الأشعار والمجموعات الموسيقية وكل ما هو مخطوط ولو كان على ورقة أو ورقات معدودة.

ثانيا : للوثائق أيا كان عصرها وموضوعها. ظهائر ورسائل رسمية أو شخصية ورسوم عدلية ومحاسبات وإجازات علمية وشهادات الأنساب وغير ذلك.

هذا وستشرف لجنة برئاسة معالي وزير الشؤون الثقافية على فحص هذه المخطوطات وتقييمها، وإصدار بلاغات حول نتائج الجائزة.

وتؤكد الوزارة أنها اتخذت كل الاحتياطات لضمان إرجاع المخطوطات إلى أصحابها كاملة غير منقوصة، بدون إبطاء ولا تأخير فور انتهاء المعرض وأشغال اللجنة المختصة.

والجدير بالذكر أن قيمة المخطوط أو الوثيقة إنما تتجلى في مدى ما قد يستفيد منها تاريخ الأمة وحضارتها، وأن ضياع وثيقة مهمة نتيجة آفة من الآفات تعد خسارة في ثروتها الفكرية .لهذه الاعتبارات كلها، قررت وزارة الشؤون الثقافية تصوير المخطوطات والوثائق النفيسة لتحفظ في المكتبة العامة بالرباط، للاستفادة منها، وخشية مما قد يعتريها من ضياع، كما أن تصويرها لايمكن أن يصيب المخطوط أو الوثيقة بأي ضرر ولايفقد أيا منها ما له من قيمة كمستند خطي.

ورغبة من الوزارة في الحصول على مخطوطات ووثائق جديدة تؤكد للسادة المساهمين في هذه الجائزة أن المخطوطات والوثائق التي سبق عرضها وتقديمها لن تقبل في المسابقة الحالية.

فعلى من يتوفر على شيء من هذه الدخائر أن يتقدم بها ابتداء من صدور هذا البلاغ الى يوم الخميس 31 دجنبر 1981 إلى أحد المراكز التالية :

العمالة أو الإقليم	اسم المركز وعنوانه
عمالة الرباط وسلا	وزارة الشؤون الثقافية ـ مصلحة المكتبات والنشر والتوزيع ـ شارع غاندي الرباط.
عمالات الدار البيضاء عمالة إقليم سطات عمالة إقليم خريبكة عمالة إقليم الجديدة عمالة إقليم ابن سليمان	النيابة الإقليمية للشؤون الثقافية ـ شارع الزيراوي رقم 133 الدار البيضاء
عمالة إقليم إيفران	المكتبة العمومية ـ إيفران
عمالة إقليم فاس عمالة إقليم تاونت عمالة إقليم بولمان	خزانة البطحاء ـ بطحاء الاستقلال ـ فاس
عمالة إقليم تازة	الخزانة العامة ـ ساحة الاستقلال ـ تازة
عمالة إقليم مكناس عمالة إقليم خنيفرة عمالة إقليم الرشيدية	خزانة الجامع الكبير.زنقة العدول ـ مكناس
عمالة إقليم القنيطرة عمالة إقليم الخميسات	خزانة القنيطرة ـ طريق عين السبع ـ القنيطرة

عمالة إقليم مراكش عمالة إقليم بني ملال عمالة إقليم قلعة الـراغنة عمالة إقليم أزيلال عمالة إقليم ورزازات ـ زاكورة	**خزانة ابن يوسف العمومية ـ مراكش**
عمالة إقليم أكادير عمالة إقليم تزنيت عمالة إقليم طرفاية ـ طنطان	**خزانة المجلس البلدي ـ أكادير**
عمالة إقليم أكادير تارودانت عمالة إقليم طاطا	**خزانة الامام علي ـ تارودانت**
عمالة إقليم وجدة عمالة إقليم فكيك عمالة إقليم الناظور	**خزانة الشريف الإدريسي ساحة القصبة ـ وجدة**
عمالة إقليم تطوان عمالة إقليم شفشاون عمالة إقليم الحسيمة	**الخزانة العامة للكتب والمخطوطات. شارع محمد الخامس.تطوان**
عمالة إقليم تطوان العرائش ـ القصر الكبير ـ عرباوة	**خزانة البلدية ـ القصر الكبير**
عمالة إقليم طنجة	**الخزانة العامة.شارع الحرية 71.طنجة**
عمالة إقليم آسفي عمالة إقليم الصويرة	**خزانة المجلس البلدي ـ آسفي**
الصحراء المغربية	**مراكز السلطة المغربية بالصحراء المغربية: العيون ـ بوجدور ـ اسمارة ـ الداخلة**

بلاغ من وزارة الشؤون الثقافية حول نتيجة جائزة المغرب لسنة 1981

بناء على البلاغ الصادر عن وزارة الشؤون الثقافية التي أعلنت فيه عن «جائزة المغرب» لسنة 1981، وتبعا للاجتماع الأول لأعضاء اللجنة الموكول إليها اختيار المستحق أو المستحقين لجائزة المغرب لهذه السنة، اجتمعت اللجنة من جديد برئاسة الدكتور السيد سعيد ابن البشير وزير الشؤون الثقافية، وبعد أن رحب بأعضاء هذه اللجنة وشكرهم، تفرغت للمناقشة والمداولة، وفي نهاية الاجتماع قررت النتيجة الآتية :

- منح جائزة المغرب في العلوم الإنسانية والاجتماعية لكتاب «الظهير في القانون العام المغربي» لمؤلفه السيد محمد أشركي.
- منح جائزة المغرب في الآداب والفنون للمسرحية الشعرية «المعركة الكبرى» للشاعر علي الصقلي.
- اما فيما يخص جائزة المغرب للعلوم والرياضيات فقد احتفظ بها.

وكانت لجنة التحكيم لهذه السنة تتألف من السادة :

- **الأستاذ محمد ابن تاويت**
- **الدكتور عبد العزيز ابن جلون**
- **الدكتور محمد ابن شريفة**
- **الدكتور عبد اللطيف ابن عبد الجليل**
- **الدكتور عبد اللطيف بربيش**
- **الدكتور عبد الهادي التازي**
- **الدكتور عباس الجراري**
- **الدكتور محمد عزيز الحبابي**
- **الأستاذ عبد الجليل الحجمري**
- **الدكتور محمد زنبير**
- **الدكتور موسى عبود**
- **الدكتور عبد الله عديل**
- **الأستاذ أحمد عيدون**
- **الأستاذ عبد الرحمن الفاسي**
- **الدكتور رشدي فكار**
- **الأستاذ محمد المنوني**
- **الأستاذ محمد ميكو**
- **الدكتور محمد حجي**

كتب وكتاب :

المناهل(*)

المناهل مجلة ثقافية تصدرها وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب.

بين يدي الآن العددان التاسع عشر والعشرين من مجلة المناهل ومن محاسن المغرب حرصه على أن يصدر دائما مجلات ثقافية عربية إسلامية على المستوى الرفيع وذلك إن دل على شيء فعلى حرص ذلك البلد العربي الأصيل على خدمة الثقافة العربية الإسلامية والتمسك بالعروبة وخطها السليم في الفكر والحضارة.

ولهذا فإنه يسر مجلة الهلال أن ترسل تحية الى المشرفين على شؤون الثقافة في المغرب وتزجي لهم الشكر على تلك العناية بالعروبة وثقافتها.

وليست مجلة المناهل هي أول مجلة ثقافية رفيعة المستوى يصدرها المغرب بل سابقتها وعاصرتها مجلات أخرى ثقافية عربية إسلامية ذات مستوى رفيع.

فكلنا يعرف مجلة"دعوة الحق» التي يعتبر كل عدد من أعدادها ذخرا من ذخائر الصحافة العربية الفكرية فهي مجلة أبحاث ومجلة أدب وشعر وقبل ذلك كله مجلة إسلام وعروبة.

● يسعد مجلة «المناهل» أن تشكر أجزل الشكر الدكتور حسين مؤنس على هذه الكلمة الطيبة التي اعرب فيها عن عواطفه النبيلة نحو مجلة «المناهل» وبعض المجلات المغربية الاخرى. _(عن مجلة «الهلال» القاهرة ـ ع غشت 1981. ص : 3.).

ومن سنوات أنشأ المرحوم علال الفاسي مجلة «البينة» وكانت من أقيم المجلات الثقافية الإسلامية التي قرأتها ومجموعاتها عندي ذخر من ذخائـــر المكتبة ومن المؤسف أنها اختفت بوفاة منشئها علال الفاسي رحمه الله رحمة واسعة فقد كان من أعلام الحرية والعروبة والإسلام في عالم الإسلام كله.

وهناك أيضا مجلة «اللسان العربي» وهي مجلة جادة تنشر أبحاثا ونصوصا ونقولا عن اللغات الأوربية ذات قيمة علمية كبرى وهي تصدر عن مركز التعريب التابع للجامعة العربية ويشرف عليها أخونا في العروبة والإسلام عبد العزيز ابن عبد الله هذا إلى جانب مجلة «البحث العلمي» التي تصدر عن إدارة الأبحاث بجامعة الرباط.

ومجلة «المناهل» التي نتحدث عنها الآن تحولت مع الزمن من مجلة أدب صرف كما يتجلى في أعدادها الأولى إلى مجلة أبحاث ودراسات عربية إسلامية ومغربية في نفس الوقت ذات قيمة كبرى فالعدد التاسع عشر الذي نتحدث عنه الآن خصصوه للقاضي عياض بن موسى اليحصوبي وهو من أعلام الفكر الإسلامي في القرن السادس الهجري وهو دون شك قطب من أقطاب العروبة والإسلام في المغرب الأقصى وهو من أهل سبتة وهي بلد إسلامي سليب لأن الإسبان استولوا عليه ابان المد المسيحي في حوض البحر المتوسط أيام شارل الخامس وابنه فيليب الثاني والعدد الخاص بعياض حافل بالأبحاث والدراسات عن ذلك الفقيه العظيم ففيه أبحاث لمحمد بن تاويت الطنجي وعبد الله كنون والدكتورة عائشة عبد الرحمن ومحمد العربي الخطابي والدكتور عبد الله الطيب وعبد الرحمن الفاسي والدكتورة ابتسام مرهون الصفار.ومحمد ابن شريفةوكلهم من أصدقائنا وزملائنا فيعالم الأبحاث والدراسات العربيةوالإسلامية والمغربيةمنها خاصة. وإذا كنا نلاحظ شيئا عن العدد فإننا كنا نستحسن أن يكون الفصل الأول من ذلك العدد تعريفا بحياة القاضي عياض ودوره في الفكر والسياسة وترجمة حياته مع مراجع وافية حتى يعرفه القارىء معرفة بيبيوغرافية.. وهذا أمر

أساسي بالنسبة لنا جميعا.ومع اعترافنا بامتياز العددكله وإفادتنا من أبحاثه إلا أننا نلاحظ أن أحدا لم يشر إلى كتاب «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» للمقري وهو مرجعنا الأولى عن عياض وعصره وشيوخه وتلاميذه وتآليفه.

د. حسين مؤنس

تصحيح لبعض أغلاط مطبعية وردت سهوا في بحث الأستاذ محمد عزيمان المنشور في العدد 22 من مجلة المناهل غيرت لفظ بعض الآيات والأحاديث، مع الاعتذار للقراء.

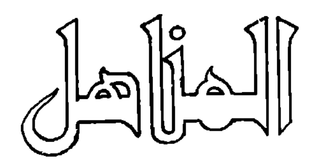
صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
451	20	وأما من أعطى	فأما من أعطى
452	14	ليصرفنها	ليصرمنها
452	17	حرب	حرد
453	7	والكاضمين الفيض	والكاظمين الفيظ
453	10	وآثر المال	وآتى المال
453	15	ولو بشق ثمرة	ولو بشق تمرة (حديث)
455	8	ولو بشق ثمرة	ولو بشق تمرة
455	13	مخلف	فخلف
455	15	ألم نوخذ	ألم يوخذ

وحذف الشطر الأول من بيت شعري لأبي العباس السبتي في صفحة 455 سطر 16 وتمام البيت هكذا :

إن رب العباد يدعوك ليلا   ان فضلي لمن يكون سؤولا

مطبعة فضالة - المحمدية (المغرب)

1982

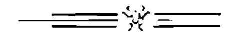


تصــدرهـــــا :

وزارة الشـــــؤون الثقـــافيـــــــة

زنقة غاندي ـ الرباط ـ المغــرب

التليفـون : 93 / 92 / 318.91



AL - MANAHIL

Publication du

MINISTERE DES AFFAIRES CULTURELLES

Rue Ghandi - Rabat (Maroc)

Tél : 318-91/92/93

مطبعة فضالة ـ المحمدية (المغرب)



ثمن النسخة : 10,00 دراهم